

كتاب

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين

(لمؤلفه)

(محمد الخضري)

(الحائز شهادة التدريس من مدرسة دار العلوم الخديوية)

(والمدرس بمدرسة الناصرية)

«بمصر»

(سنة ١٣١٥)

(طبعة ثانية)



(طبع بمطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣٢٠ هجرية)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامن اوضحت لنا سبل الهداية . وأزحت عن بصائرنا غشاوة الغواية. ونصلي ونسلم على من أرسلته شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وعلى الاصحاب الذين هجروا الاوطان. يبتغون من الله الفضل والرضوان. والانصار الذين آووا ونصروا. و بذلوا لاعزاز الدين ماجمعوا وما ادخروا (اما بعد) فيقول محمد الخضري ابن المرحوم الشيخ عفيفي الباجوري كنت أجد من نفسي منذ النشأة الاولى ارتياحاً لقراءة تواريخ السالفين وقصص الغابرين وأجدها لعقل الانسان أحسن مهذب وأنصح معلم وكنت أرى في تاريخ نبينا عليه الصلاة والسلام وما لقيه من أذى قومه حينما دعاهم الى الحق وعظيم صبره حتى هجر أوطانه و بلاده أعظم مربٍّ لافكار المسلمين فانه يدلهم على ما يجب اتباعه وما يلزم اجتنابه ليسودوا كما ساد سابقوهم وخصوصاً ما يتعلق بالحكام

من اجتذاب النفوس النافرة والتأليف بين القلوب المختلفة وما يتعلق بقواد الجيوش من تأليف الرجال واحكام المددات حتى يتم لهم النصر على اعدائهم وما يتعلق بالعامة من اتحاد قلوبهم وصيرورتهم يداً على من سواهم فكنت أجد من قراءتها ارتياحاً عظيماً وكانت نفسي كثيراً ما تأسف على ترك المسلمين لها فقلما أجد من يشتغل بها ولكني كنت أقدم لهم العذر بتطويل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع فلما قدمت مدينة المنصورة جمعتني النوادي مع محمود بك سالم القاضي بمحكمة المنصورة المختلطة فوجدت منه علماً بدينه تقف دونه فحول الرجال وتتأخر عن مسابقته فيه الابطال. فقلما توضع مسألة دينية الا وجدته مبرّزاً فيها مفصحاً عن الجواب عنها أما علمه بسيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم فعنده منها الخبر اليقين وكنت كثيراً ما اسمعه يتشوف لعمل سيرة خالية من الحشو والتعقيد تنتفع بها عامة المسلمين فقلت يالله لقد وافق هذا السيد الكريم مافي نفسي ولكني كنت أرى في عزيمتي قصوراً عن تنفيذ رغبته وتتميم أمنيته فان المقام عظيم وصعوباته أعظم ولكن لم أر من الامر بدّاً تلقاء ما كنت أسمعه من كبار رجال المنصورة فانهم اكثروا من الاماني لعمل هذا الكتاب العميم النفع الجزيل الفائدة فقمت معتمداً على الله راجياً منه ان يوفقني لما فيه رضاه وواصلت

السير بالسرى حتى بلغت المنى فجاء بحمد الله كتاباً سهل المنال عذب المورد تنتفع به العامة وترجع اليه الخاصة وقد كان موردي في تأليفه القرآن الشريف وصحيح السنة مما رواه الامامان البخاري ومسلم ولم أخرج عنهما الا فيما لا بد منه من تفهيم العبارات فكان يساعدني الشفاء للقاضي عياض والسيرة الحلبية والمواهب اللدنية للقسطلاني واحياء علوم الدين للغزالي. هذا واسأل الله من فيض فضله ان يوفق أئمتنا وامراءنا للاقتداء بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم واحياء معالم دينه حتى يؤيدوا بروح من عند الله وقد آن أن نشرع فيما قصدناه . مستعينين بحول الله فنقول

﴿ النسب الشريف ﴾

السيد الاكرم الذي شرُف العالم بوجوده هو (محمد بن عبد الله) من زوجه آمنة بنت وهب الزهرية (١) القرشية (ابن عبد المطلب) من زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية (٢) القرشية وكان عبد المطلب شيخاً معظماً في قريش يصدرون عن رأيه في مشكلاتهم ويقدمونه في مهماتهم (ابن هاشم) من زوجه سلمى بنت عمرو (٣) النجارية

(١) من بني زهرة بن كلاب من قريش

(٢) من بني مخزوم بن يقظة بن مرة من قريش

(٣) من بني النجار من الخزرج والخزرج احدى القبيلتين اللتين كانتا تقيمان بالمدينة وهما الاوس والخزرج وهما اخوان وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاًّ انصارا

الخزرجية (ابن عبد مناف) من زوجه عاتكة بنت مرة السلمية (١) (ابن قصيّ) من زوجه حُبيّ بنت حليل الخزاعية (٢) وكان الى قصيّ في الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج واطعامه المسمى بالرفادة والندوة وهي الشورى لا يتم أمر الا في بيته واللواء لا تعقد راية الحرب الا بيده ولما أشرف على الموت جعلها في يد أحد أولاده عبد الدار ولكن بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم على أن لا يتركوا بني عمهم عبد الدار يستأثرون بهذه المفاخر وكاد يفضي الامر الى القتال لولا أن تدارك الامر عقلاء الفريقين فاعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة فدامتا فيهم الى أن انتهتا للعباس بن عبد المطلب ثم لبنيه من بعده أما الحجابة فبقيت بيد بني عبد الدار وأقرها لهم الشرع فهي فيهم الى الآن وهم بنو شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار وأما اللواء فدام فيهم حتى أبطله الاسلام وجعله حقاً للخليفة على المسلمين يضعه فيمن يراه صالحاً له وكذلك الندوة وقصيّ (بن كلاب) من زوجه فاطمة بنت سعد وهي يمانية من أزدشنوءة

(١) من بني سليم بن منصور احدى قبائل قيس عيلان بن مضر بن نزار

(٢) من بني خزاعة بن عمرو احدى قبائل قمعة بن الياس بن مضر وهم الذين كانوا يتولون البيت قبل قريش

(ابن مرة) من زوجه هند بنت سرير من بني فهر بن مالك (ابن كعب) من زوجه محشية بنت شيبان من بني فهر أيضاً (ابن لؤي) من زوجه أم كعب مارية بنت كعب من قضاعة (ابن غالب) من زوجه أم لؤيّ عاتكة بنت يخلد من بني النضر بن كنانة (ابن فهر) من زوجه أم غالب ليلى بنت الحارث من هذيل وفهر هو قريش في قول الاكثرين فكل من كان من ولده فهو قرشي وكانت قريش اثنتى عشرة قبيلة بنو عبد مناف وبنو عبد الدار ابن قصيّ و بنوأسد بن عبد العزّى بن قصيّ وبنو زهرة بن كلاب و بنو مخزوم بن يقظة بن مرّة و بنو تيم بن مرّة و بنوعديّ بن كعب و بنو سهم بن هصيص بن عمرو بن كعب وبنو جمح بن هصيص بن عمرو بن كعب وبنوعامر بن لؤي وبنو تيم بن غالب وبنو الحارث ابن فهر وبنو محارب بن فهر والمقيمون منهم بمكة يسمون قريش البطاح والذين بضواحيها قريش الظواهر (ابن مالك) من زوجه جندلة بنت عامر من جرهم (ابن النضر) من زوجه عاتكة بنت عدوان ابن قيس عيلان (ابن كنانة) من زوجه برّة بنت مرّ من بني تميم (ابن خزيمة) من زوجه عوانة بنت سعد بن قيس عيلان (ابن مدركة) من زوجه سلمى بنت أسلم من قضاعة (ابن الياس) من زوجه خندف المضروب بها المثل في الشرف والمنعة (ابن مضر)

من زوجه الرّباب بنت جندة بن معدّ (ابن نزار) من زوجه سودة بنت عك (ابن معدّ) من زوجه معانة بنت جوشم من جرهم (ابن عدنان)

هذا هو النسب المتفق على صحته من علماء التاريخ والمحدثين أما النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق غاية الامر انهم اجمعوا على أن نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ينتهي الى اسماعيل بن ابراهيم أبي العرب المستعربة . نسب شريف كما ترى آباء طاهرون وأمهات طاهرات لم يزل عليه السلام يتنقل من أصلاب أولئك الى أرحام هؤلاء حتى اختاره الله هادياً مهدياً من أوسط العرب نسباً فهو من صميم قريش التي لها القدم الاول في الشرف وعلوّ المكانة بين العرب ولا تجد في سلسلة آبائه الاّ كراماً ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وكذلك أمهات آبائه من أرفع قبائلهن شأناً ولا شك أن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعياً بحسب الاصول العربية ولم ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية بل طهره الله من ذلك والحمد لله

﴿ زواج عبد الله بآمنة وحملها ﴾

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه اليه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وسنه ثماني عشرة

سنة وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسباً وموضعاً ولما دخل عليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلبث أبوه أن توفي بعد الحمل بشهرين ودفن بالمدينة عند اخواله بني عديّ بن النجار فانه كان ذهب لتجارة الى الشام فادركته منيته بالمدينة وهو راجع ولما تمت مدة حمل آمنة وضعت ولدها فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم الذي بث في أرجائه روح الآداب وتمم مكارم الاخلاق وكان ذلك في ربيع الاول من عام الفيل (١) الذي يوافق سنة خمسمائة وسبعين من ميلاد المسيح عليه السلام وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم وكانت قابلته الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف ولما ولد أرسلت أمه لجده تبشره فأقبل مسروراً وسماه محمداً ولم يكن هذا الاسم شائعاً قبل عند العرب

(١) حادثة شهيرة حصلت بمكة فأرخت بها العرب كعادتهم هم وكل أمة في التاريخ بالامور المهمة وقد ذكر القرآن هذه الحادثة في سورة الفيل وحاصلها ان ملكاً من ملوك الحبشة الذين امتلكوا اليمن بعد حمير أغار على مكة وقصد هدم كعبتها وكان معه فيل عظيم لم يكن العرب رأوا مثله فاكراماً للنبي المنتظر وغيرة على بيته الكريم جعل الله كيد الاعداء في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وأراح قريشا من عناء مقاومتهم اه

ولكن أراد الله ان يحقق ما قدره وذكره في الكتب التي جاءت بها الانبياء كالتوراة والانجيل فألهم جده أن يسميه بذلك انفاذاً لامره وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه عبد الله وأول من أرضعه ثوبية أمة عمه ابي لهب

﴿ الرضاع ﴾

وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون انجب للولد وكانوا يقولون ان المربى في المدن يكون كايل الذهن فاتر العزيمة فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبنَ أطفالاً يرضعنهم فكان الرضيع المحمود من نصيب حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية واسم زوجها أبو كبشة وهو الذي كانت قريش تنسب له الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء. ودرّت البركات على أهل ذاك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده بينهم وكانت تربو عن أربع سنوات (١)

﴿ حادثة شق الصدر ﴾

وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهي شق صدره واخراج حظ الشيطان منه فأحدث ذلك عند حليمة خوفا فردته الى أمه وحدثتها قائلة بينما هو واخوته في بُهم لنا خلف بيوتنا اذا أتى أخوه يعدو فقال

(١) السيرة الحلبية

لي ولابيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه (١) فخرجت انا وأبوه نحوه فوجدناه منتقعاً لونه (٢) فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يا بنيّ فقال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فاقبلا يبتدراني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً فأخذاه وطرحاه ولا أدري ماهو

(وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب ووفاته وكفالة أبي طالب)

ثم ان امه أخذته منها وتوجهت به الى المدينة لزيارة اخوال أبيه بني عديّ بن النجار وبينما هى عائدة أدركتها منيتها في الطريق فماتت بالابواء (٣) فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب ورَقّ له رقة لم تعهد له في ولده لما كان يظهر عليه مما يدل على ان له شأناً عظيماً في المستقبل وكان يكرمه غاية الاكرام ولكن لم يلبث عبد المطلب ان توفي بعد ثماني سنوات من عمر الرسول صلى الله عليه وسلم فكفله شقيق أبيه أبو طالب فكان له رحيماً وعليه غيوراً وكان أبو طالب مقلاً من المال فبارك الله له في قليله وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في مدة كفالة عمه مثال القناعة

(١) يحركانه بسوط (٢) شبيهاً بالنقع وهو التراب
(٣) قرية بين مكة والمدينة وهى الى المدينة أقرب

والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الاطفال عادة كما روت ذلك أم أيمن حاضنته فكان اذا أقبل وقت الاكل جاء الاولاد يختطفون وهو قانع بما سييسره الله له

(السفر الى الشام المرة الاولى)

ولما بلغ سنه عليه السلام اثنتي عشرة سنة أراد عمه وكفيله السفر بتجارة الى الشام فاستعظم الرسول صلى الله عليه وسلم فراقه فرقّ له وأخذه معه وهذه هي الرحلة الاولى ولم يمكثوا فيها الا قليلا وقد أشرف على رجال القافلة وهم بقرب بصرى (١) بحيرا الراهب فسألهم عما رآه في كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب في هذا الزمن فقالوا انه لم يظهر للآن وهذه العبارة كثيراً ما كان يلهج بها أهل الكتاب من يهود ونصارى قبل بعثة الرسول « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا بهِ فلعنة الله على الكافرين » (٢)

(حرب الفجار)

ولما بلغ سنه عليه السلام عشرين سنة حضر حرب الفجار وهى حرب كانت بين كنانة ومعها قريش و بين قيس وسببها انه كان

(١) قرية على الحدود بين بلاد الشام وبلاد العرب
(٢) سورة البقرة

للنعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة (١) تجارةٌ يرسلها كل عام الى سوق عكاظ (٢) اتباع له وكان يرسلها في أمان رجل ذي منعة وشرف في قومه ليجيزها فجلس يوماً وعنده البرّاض بن قيس الكناني وكان فاتكاً خليعاً خلعه قومه لكثرة شره وعروة بن عتبة الرّحال فقال من يجيزلي تجارتي هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البراض أنا أجيزها على بني كنانة فقال النعمان انما أريد من يجيزها على الناس كلهم فقال عروة أبيت اللعن (٣) اكاب خليع يجيزها لك أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد (٤) وتهامة (٥) فقال البراض أو تجيزها على كنانة ياعروة قال وعلى الناس كلهم فأسرّها البراض في نفسه وتربص له حتى اذا خرج بالتجارة قتله

(١) بلدة غرب الفرات كان يقيم بها ملك العرب من قبل ملوك فارس فتحها خالد بن الوليد في السنة الثانية عشرة (راجع اتمام الوفاء)

(٢) سوق كانت تعقده العرب كل عام لتعرض فيه تجارتها وما قاله فصحاؤها من قصائد الفخر وما أشبه ذلك من مفاخر العرب وهي أشبه بمعارض أوربا الآن

(٣) تحية عربية ومعناها باعدت كل مايستحق المذمة

(٤) هو المرتفع من بلاد العرب وهو وسطها

(٥) هو ما انخفض من سواحل البلاد العربية والشرقي منها يسمى البحرين والفاصل بين نجد وتهامة الحجاز في الغرب واليمامة في الشرق

غدراً ثم أرسل رسولاً يخبر قومه كنانة بالخبر ويحذرهم قيساً قوم عروة أما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر أن همت لتدرك ثأرها حتى أدركوا قريشاً وكنانة بنخلة (١) فاقتتلوا ولما اشتد البأس وحميت قيس احتمت قريش بحرمها وكان فيهم رسول الله ثم ان قيساً قالوا لخصومهم انا لانترك دم عروة فموعدنا عكاظ العام المقبل وانصرفوا الى بلادهم يحرض بعضهم بعضاً فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكان معها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها من كنانة والاحابيش وهم حلفاء قريش وكان رئيس بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه اخوته أبو طالب وحمزة والعباس وابن أخيه النبي الكريم وكان على بني أمية حرب بن أمية وله القيادة العامة لمكانه في قريش شرفاً وسناً وهكذا كان على كل بطن من بطون قريش رئيس ثم تناجزوا الحرب فكان يوماً من أشد أيام العرب هولاً ولما استحل فيه من حرمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب سمي يوم الفجار وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه اكثر أخذ دية الزائد فكانت لقيس زيادة أخذ دياتها من قريش وتعهد بها حرب بن امية ورهن

(١) موضع بين مكة والطائف

لسدادها ولده أبا سفيان وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيرا ماتشبه حروب العرب تبدؤها صغيرات الامور حتى ألف الله بين قلوبهم وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الاسلام بينهم

﴿ حلف الفضول ﴾

وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف الفضول فتم في دار عبد الله بن جدعان التيمي أحد رؤساء قريش وكان المتحالفون بني هاشم وبني عبد المطلب ابني عبدمناف وبنى أسد بن عبد العزّى وبنى زهرة بن كلاب وبنى تيم بن مرّة تحالفوا وتعاقدوا ان لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه حتى تردّ اليه مظلمته وقد حضر هذا الحلف رسول الله عليه السلام مع اعمامه وقال بعد ان شرفه الله بالرسالة (لقد شهدت مع عمومتى حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب ان لى به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لاجبت) وذلك لانه عليه السلام مبعوث بمكارم الاخلاق وهذا منها وقد اقر دين الاسلام على كثير منها يرشدك الى هذا قوله عليه السلام (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وقد دعا بهذا الحلف كثيرون فأنصفوا

﴿ رحلته الى الشام المرة الثانية ﴾

ولما بلغ سنه عليه السلام خمساً وعشرين سنة سافر الى الشام

المرة الثانيـة وذلك ان خديجة بنت خويلد الاسدية (١) كانت سيدة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه فلما سمعت عن السيد من الامانة وصدق الحديث مالم تعرفه في غيره حتى سماه قومه الامين استأجرته ليخرج في مالها الى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره فسافر مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وربحا ربحاً عظيماً وظهر للسيد الكريم في هذه السفرة من البركات ماحببه في قلب ميسرة غلام خديجة

﴿ زواجه خديجة ﴾

فلما قدما مكة ورأت خديجة ربحها العظيم سرت من الامين عليه السلام وارسلت اليه تخطبه لنفسها وكان سنها نحو الاربعين وهي من أوسط قريش حسبا وأوسعهم مالا فقام الامين عليه السلام مع أعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه أبي طالب فزوجها عمها وقد خطب أبو طالب في هذا اليوم. فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ (٢) معدّ وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل شرفاً ونبلا وفضلا وان كان في المال قلاً فان

(١) من بني اسد بن عبد العزى بن قصي (٢) أصل

المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مستردّة وهو والله بعد هذا له
نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد
بذل لها من الصداق (كذا) وعلى ذلك تم الامر . وقد كانت
متزوجة قبله بأبي هالة توفي عنها وله منها ولد اسمه هالة وهو ربيب
المصطفى عليه السلام

(بناء البيت)

ولما بلغ سنه عليه السلام خمساً وثلاثين سنة جاء سيل جارف
فصدع جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان أصابها قبل
فأرادت قريش هدمها ليرفعوها ويسقفوها فانها كانت رضيمة(١)
فوق القامة فاجتمعت قبائلهم لذلك ولكنهم هابوا هدمها لمكانها في
قلوبهم فقال لهم الوليد بن المغيرة أتريدون بهدمها الاصلاح أم
الاساءة قالوا بل الاصلاح قال ان الله لا يهلك المصلحين وشرع يهدم
فتبعوه وهدموا حتى وصلوا الى أساس اسماعيل وهناك وجدوا صحافاً
نقش فيها كثير من الحكم على عادة من يضعون أساس بناء شهير
ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدمين ثم ابتدؤا في البناء وأعدوا
لذلك نفقة ليس فيها مهر بغيّ ولا بيع ربا وجعل الاشراف من
قريش يحملون الحجارة على أعناقهم وكان العباس ورسول الله فيمن

(١) بناء رضيم مبنى بالصخر اه من أساس البلاغة

يحمل وكان الذي يلي البناء نجار رومي اسمه باقوم وقد خصص لكل
ركن جماعة من العظماء ينقلون اليه الحجارة وقد ضاقت بهم النفقة
الطيبة عن اتمامه على قواعد اسماعيل فأخرجوا منها الحجر وبنوا عليه
جداراً قصيراً علامة على انه من الكعبة ولما تم البناء ثمانية عشر
ذراعاً بحيث زيد فيه عن أصله تسعة أذرع ورفع الباب عن الارض
بحيث لا يصعد اليه الا بدرج أرادوا وضع الحجر الاسود موضعه
فاختلف أشرافهم فيمن يضعه وتنافسوا في ذلك حتى كادت تشب
بينهم نار الحرب ودام بينهم هذا الخصام أربع ليال وكان أسن
رجل في قريش اذ ذاك أبو أمية بن المغيرة المخزومي والد خالد بن
الوليد فقال لهم ياقوم لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضون بحكمه
فقالوا نكل الامر لاوّل داخل فكان هذا الداخل هو الامين
المامون عليه الصلاة والسلام فاطمأن الجميع له لما يعهدون فيه من
الامانة وصدق الحديث وقالوا هذا الامين رضيناه هذا محمد لانهم
كانوا يتحاكمون اليه اذ كان لا يداري ولا يماري فلما أخبروه
الخبر بسط رداءه وقال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم وضع فيه
الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه فأخذه ووضعه فيه
وهكذا انتهت هذه المشكلة التي كثيراً ما يكون أمثالها سبباً في انتشار
حروب هائلة بين العرب لولا ان يمن الله عليهم بعاقل مثل أبي أمية

يرشدهم الى الخير وحكيم مثل الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي بينهم بما يرضي جميعهم ولا يستغرب من قريش تنافسهم هذا لان البيت قبلة العرب وكعبتهم التي يحجون اليها فكل عمل فيه عظيم به الفخر والسيادة وهو أول بيت وضع للعبادة بشهادة القرآن الكريم قال تعالى في سورة آل عمران (ان أول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) وكان يلي أمره بعد ولد اسماعيل قبيلة جرهم فلما بغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة وأجلوهم عن البيت ووليته خزاعة حينا من الدهر ثم أخذته منهم قريش في عهد قصيّ بن كلاب وبسببه أمنوا في بلادهم فكانت قبائل العرب تهابهم واذا احتموا به كان حصناً أميناً من اعتداء العادين وامتن الله عليهم بذلك في تنزيله فقال في سورة القصص (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم)

﴿ معيشته عليه السلام قبل البعثة ﴾

لم يرث عليه السلام من والده شيئاً بل ولد يتيماً عائلاً فاسترضع في بني سعد ولما بلغ مبلغا يمكنه معه ان يعمل عملا كان يرعى الغنم مع اخوته من الرضاع في البادية وكذلك لما رجع الى مكة كان يرعاها لاهلها على قراريط كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه ووجود

الانبياء في حال التجرد عن الدنيا ومشاغلها أمر لا بد منه لانهم لو وجدوا اغنياء لألهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الابدية ولذلك ترى جميع الشرائع الالهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها وحال الانبياء السالفين أعظم شاهد على ذلك فكان عيسى عليه السلام أزهد الناس في الدنيا وكذلك كان موسى وابراهيم وكانت حالهم في صغرهم ليست ذات سعة بل كلهم سواء تلك حكمة بالغة أظهرها الله على انبيائه ليكونوا نموذجاً لمتبعيهم في الامتناع عن التكالب على الدنيا والتهافت عليها وذلك سبب البلايا والمحن .

وكذلك رعاية الغنم فما من نبي الا رعاها كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق في حديث للبخاري وهذه أيضا من بالغ الحكم فان الانسان اذا استرعى الغنم وهي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفاً فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الاحوال.

ولما شبّ عليه السلام كان يتاجر وكان شريكه السائب بن أبي السائب وذهب بالتجارة لخديجة رضي الله عنها الى الشأم على جعل يأخذه. ولما شرفت خديجة بزواجه وكانت ذات يسار عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله وحقق الله له ما امتنّ عليه به في سورة الضحى بقوله جل ذكره (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالاً فهدى

ووجدك عائلا فأغنى) فالايواء والاغناء قبل النبوة والهداية بالنبوة هداه للكتاب والايمان ودين ابراهيم عليه السلام ولم يكن يدري ذلك قبل قال تعالي في سورة الشورى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا)

(سيرته في قومه قبل البعثة)

كان عليه السلام أحسن قومه خلقاً وأصدقهم حديثاً واعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال حتى كان أفضل قومه مروءة واكرمهم مخالطة وخيرهم جواراً واعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة. والفعال السديدة. من الحلم والصبر والشكر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء حتى شهد له بذلك ألدّ أعدائه النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث يقول قد كان محمد ﷺ غلاما حدثا أرضاكم فيكم واصدقكم حديثا وأعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر قال ذلك في معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه، ولما سأل هرقلُ ملك الروم أبا سفيان قائلا هل كنتم تتهمونه بالكذب

قبل أن يقول ماقال قال لا فقال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله ورد ذلك في أول صحيح البخاري. وقد حفظه الله في صغره من كل اعمال الجاهلية التي جاء شرعه الشريف بضدها (١) وبغضت اليه الاوثان بغضا شديدا حتى ما كان يحضرلها احتفالا أو عيدا مما يقوم به عبادها وقال عليه السلام (لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرّتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ماأريد من ذلك ثم ماهممت بسوء بعدهما حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فاسمرَ كما يسمرُ الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست لذلك فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني الا مس الشمس ولم أقض شيئاً ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك) وكان عليه السلام لا يأكل ماذبح على النصب (٢) وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه في قومه شيوعاً عظيماً وذلك كله من الصفات التي يحلي الله بها أنبياءه ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقي وحيه فهم معصومون من الادناس قبل النبوة

(١) الشفاء للقاضي عياض

(٢) هي حجارة تنصب تصب عليها دماء الذبائح وتعبد

و بعدها أما قبل النبوّة فليتأهلوا للامر العظيم الذي سيسند اليهم وأما بعدها فليكونوا قدوة لاممهم. عليهم من الله أفضل الصلوات وأتم التسليمات

﴿ ماأكرمه الله به قبل النبوّة ﴾

أوّل منحة من الله له ماحصل من البركات على آل حليمة الذين كان مسترضعاً فيهم فقد كانوا قبل حلوله بناديهم مجدبين فلما صار بينهم صارت غنيماتهم تؤوب من مَرْعاها وان أضراعها لتسيل لبنا ويرحم الله البوصيري حيث يقول في همزيته

واذا سخر الاله أناساً * لسعيد فانهم سعداء

ثم اعقب ذلك ماحصل من شق صدره واخراج حظ الشيطان منه وليس هذا بالعجب على قدرة الله تعالى فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لايعرف من قوّة الله شيئاً لان خرق العادات للانبياء ليس بالامر المستحدث ولا المستغرب. ومن المكرمات الالهية تسخير الغمامة له في سفره الى الشام حتى كانت تظله في اليوم الصائف لايشترك معه أحد في القافلة كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذي كان مشاركاً له في سفره وهذا ماحببه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن له في المستقبل شأناً ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس ايماناً به ولم تنتظر آية أخرى زيادة على ماعلمته من

مكارم الاخلاق وما سمعته من خوارق العادات. ومن منن الله عليه ما كان يسمعه من السلام عليه من الاحجار والاشجار (١) فكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بناء ويفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا سمع الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه وليس في ذلك كبير اشكال فقد سخر الله الجمادات للانبياء قبله فعصا موسى التقمت ماصنع سحرة فرعون بعد ان تحولت حية تسعى ثم رجعت كما كانت ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتى عشرة عينا لكل سبط من أسباط بني اسرائيل عين وكذلك غيره من الانبياء سخر الله لهم ماشاء من أنواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم

(تبشير التوراة به)

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التي تناسب أهل ذاك الزمن ونوّه فيها بذكر كثير من الانبياء الذين علم الله انه سيرسلهم فمما جاء فيها تبشيراً برسولنا الكريم خطاباً لسيدنا موسى عليه السلام (٢) (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين اخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به ومن لم يطع كلامه الذي

(١) السيرة الحلبية (٢) الاصحاح الثامن سفرا لتثنية

يتكلم به باسمي فأنا الذي انتقم منه فأما النبي الذي يجترئ علي بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل واذا احببت ان تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك ان ماقاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لاتخشاه) ويقول اليهود ان هذه البشارة ليوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام مع انهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً آخر غير المسيح فانهم (١) أرسلوا ليوحنا المعمد ان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت ايليا فقال لا فقالوا أنت المسيح فقال لا فقالوا انت النبي فقال لا فقالوا ما بالك اذا تعمد اذا كنت لست ايليا ولا المسيح ولا النبي. فهذه تدل على ان التوراة تبشر بايليا والمسيح ونبي لم يأت حتي زمن المسيح ثم ان التوراة تقول في صفة النبي انه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على انه لم يقم في بني اسرائيل نبي مثل موسى وورد في هذه البشارة ان النبي الذي يفتري على الله يقتل ويشبه ذلك في القرآن قوله تعالى في سورة الحاقة (ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) (٢) ونبينا صلى الله عليه وسلم مكث بين اعدائه الالدّاء من مشركين ويهود ثلاثا وعشرين

(١) الاصحاح الاول من انجيل يوحنا

(٢) عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه

سنة يدعوهم فيها الى الله ومع ذلك عصمه الله منهم وأنزل عليه تطمينا لخاطره في سورة المائدة (والله يعصمك من الناس) أ كان يعجز الله وهو القادر على كل شيء ان يعاقب من ينسب اليه مالم يقله وهو الذي قال في سورة الشورى (أم يقولون افترى على الله كذباً فان يشأ الله يختم على قلبك ويمحُ الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليمٌ بذات الصدور) وقد أخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهي الاخبار بما سيأتي وقد اخبر النبي عليه السلام عن اشياء كثيرة فحدثت كما اخبر عنها ومنها مالا ينفع معه الحدْس والتخمين كالاخبار بأن الروم سيغلبون بعد ان قهرهم الفرس قهراً شديداً حتي كادوا يحتلون القسطنطينية عاصمة ملكهم فالاخبار اذاً بأن الروم سيردون مافقد منهم بعد بضع سنين لايكون الا من عند الله ولذلك استغرب به جداً بعض المشركين من قريش وراهن على ذلك أبا بكر الصديق رضي الله عنه وقد حقق الله الخبر فاستحق الصديق الرهن وهذا قليل من كثير سيأتيك تفصيله ان شاء الله تعالى

وروي القاضي عياض في الشفاء ان عطاء بن يسار سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله عليه السلام فقال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك

شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب (١) في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صماً وقلوبا غلفاً

وروى مثله عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي كان رئيس اليهود فلم تعمه الرياسة حتي يترك الدين القويم وكذلك كعب الاحبار وفي بعض طرق الحديث ولا صخب في الاسواق ولا قوال للخنا أسدّده لكل جميل وأهبُ له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوي ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمى به بعد النكرة واكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وامم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس. وقد أخبر عليه السلام عن صفته في التوراة فقال وهو الصادق الامين عبدى أحمد المختار مولده مكة ومهاجره بالمدينة

(١) شديد الصوت

أو قال طيبة وأمته الحما دون الله على كل حال

(تبشير الانجيل)

بشر عيسى عليه السلام قومه في الانجيل بالفارقليط ومعناه قريب من محمد أو أحمد ويصدقه في القرآن قول الله تعالى في سورة الصف (واذا قال عيسى ابنُ مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد) وقد وصف المسيح هذا الفارقليط باوصاف لا تنطبق الا على نبينا فقال انه يوبخ العالم على خطيئته وانه يعلمهم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع وهذا ما ورد في القرآن الكريم في سورة النجم (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحيٌ يوحى) وقد ورد في انجيل برنابا الذى ظهر منذ زمن قريب واخفته حجب الجهالة ذكر اسم الرسول عليه السلام صراحة

(حركة الافكار قبل البعثة)

وهذا يسهل لك فهم الحركة العظيمة من الاحبار والرهبان قبيل البعثة فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة برسول منتظر فقد حدث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا للاسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا نسمع من أحبار يهود كنا

أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عادوارم فكثيراً مانسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمداً أجبنا حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا وكفروا وانما قال لهم اليهود نقتلكم معه قتل عادوارم لان من صفته عليه السلام في كتبهم ان هذا النبي يستأصل المشركين بالقوة ولم يكونوا يظنون ان الحسد والبغي سيتمكنان من افئدتهم فينبذون الدين القيم فيحق عليهم العذاب في الدنيا والآخرة وكان أمية بن أبي الصلت المتنصر العربي كثيراً ما يقول اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا. وحدث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن نفسه انه صحب قسيساً فكان يقول له ياسلمان ان الله سوف يبعث رسولاً اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته ان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة. وهذا الحديث كان من أسباب اسلام سلمان ولما راسل عليه السلام ملوك الارض لم يهن كتابه الا كسرى الذي ليس عنده علم من الكتاب أما جميع ملوك النصارى كالنجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وقيصر ملك الروم فأكرموا وفادة رسله ومنهم من آمن كالنجاشي ومنهم من رد ردا لطيفا وكاد يسلم

لولا غلبة الملك كقيصر ومنهم من هادى كالمقوقس ولم يكن عليه السلام في قوة يرهب بها هؤلاء الملوك اللهم ماذاك الا لانهم يعلمون ان المسيح عليه السلام بشر برسول يأتي من بعده و وافقت صفات رسولنا ماعندهم فاجابوا بالتي هي أحسن. أما ماسمع من الهواتف والكهان قبيل زمنه فهو مالا يدخل تحت حصر وليس بعد ماذكرته لك زيادة لمستكثر ومع ذلك كله فالاعمال التي جاد الله بها على يديه والاقوال التي أتانا بها أعظم مقوّ لحجته ومؤيد لدعوته. وسيأتي عليك بيان ذلك كله بأجلى بيان فتأمله ترشد هداك الله الى الصراط السوى

(بدء الوحي)

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهو اربعون سنة أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم. وأول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وذلك لما جرت به عادة الله في خلقه من التدريج في الامور كلها حتى تصل الى درجة الكمال ومن الصعب جداً على البشر تلقي الوحي من الملك لاول مرة ثم حبب اليه عليه السلام الخلاء ليبتعد عن ظلمات هذا العالم وينقطع عن الخلق الى الله فان في العزلة صفاء

السريرة وكان يخلو بغار (١) حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد فتارة عشرا وتارة اكثر الى شهر وكانت عبادته على دين أبيه ابراهيم عليه السلام ويأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع الى خديجة فيتزوّد لمثلها حتي جاءه الحق وهو في غار حراء فبينما هو قائم في بعض الايام على الجبل اذ ظهر له شخص وقال ابشر يامحمد أنا جبريل وأنت رسول الله الى هذه الامة ثم قال له اقرأ قال ماأنا بقارئ فانه عليه السلام أمي لم يتعلم القراءة قبلاً فأخذه فغطه بالنمط الذي كان ينام عليه حتي بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال اقرأ فقال ماأنا بقارئ فأخذه فغطه ثانية ثم أرسله فقال اقرأ قال ماأنا بقارئ فأخذه فغطه الثالثة ثم أرسله فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) فرجع بها عليه السلام يرجف فؤاده مما ألمّ به من الروع الذي استلزمته مقابلة الملك لاول مرة فدخل على خديجة زوجه فقال زملوني (٢) زملوني لتزول عنه هذه القشعريرة فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي لان الملك غطه حتى كاد يموت ولم يكن له عليه السلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكله فقالت كلا والله مايخزيك الله أبدا

(١) جبل على مقربة من مكة (٢) لفوني في ثوب

انك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يسلط الله عليك الشياطين أو الاوهام ولا مراء أن الله اختارك لهداية قومك ولتتأكد خديجة مما ظنته أرادت أن تتثبت ممن لهم علم بحال الرسل ممن اطلعوا على كتب الاقدمين فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة ياابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ياابن أخي ماذا ترى فأخبره عليه السلام خبر مارأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى لانه يعرف ان رسول الله الى أنبيائه هو جبريل ثم قال ياليتني فيها جذعاً (شاباً جلداً) اذ يخرجك قومك من بلادك التي نشأت بها لمعاداتهم اياك وكراهيتهم لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم فاستغرب عليه السلام مانسب لقومه مع مايعلمه من حبهم له لاتصافه بمكارم الاخلاق وصدق القول حتي سموه الامين وقال أومخرجيّ هم قال لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودى. وقد نطق بذلك القرآن الكريم قال تعالى في سورة ابراهيم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أولتعودنّ في ملتنا) ولتمام تصديق ورقة برسالة

الرسول الاكرم عليه السلام قال وان يدركني يومك أنصرك نصراً
مؤزراً (معضداً) ثم لم يلبث ورقة أن توفى

(فترة الوحي)

وفتر الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون وأرجح اقوالهم فيها
اربعون يوماً ليشتد شوق الرسول للوحي وقد كان فان الحال اشتدت
به عليه السلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بدا له أن يرمي نفسه
منها حذراً من قطيعة الله له بعد ان أراه نعمته الكبرى وهي
اختياره لان يكون واسطة بينه وبين خلقه فيتبدى له الملك قائلاً
أنت رسول الله حقاً فيطمئن خاطره ويرجع عما عزم عليه حتي أراد
الله أن يظهر الوجود نور الدين فعاد اليه الوحي

(عود الوحي)

فبينما هو يمشي اذ سمع صوتاً من السماء فرفع اليه بصره فاذا الملك
الذي جاءه بحراء جالس بين السماء والارض فرُعب منه لتذكر
مافعله في المرة الاولى فرجع وقال دثروني دثروني فأنزل الله تعالى
عليه (يأيها المدثر قم فأنذر) حذر الناس من عذاب الله ان لم
يرجعوا عن غيهم وما كان يعبد آباؤهم (وربك فكبر) خصه
بالتعظيم ولا تشرك معه في ذلك غيره (وثيابك فطهر) لتكون
مستعداً للوقوف بين يدي الله اذ لا يليق بالمؤمن أن يكون مستقذراً

نجساً (والرُّجزَ فاهجرْ) أي اهجر أسباب الرجز وهو العذاب بأن
تطيع الله وتنفذ أمره (ولا تمنن تستكثر) ولاتهبْ أحداً هبةوأنت
تطمع أن تستعيض من الموهوب له أكثر مما وهبك فهذا ليس من
شأن الكرام (ولربك فاصبر) على ماسيلحقك من أذى قومك حينما
تدعوهم الى الله

﴿ الدعوة سراً ﴾

فقام عليه السلام بالامر ودعا لعبادة الله أقواماً جفاةً لا دين لهم
الا ان يسجدوا لاصنام لاتنفع ولا تضر ولا حجة لهم الا انهم متبعون
لما كان يعبد آباؤهم وليس عندهم من مكارم الاخلاق الاما كان
مرتبطاً بالعزة والانفة وهو الذي كثيراً ما كان سبباً في الغارات
والحروب واهراق الدماء فجاءهم رسول الله بما لا يعرفونه فذوو العقول
السليمة بادروا الى التصديق وخلع الاوثان ومن أعمته الرياسة ادبر
واستكبر كيلا تسلب منه عظمته . وكان أوّل من سطع عليه نور
الاسلام خديجة بنت خويلد زوجه وعلي بن ابي طالب ابن عمه
وكان مقيماً عنده يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره لان قريشاً كانوا قد
أصابهم مجاعة وكان أبو طالب مقلاً كثير الاولاد فقال عليه السلام
لعمه العباس بن عبد المطلب ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس
فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه لنخفف من عياله تأخذ واحداً

وأنا واحداً فانطلقا وعرضا عليه الامر فأخذ العباس جعفر بن أبي طالب وأخذ عليه السلام علياً فكان في كفالته كأحد أولاده الى أن جاءت النبوّة وقد ناهز الاحتلام فكان تابعاً للنبي في كل أعماله ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الاوثان واتباع الهوى وأجاب أيضاً زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولاه عليه السلام وكان يقال له زيد ابن محمد لانه لما اشتراه أعتقه وتبناه وكان المتبنّى معتبراً كابن حقيقي يرث ويورث وأجابت أيضاً أم أيمن حاضنته التي زوجها لمولاه زيد . وأول من أجابه من غير اهل بيته أبو بكر بن أبي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي كان صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوّة يعلم ما اتصف به من مكارم الاخلاق ولم يعهد عليه كذباً منذ اصطحبا فأول ما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق وقال بأبي أنت وأمي أهل الصدق أنت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله . كان رضي الله عنه صدراً معظماً في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من أعف الناس سخيا يبذل المال محبباً في قومه حسن المجالسة ولذلك كله كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الوزير فكان يستشيره في أموره كلها وقال في حقه (ما دعوت أحداً الى الاسلام الا كانت

له كبوة غير أبي بكر) وكانت الدعوة الى الاسلام سراً حذراً من مفاجأة العرب بأمر شديد كهذا فيصعب استسلامهم فكان عليه السلام لا يدعو الا من يثق به ودعا ابو بكر الى الاسلام من يثق به من رجال قريش فأجابه جمع (منهم) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي القرشي ولما علم عمه الحكم باسلامه أوثقه كتافاً وقال ترغب عن دين آبائك الى دين مستحدث والله لا أحلك حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وكان شاباً لا يتجاوز العشرين من عمره (ومنهم) الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى القرشي وأمه صفية بنت عبد المطلب وكان عم الزبير يرسل الدخان عليه وهو مقيد ليرجع الى دين آبائه فقوّاه الله بالثبات وكان شاباً لا يتجاوز سن الاحتلام (ومنهم) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة ابن كلاب الزهري القرشي وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه عليه السلام عبد الرحمن (ومنهم) سعد بن ابي وقاص بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري القرشي ولما علمت أمه حمنة بنت ابي سفيان بن أمية باسلامه قالت له يا سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف من الحر والبرد وان الطعام والشراب

عليّ حرام حتى تكفر بمحمد وبقيت كذلك ثلاثة أيام فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه أمر أمه فنزل في ذلك تعليماً قول الله تعالى في سورة العنكبوت (ووصينا الانسان بوالديه حسناً وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما اليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) وصاه جل ذكره بوالديه وأمره بالاحسان اليهما مؤمنين كانا أو كافرين اما اذا دعواه للاشراك فالمعصية متحتمة لان كل حق وان عظم ساقط هنا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال اليّ مرجعكم من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفي ختام هذه الآية فائدتان التنبيه على ان الجزاء الى الله فلا تحدث نفسك بجفوتهما لاشراكهما والحض على الثبات في الدين لئلا ينال شرجزاء في الاخرى (ومنهم) طلحة بن عبيد الله ابن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي وقد كان عرف من الرهبان ذكر الرسول وصفته فلما دعاه أبو بكر وسمع من رسول الله مانفعه الله به ورأى الدين متينا بعيدا عما عليه العرب من المثالب بادر الى الاسلام (وممن) سبقوا الى الاسلام صهيب الرومي وكان من الموالي وعمار بن ياسر العنسي وقد قال رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه الا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر وكذلك أسلم أبوه ياسر وأمه سمية (ومن) السابقين الأوّلين

عبد الله بن مسعود كان يرعي الغنم لبعض مشركي قريش فلما رأى الآيات الباهرة وما يدعو اليه عليه السلام من مكارم الاخلاق ترك عبادة الاوثان ولزم رسول الله وكان رضي الله عنه كثير الدخول على الرسول لايحجب ويمشى أمامه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما في ذراعيه (ومن) السابقين الاولين ابو ذرّ الغفارى وكان من أعراب البادية فصيحاً حلو الحديث ولما بلغه مبعث رسول الله قال لاخيه اركب الى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الاخ حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول ثم رجع الى أبي ذر فقال رأيته يأمر بمكارم الاخلاق ويقول كلاما ماهو بالشعر فقال ماشفيتني مما اردت فتزوّد وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فاتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره ان يسأل عنه لما يعرفه من كراهة قريش لكل من يخاطب رسول الله حتى اذا ادركه الليل رآه على فعرف انه غريب فاضافه عنده ولم يسأل احدمنهما صاحبه عن شئ (على قاعدة الضيافة عند العرب لا يسأل الضيف عن سبب قدومه الا بعد ثلاث) فلما اصبح احتمل قربته وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه الرسول حتى امسي فعاد الى مضجعه فمرّ

به عليّ فقال اما نال للرجل أن يعرف منزله الذي أضيف به بالامس فأقامه فذهب معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى اذا كان اليوم الثالث عاد على مثل ذلك ثم قال له عليّ ألا تحدثني ما الذي اقدمك قال ان أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ففعل فأخبره قال فانه حق وهو رسول الله فاذا أصبحت فاتبعني فاني ان رأيت شيئاً أخافه عليك قمت كأني أريق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يتبع اثره حتي دخل على النبي ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه فقال له النبي ارجع الى قومك فاخبرهم حتى يأتيك امري قال والذي نفسي بيده لاصرخنّ بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فقام القوم فضربوه حتي اضجعوه وأتى العباس فأكبّ عليه وقال ويلكم أولستم تعلمون أنه من غفار وان طريق تجارتكم الى الشام عليه فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا اليه فأكب العباس عليه (رواه البخاري) كان رضي الله عنه من أصدق الناس قولاً وأزهدهم في الدنيا (ومن) السابقين سعيد بن زيد العدوي القرشي وزوجه فاطمة بنت الخطاب أخت عمر وأم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية زوج العباس بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن

هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي القرشي ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه أم سلمة وعثمان ابن مظعون الجمحي القرشي وأخواه قدامة وعبد الله والارقم بن أبي الارقم المخزومي القرشي (ومن) السابقين الاولين خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس الاموي القرشي كان أبوه سيد قريش اذا اعتم لم يعتم قرشي اجلالاً له وكان سعيد قد رأى في منامه انه سيقع في هاوية فأدركه رسول الله وخلصه منها فجاء اليه وقال الى مَ تدعو يا محمد قال أدعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع والاحسان الى والديك وأن لا تقتل ولدك خشية الفقر وأن لا تقرب الفاحشة ما ظهر منها وما بطن وأن لا تقتل نفساً حرّم الله قتلها الا بالحق وأن لا تقرب مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ اشدّه وأن توفي الكيل والميزان بالقسط وأن تعدل في قولك ولو حكمت على ذوي قرباك وان توفي لمن عاهدت فأسلمَ رضي الله عنه وحينئذ غضب عليه أبوه وآذاه حتى منعه القوت فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن ابيه في ضواحي مكة وأسلم بعده أخوه عمرو بن سعيد وهكذا دخل هؤلاء الاشراف في دين الاسلام ولم يكن مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين وليس معه مايرغب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم وذا الثروة منهم ويتبعوا الرسول ليأكلوا من فضل ماله بل كان الكثير منهم واسع الثروة اكثر منه عليه السلام كأبي بكر وعثمان وخالد بن سعيد وغيرهم والذين اتبعوه من الموالي اختاروا الاذى والجوع والمشقات مع اتباع الرسول بحيث لو اتبعوا ساداتهم لكانوا في هذه الدنيا أهدأ بالاً وأنعم عيشة اللهم ليس ذلك الاّ من هداية الله وسطوع انوار الدين عليهم حتى أدركوا ماهم عليه من الضلالة وما عليه الرسول من الهدى

(الجهر بالتبليغ)

مضت كل هذه المدة والنبي عليه السلام لا يظهر الدعوة فى مجامع قريش العمومية ولم يكن المسلمون يتمكنون من اظهار عبادتهم حذراً من تعصب قريش فكان كل من اراد العبادة ذهب الى شعاب مكة يصلى مستخفياً. ولما دخل في الدين ما يربو على الثلاثين وكان من اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم و يعلمهم اختار لذلك دار الارقم بن أبي الارقم وهو ممن ذكرنا اسلامهم ومكث عليه السلام يدعو سراً حتى نزل عليه قوله تعالى في سورة الحجر (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فبدل الدعوة سراً

بالدعوة جهراً ممتثلاً أمر ربه واثقاً بوعده ونصره فصعد على الصفا فجعل ينادى يابنى فهر يابنى عدي لبطون قريش فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر الخبر فجاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريشا فقال عليه السلام أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم اكنتم مصدّقيّ قالوا نعم ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تباً لك ألهذا جمعتنا فانزل الله في شأنه (تبت يدا أبي لهب وتبّ ماأغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) والقصد من حمل الحطب المشي بالنميمة لانها كانت تقول على رسول الله الاكاذيب في نوادي النساء. ثم نزل عليه في سورة الشعراء (وأنذر عشيرتك الاقربين) وهم بنو هاشم وبنو المطلب و بنو نوفل و بنو عبد شمس أولاد عبد مناف (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك) أي العشيرة الاقربون (فقل اني بريء مما تعملون) فجمعهم عليه السلام وقال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ماغررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتنّ كما تنامون ولتبعثنّ كما تستيقظون ولتحاسبنّ بما تعملون

ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءاً وانها لجنة أبداً أو لنار أبداً فتكلم القوم كلاما ليناً غير عمه أبي لهب الذي كان خصما لدودا فانه قال خذوا على يديه قبل ان تجتمع عليه العرب فان اسلمتموه اذا ذللتم وان منعتموه قتلتم فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم انصرف الجمع

ولما جهر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعوة سخرت منه قريش واستهزؤا به في مجالسهم فكان اذا مر عليهم يقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لا يزيدون على ذلك فلما عاب آلهتهم وسفه عقولهم وقال لهم والله ياقوم لقد خالفتم دين أبيكم ابراهيم ثارت في رؤسهم حمية الجاهلية غيرةً على تلك الآلهة التي كان يعبدها آباؤهم فذهبوا الى عمه أبي طالب سيد بني هاشم الذي أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه فطلبوا منه أن يخلي بينهم و بينه أو يكفه عما يقول فردهم ردا جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله لما يريده لا يصده عن مراده شيء فتزايد الامر واضمرت قريش الحقد والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحث بعضهم بعضاً على ذلك ثم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى وقالوا له ان لك سنا وشرفا ومنزلة منا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر

على هذا من شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب آلهتنا فانهم كانوا اذا احتجوا في استمرارهم على عدم اتباع الحق بتقليد آبائهم ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت له قال تعالى في سورة البقرة (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون) وقال في سورة المائدة (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) وقال في سورة لقمان (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) وقال في سورة الزخرف في بيان حجتهم الداحضة (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) ولما شبههم بمن قبلهم من الامم في هذه المقالة الدالة على التعصب والعناد قال (قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) فلما تمسكوا بحجة التقليد لآبائهم جر ذلك الى وصف آبائهم بعدم العقل وعدم الهداية فهاج ذلك أضغانهم وقالوا لابي طالب اما ان تكفه أو ننازله واياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا فعظم على ابي طالب فراق قومه ولم يطب نفساً بخذلان ابن اخيه فقال له يا ابن أخي ان القوم جاؤني

فقالوا لي كذا فأبقِ على نفسك ولا تحملني من الامر مالا اطيق فظن الرسول ان عمه خاذله فقال والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الامر مافعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه ثم بكى وولى فقال أبو طالب اقبل ياابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب فقل ماأحببت والله لاأسلمك

﴿ الايذاء ﴾

ورأى رسول الله من المشركين كثير الاذى وعظيم الشدة خصوصاً اذا ذهب الى الصلاة عند البيت وكان من أعظمهم أذى لرسول الله جماعة سموا لكثرة أذاهم بالمستهزئين (فأولهم) وأشدهم ابو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي قال يوماً يامعشر قريش ان محمداً قد أتى ماترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم اني أعاهد الله لاجلسن له غداً بحجر لاأطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فاسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف مابدا لهم فلما اصبح أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ينتظره وغدا عليه السلام كما كان يغدو الى صلاته وقريش في أنديتهم ينتظرون ماأبو جهل فاعل فلما سجد عليه السلام احتمل ابوجهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه من الفزع ورمي حجره

من يده فقام اليه رجال من قريش فقالوا مالك ياأبا الحكم قال قمت اليه لافعل ماقلت لكم فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل والله مارأيت مثله قط همّ بي ان يأكلني فلما ذكر ذلك لرسول الله قال ذاك جبريل ولو دنا لاخذه وكان ابو جهل كثيراً ماينهي الرسول عن صلاته في البيت فقال له مرة بعد ان رآه يصلي ألم أنهك عن هذا فأغلظ له رسول الله القول وهدّده فقال اتهددني وأنا اكثر اهل الوادي نادياً فأنزل الله تهديداً له في آخر سورة اقرأ (كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لاتطعه واسجد واقترب) ومن أذيته للرسول ماحكاه عبدالله بن مسعود من رواية البخاري قال كنا مع رسول الله في المسجد وهو يصلى فقال أبو جهل الارجل يقوم الى فرث جزور بنى فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد فقام عقبة بن ابي معيط بن ابي عمرو بن أمية بن عبد شمس وجاء بذلك الفرث فالقاه علي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم ولم يزل عليه السلام ساجداً حتي جاءت فاطمة بنته فاخذت القذر ورمته لما قام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح فقال اللهم عليك الملأ من قريش وسمي اقواما قال ابن مسعود فرأيتهم قتلوا يوم بدر ومما

حصل لرسول الله مع أبي جهل ان هذا ابتاع اجمالا من رجل يقال له الاراشي فمطله باثمانها فجاء الرجل مجمع قريش يريد منهم مساعدة علي أخذ ماله فدلوه على رسول الله لينصفه من أبي جهل استهزاء لما يعلمونه من أفعال ذاك الشقي بالرسول فتوجه الرجل اليه وطلب منه المساعدة على أبي جهل فخرج معه حتى ضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج منتقعاً لونه فقال له الرسول أعط هذا حقه فقال أبو جهل لاتبرح حتى تأخذه فلم يبرح الرجل حتى أخذ دينه فقالت قريش ويلك ياأبا الحكم مارأينا مثل ماصنعت قال ويلكم والله ماهو الا ان ضرب على بابي حتى سمعت صوتاً ملئت منه رعباً وان فوق رأسي فحلا من الابل مارأيت مثله (ومن جماعة المستهزئين) أبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله كان أشد عليه من الاباعد فكان يرمى القذر على بابه لانه كان جارا له فكان الرسول يطرحه ويقول يابنى عبد مناف أيّ جوار هـذا وكانت تشاركه في قبيح عمله زوجه ام جميل بنت حرب بن أمية فكانت كثيراً ماتسب رسول الله وتتكلم فيه بالنائم وخصوصاً بعد ان نزل فيها وفي زوجها سورة أبي لهب (ومن) المستهزئين عقبة بن أبي معيط كان الجار الثاني لرسول الله وكان يعمل معه كأبي لهب صنع مرة وليمة ودعا لها كبراء قريش وفيهم رسول الله فقال عليه السلام والله لا آكل

طعامك حتى تؤمن بالله فتشهد فبلغ ذلك أبيّ بن خلف الجمحى القرشي وكان صديقا له فقال ماشيء بلغني عنك قال لاشيء دخل منزلي رجل شريف فابى ان يأكل طعامي حتى اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له قال ابي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ عنقه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فلما رأى عقبة رسول الله فعل به ذلك فأنزل الله فيه في سورة الفرقان (ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ياويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) ومن اشد ماصنعه ذلك الشقي برسول الله مارواه البخاري في صحيحه قال بينما النبي يصلي في حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربيَ الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) (ومن) جماعة المستهزئين العاصي بن وائل السهمي القرشي والد عمرو بن العاص كان شديد العداوة لرسول الله وكان يقول غرّ محمد اصحابه ان يحيوا بعد الموت والله مايهلكنا الا الدهر فقال الله رداً عليه في دعواه في سورة الجاثية (وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا

وما يهلكنا الا الدهر مالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون)وكان
عليه دين لخباب بن الارت احد رجال المسلمين فتقاضاه اياه فقال
العاصي أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه ان في الجنة
مايبتغي اهلها من ذهب أو فضة او ثياب او خدم قال خباب بلى
قال فانظرني الى هذا اليوم فسأوتى مالاً وولداً وأقضيك دينك
فأنزل الله فيه في سورة مريم (افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال
لاوتين مالاً وولداً أطلعَ الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا
سنكتب مايقول ونمدُّ لهُ من العذاب مداً ونرثه مايقول ويأتينا
فرداً) (ومن) جماعة المستهزئين الاسود بن عبد يغوث الزهري
القرشي من بني زهرة اخوال رسول الله كان اذا رأى اصحاب
النبي مقبلين يقول قد جاءكم ملوك الارض استهزاء بهم لانهم كانوا
متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول لرسول الله سخرية
اما كلمت اليوم من السماء (ومنهم)الاسود بن المطلب الاسدي ابن
عم خديجه كان هو وشيعته اذا مر عليهم المسلمون يتغامزون وفيهم
نزل في سورة التطفيف (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا
يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا
فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) (ومنهم) الوليد بن
المغيرة عم ابي جهل كان من عظماء قريش وفي سعة من العيش سمع

القرآن مرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقومه بني مخزوم
والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ماهو من كلام الانس ولا
من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان
أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد
لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فتوجه وقعد اليه
حزيناً وكلمه بما أحماه فقام فاتاهم فقال تزعمون أن محمداً مجنون فهل
رأيتموه يهوس وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه
شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل
جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا
فما هو ففكر قليلا ثم قال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل
وأهله وولده ومواليه فارتج النادي فرحاً فانزل الله في شأن الوليد
في سورة المدّثر مخاطباً لرسوله (ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له
مالاً ممدوداً . وبنين شهوداً . ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا
انه كان لآياتنا عنيداً . سأرهقه صعوداً . انه فكر وقدّر . فقتل كيف
قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر.
فقال ان هذا الا سحر يؤثر. ان هذا الا قول البشر . سأصليه سقر)
وانزل فيه أيضا في سورة ن (ولا تطع كل حلاّف) كثير الحلف
وكفى بهذا زاجراً لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير وأراد به الكذاب

لانه حقير في نفسه (هماز) عياب طعان (مشاء بنميم) ينقل الاحاديث للافساد بين الناس (مناع للخير معتد أثيم. عتل) غليظ جاف (بعد ذلك زنيم) دخيل (أن كان ذامال و بنين. اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين. سنسمه على الخرطوم) كناية عن الاذلال والتحقير لان الوجه اكرم عضو والانف أشرف مافيه ولذلك اشتقوا منه كل مايدل على العظمة كالانفة وهي الحمية فالوسم على أشرف عضو دليل الاذلال والاهانة (ومن) المستهزئين النضر بن الحارث العبدري من بني عبد الدار بن قصي كان اذا جلس رسول الله مجلساً للناس يحدثهم و يذكرهم ما أصاب من قبلهم قال النضر هلموا يامعشر قريش فانى أحسن منه حديثاً ثم يحدث عن ملوك فارس وكان يعلم أحاديثهم ويقول ما أحاديث محمد الا أساطير الاولين وفيه نزل في سورة لقمان (ومن الناس من يشتري لهوَ الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزُواً أولئك لهم عذاب مهين. واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وَقراً فبشره بعذاب أليم) وكل هؤلاء انتقم الله منهم كما قال تعالى في التنزيل في سورة الحجر (انا كفيناك المستهزئين . الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) وقد وضع الله جل ذكره الوعد في صورة الماضي للتحقق من وقوعه لان الآية مكية

وهلاك هذه الفئة كان بعد الهجرة فمنهم من قتل كابي جهل والنضر ابن الحارث وعقبة بن أبي معيط ومنهم من ابتلاه الله بامراض شديدة فهلك منها كابي لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة

(اسلام حمزة)

وكان بعض ايذائهم هذا سبباً لاسلام عمه حمزة بن عبد المطلب فقد أدركته الحمية عند ماعيرته بعض الجواري بايذاء أبي جهل لابن أخيه فتوجه الى ذلك الشقي وغاضبه وسبه وقال كيف تسب محمدا وأنا على دينه ثم أنار الله بصيرته بنور اليقين حتى صار من أحسن الناس اسلاماً وأشدهم غيرة على المسلمين وأقواهم شكيمة على أعداء الدين حتى سمي أسد الله

وكما أوذي الرسول عليه الصلاة والسلام أوذي أصحابه لاتباعهم له وخصوصاً من ليس له عشيرة تحميه وترد كيد عدوه عنه وكل هذا الاذى كان حلوا في اعينهم مادام فيه رضا الله فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتهم الله حتى اتم امره على ايديهم وصاروا ملوك الارض بعد ان كانوا مستضعفين فيها كما قال جل ذكره في سورة القصص (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) وقد حقق ما اراد (ومن) الذين اوذوا في الله بلال بن رباح كان مملوكا لامية بن خلف الجمحي القرشي فكان يجعل في عنقه

حبلا و يدفعه الى الصبيان يلعبون به وهو يقول أحدٌ أحدٌ لم يشغله ماهو فيه عن توحيد الله وكان أمية يخرج به في وقت الظهيرة في الرّمضاء وهي الرمل الشديد الحرارة لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لاتزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحد أحد مر به أبو بكر يوماً فقال يا أمية أما تتقي الله في هذا المسكين حتي متى تعذبه قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى فاشتراه منه واعتقه فانزل الله فيه وفي أمية في سورة الليل (فانذرتكم نارا تلظى. لا يصلاها الا الاشقى) أمية بن خلف (الذي كذب وتولى. وسيجنبها الاتقى) الصديق (الذي يؤتي ماله يتزكى. وما لاحد عنده من نعمة تجزى. الا ابتغاء وجه ربه الاعلى. ولسوف يرضى) بما يعطيه الله في الاخرى جزاء أعماله. وقد نبه الله جل ذكره على ان بذل الصديق ماله في شراء بلال وعتقه لم يكن الا ابتغاء وجه ربه وكفى بهذا شرفا وفضلا للصديق رضى الله عنه وارضاه وقد اعتق غير بلال جماعة من الارقاء اسلموا فعاقبهم مواليهم (منهم) حمامة أم بلال وعامر بن فهيرة كان يعذب حتى لا يدري مايقول وأبو فكيهة كان عبدا لصفوان بن أمية بن خلف (ومنهم) امرأة تسمى زنيرة عذبت في الله حتى عميت فلم يزدها ذلك الا ايمانا وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون لهؤلاء

واتباعهم لو كان ماأتى به محمد خيراً ماسبقونا اليه افتسبقنا زنيرة الى رشد فانزل الله في سورة الاحقاف (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) (وممن) أعتق ابو بكر بعد شرائه أم عنيس كانت امة لبني زهرة وكان يعذبها الاسود بن عبد يغوث (وممن) عذب في الله عمار ابن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا يعذبون بالنار فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت أما ابو عمار وأمه فماتا تحت العذاب رحمهما الله واما هو فثقل عليه العذاب فقال بلسانه كلمة الكفر فان اباجهل كان يجعل له دروع الحديد في اليوم الصائف ويلبسه اياها فقال المسلمون كفر عمار فقال عليه السلام عمار ملئ ايمانا من فرقه الى قدمه وانزل الله في شأنه استثناء في حكم المرتد فقال جل ذكره في سورة النحل (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) (وممن) أوذي في الله خباب بن الارتّ سبي في الجاهلية فاشترته ام انمار وكان حدادا وكان النبي يألفه قبل النبوة فلما شرفه الله بها اسلم خباب فكانت مولاته تعذبه بالنار فتأتي بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره ليكفر فلا يزيده ذلك الا ايمانا

وجاء خباب مرة الى رسول الله وهو متوسد بردة في ظل الكعبة
فقال يارسول الله الا تدعو الله لنا فقعد عليه السلام محمرا وجهه فقال
انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من
لحم وعصب ويوضع المنشار على فرق رأس احدهم فيشق ما يصرفه
ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتى يسير الراكب
من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه قال
ذلك عليه السلام وهو في هذه الحال الشديدة التي لا يتصور فيها اعقل
العقلاء وانبل النبلاء قوة منتظرة أو سعادة مستقبلة اللهم الا ان
ذلك وحي يوحى ثم انزل الله تعالى تثبيتاً للمؤمنين أول
سورة العنكبوت (الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (وممن) أوذي في الله أبو
بكر الصديق ولما اشتد عليه الاذى أجمع أمره على الهجرة من
مكة الى جهة الحبشة فخرج حتى أتى برك الغماد (١) فلقيه ابن
الدغنة وهو سيد قبيلة عظيمة اسمها القارة فقال الى أين ياأبا بكر
فقال أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الارض وأعبد ربي فقال ابن
الدغنة مثلك ياأبا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم

(١) موضع أو هو اقصي المعمورة اه من المحيط

وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار
ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل ابن الدغنة معه وطاف في
اشراف قريش فقال لهم أبو بكر لا يخرج مثله أتخرجون رجلاً
يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين
على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له مر
أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها ماشاء وليقرأ ماشاء ولا
يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال
ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث بذلك يعبد ربه في داره ولا
يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى
مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه
نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان رجلاً
بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك اشراف قريش
فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا قد أجرنا أبا بكر
بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً
بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن
نساءنا وأبناءنا فان أحب ان يقتصر على أن يعبد ربه بفناء داره
فعل وان أبي الا أن يعلن ذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد
كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان فأتى ابن

الدغنة أبا بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر
على ذلك واما ان ترجع اليّ ذمتي فاني لا أحب ان تسمع العرب اني
أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فاني اردّ عليك جوارك
وأرضى بجوار الله (رواه البخاري) وكان ذلك سبباً لايصال أذى
عظيم الى أبي بكر رضي الله عنه. و بالجملة فلم يخلُ احد من المسلمين
من أذية لحقته ولكن كل ذلك ضاع سدًى تلقاء ثباتهم وعظيم
ايمانهم فانهم لم يسلموا لغرض دنيوي يرجون حصوله فيسهل ارجاعهم
ولكن وفقهم الله لادراك حقيقة الايمان فرأوا كل شيء دونه سهلاً

ولما رأى كفار قريش ان ذلك الاذى لم يجدهم نفعاً بل
كلما زادوا المسلمين أذى ازداد يقينهم اجتمعوا للشورى فيما بينهم
فقال لهم عتبة بن ربيعة العبشمي من بني عبد شمس بن عبد مناف
وكان سيداً مطاعاً في قومه يامعشر قريش الا أقوم لمحمد فأكلمه
وأعرض عليه أموراً عله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا فقالوا
ياأبا الوليد فقم اليه فكلمه فذهب الى رسول الله وهو يصلي في
المسجد وقال ياابن أخي انك منا حيث قد علمت من خيارنا حسباً
ونسباً وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت
أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع
مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال عليه

السلام قل ياأبا الوليد اسمع فقال ياابن أخي ان كنت انما تريد
بما جئت به من هذا الامر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون
اكثرنا مالاً وان كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا حتى لانقطع
أمراً دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا
الذي يأتيك رئي من الجن لاتستطيع رده عن نفسك طلبنا لك
الطب و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على
الرجل حتى يداوى فقال عليه السلام لقد فرغت ياأبا الوليد قال
نعم قال فاسمع مني فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل سورة فصلت
(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً فأعرض
اكثرهم فهم لايسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي
آذاننا وقر ومن بيننا و بينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما أنا
بشر مثلكم يوحى اليّ أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه
وويل للمشركين. الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون.
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك
رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها و بارك فيها وقدّر فيها
أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين. ثم استوى الى السماء وهي دخان

فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين. فقضاهن
سبع سموات في يومين وأوحىَ في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا
بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم. فان أعرضوا فقل أنذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم
ومن خلفهم ألاّ تعبدوا الاّ الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا
بما أرسلتم به كافرون) فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم ان يكف
عن ذلك فلما رجع عتبة سألوه فقال والله لقد سمعت قولاً ماسمعت
مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر يامعشر قريش
أطيعوني فاجعلوها لي خلوا بين الرجل و بين ماهو فيه فاعتزلوه فوالله
ليكونن لكلامه الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه
بغيركم وان يظهر على العرب فعزه عزكم فقالوا لقد سحرك محمد فقال
هذا رأيي (ثم) عرضوا عليه بعد ذلك ان يشاركهم في عبادتهم
و يشاركونه في عبادته فأنزل الله في ذلك (قل يا أيها الكافرون.
لاأعبد ماتعبدون. ولا أنتم عابدون ماأعبد. ولا أنا عابد ماعبدتم. ولا
أنتم عابدون ماأعبد. لكم دينكم وليَ دين) فلا تتوهموا اني أجيبكم
لطلبكم من الاشراك بالله فأيسوا منه وطلبوا بعد ذلك ان ينزع
من القرآن مايغيظهم من ذم الاوثان والوعيد الشديد فيأتي بقرآن
غيره او يبدّله فأنزل الله جواباً لهم في سورة يونس (قل مايكون

لي أن أبدّلهُ من تلقاء نفسي ان أتبع الاّ مايوحى اليّ) وقد
حصل له مع كفار قريش نادرة تكون لمن استهان بالضعيف
كمصباح يستضيء به وهي انه بينما الرسول عليه السلام مع كبراء
قريش واشرافهم يتألفهم و يعرض عليهم القرآن وما جاء به من
الدين اذ اقبل عليه عبد الله ابن ام مكتوم الاعمى وهو ممن اسلموا
قديماً والنبي مشتغل بالقوم وقد لقي منهم مؤانسة حتي طمع في
اسلامهم فقال له عبد الله يارسول الله علمني مما علمك الله واكثر
عليه القول فشق ذلك على الرسول وكره قطعه لكلامه وخاف عليه
السلام ان يكون التفاته لذلك المسكين ينفر عنه قلب أولئك
الاشراف فأعرض عنه فعاتبه الله على ذلك بقوله اوّل سورة عبس
(عبس وتولى. أن جاءه الاعمى. وما يدريك لعله يزكى. اويذكر
فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت لهُ تصدّى. وما عليك ألا
يزّكى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى) فما عبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها في وجه فقير وكان اذا أقبل
عليه عبد الله ابن أم مكتوم يقول له مرحباً بمن عاتبني فيه ربي
ولما رأى المشركون ان هذه المطالب التي يعرضونها لا تقبل
منهم ارادوا ان يدخلوا من باب آخر وهو تعجيز الرسول بطلب
الآيات فاجتمعوا وقالوا يامحمد ان كنت صادقاً فأرنا آية نطلبها

منك وهي ان تشق لنا القمر فرقتين فأعطاه الله هذه المعجزة وانشق القمر فرقتين فقال رسول الله اشهدوا وهذه القصة رواها عبد الله بن مسعود وهو من السابقين الاوّلين رويت عنه من طرق كثيرة ورواها عبد الله بن عباس وغيره ورواها عنهم جمع غزير حتى صار الحديث كالمتواتر وقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى اوّل سورة القمر (اقتربت الساعة وانشق القمر) فحينما رأى المعاندون هذه الآية الكبرى قال بعضهم لقد سحركم ابن أبي كبشة فأنزل الله فيهم (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ثم سألوا الرسول بعد ذلك آيات لا يقصدون بذلك الا التعنت والعناد فمنها ان قالوا كما في سورة الاسراء (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه) ولم يجبهم الله الا بقوله (قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا) لان الله علم ماتكنه جوانحهم من التعصب والعناد فلا يؤمنون مهما جاءهم من البينات كما قال جل ذكره في سورة الانعام (وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون) وكيف يرجى الخير ممن قالوا

كما في سورة الانفال (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه وهذه سنة من سنن الانبياء اذا رأوا من طلاب الآيات عناداً وانهم يطلبونها تعجيزاً لا يسألون الله انفاذ هذه الآيات كيلا يحل بقومهم الهلاك كما حصل لعادو ثمود وغيرهم وهذا هو المراد من قوله تعالى في سورة الاسراء (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) وقد حصل للمسيح عليه السلام انه لما وقف امام هيردوس طلب منه آية فلم يجبه الى طلبه فلما رأى ذلك سخر منه ورده الى عدوه بيلاطس بعد ان كان يأسف عليه ويتمنى لقاءه وذلك مذكور في الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا (هذا) ولما رأى المشركون ضعفهم عن مقاومة المسلمين بالبرهان تحولوا الى سياسة القوة التي اختارها قوم ابراهيم عند ماعجزوا عنه حيث (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) كما في سورة الانبياء أما هؤلاء فازدادوا بالاذى على كل من أسلم رجاء صدهم عن اتباع الرسول عليه السلام ولم يتركوا باباً الا ولجوه فقال عليه السلام لاصحابه تفرقوا في الارض فان الله سيجمعكم فسألوه عن الوجه فأشار الى أرض الحبشة

(هجرة الحبشة الاولى)

فعند ذلك تجهز ناس للخروج من ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم كما أشار عليه السلام وهذه هي أول هجرة من مكة وعدة أصحابها عشرة رجال وخمس نسوة وهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله وأبو سلمة وزوجه أم سلمة وأخوه أبو سبرة وزوجه أم كلثوم وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهل وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود وسهيل بن البيضاء والزبير بن العوام وجلهم من قريش فساروا على بركة الله ولما انتهوا الى البحر استأجروا سفينة أوصلتهم الى مقصدهم فأقاموا آمنين من أذى يلحق بهم من المشركين ولم يبق مع النبى عليه السلام الا القليل

(اسلام عمر)

وفي ذلك الوقت أسلم الشهم الهمام عمر بن الخطاب العدوي القرشي بعد ما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة اذاهم. قالت ليلى احدى المهاجرات لارض الحبشة مع زوجها كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت بعيري أريد أن أتوجه الى أرض الحبشة اذا أنا به فقال لي الى أين ياأم عبد الله فقالت قد آذيتمونا في ديننا نذهب في أرض الله حيث لانؤذى فقال

صحبكم الله فلما جاء زوجي عامر أخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال ترجين أن يسلم والله لايسلم حتى يسلم حمار الخطاب وذلك لما كان يراه من قسوته وشدته علي المسلمين ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه قال قبيل اسلامه اللهم أعز الاسلام بعمر وكان اسلامه في دار الارقم بن ابى الارقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها وقد حقق الله باسلامه مارجاه عليه السلام فقد قال عبد الله بن مسعود من رواية البخارى (مازلنا أعزة منذ أسلم عمر) فانه طلب من رسول الله أن يعلن صلاته في المسجد ففعل وقد أدرك الكفار كآبة شديدة حينما رأوا عمر أسلم وكانوا قد أرادوا قتله حتى اجتمع جمع منهم حول داره ينتظرونه فجاء العاص بن وائل السهمي وهو من بني سهم حلفاء بنى عدي قوم عمر وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال لعمر ما بالك فقال زعم قومك انهم سيقتلونني أن أسلمت قال لاسبيل اليك فأنا لك جار فأمن عمر وخرج العاص فوجد الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون قالوا نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ قال لاسبيل اليه فرجع الناس من حيث أتوا

(رجوع مهاجري الحبشة)

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا الى مكة

حيث لا تتيسر لهم الاقامة فيها لانهم قليلو العدد وفي الكثرة بعض الانس وأضف الى ذلك انهم أشراف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لا يطيب لهم عيش في دار غربة بهذه الحالة

وقد أولع بعض المؤرخين بحكاية يجعلونها سببا في رجوع مهاجرى الحبشة وهي أنه بلغهم اسلام قومهم حينما قرأ عليهم الرسول سورة النجم وتكلم فيها كلاماً حسناً عن آلهتهم حيث قال بعد (أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الاخرى) تلك الغرانيق (جمع غرنوق وهي الطيور ويراد بها الملائكة) العلى وان شفاعتهن لترتجى فسجدوا اعظاماً لذلك وفرحاً وهذا مما لا تجوز روايته الا على قليلي الادراك الذين ينقلون كل ما وجدوه غير متثبتين في صحته وها نحن نسوق لك ادلة النقل والعقل على بطلان ماذكر. اما الحديث فسنده ومتنه قلقان فالسند قال فيه القاضي عياض في الشفاء لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم واما المتن فليس اصحاب رسول الله ولا المشركون مجانين حتى يسمعوا مدحاً اثناء ذم ويجوز ذلك عليهم فبعد ذكر الاصنام قال (ان هي الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) فالكلام غير منتظم ولو كان ذلك قد حصل لاتخذه الكفار عليه حجة يحاجونه بها وقت الخصام وهم من نعرفهم من العناد فيما ليس فيه أدنى حجة فكيف

بهذه وليس ذلك القيل اقل من تحويل القبلة الى الكعبة وهذا قالوا فيه ماقالوا حتى سماهم الله سفهاء وانزل فيهم في سورة البقرة (سيقول السفهاء من الناس ماولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) ولكن لم يسمع عن أى واحد من رجالاتهم والمتصدرين للعناد منهم ان قال مالك ذممت آلهتنا بعد أن مدحتها وكان ذلك اولى لهم من تجريد السيوف و بذل مهج الرجال على ان المؤرخين الذين ينقلون هذه العبارة ويجعلونها سبباً لرجوع مهاجري الحبشة يقولون أثناء كلامهم ان الهجرة كانت في رجب والرجوع كان في شوال ونزول سورة والنجم كان في رمضان فالمدة بين نزول السورة ورجوع المهاجرين شهر واحد والمتأمل ادنى تأمل يرى ان الشهر كان لا يكفي في ذاك الزمن للذهاب من مكة الى الحبشة والاياب منها لانه لم يكن اذ ذاك مراكب بخارية تسهل السير في البحر ولا تلغراف يوصل خبر اسلام قريش لمن بالحبشة فلا غرابة بعد ذلك ان قلنا ان هذه الخرافة من موضوعات أهل الاهواء الذين ابتلى الله بهم هذا الدين ولكن الحمد لله فقد من علينا بحفظ كتابنا المجيد الذي يحكم بيننا و بين كل مفتر كذاب ففي السورة نفسها (وما ينطق عن الهوى) والذي يلقيه الشيطان من أقبح ما يروى فكيف يقوله عليه السلام أو يجري على لسانه مما يثبت الشكوك في الوحي الامر الذي يريده السفهاء رد

الله كيدهم في نحرهم. والذي ورد في الصحيح في موضوع هذا السجود ماروا ه عبد الله بن مسعود أن النبي عليه السلام قرأ والنجم فسجد وسجد من كان معه الا رجلا أخذ كفاً من حصى وضعه علي جبهته وقال يكفيني هذا فرأيته قتل بعد كافراً وليس في هذا الحديث أدنى دلالة على أن الذين سجدوا معه هم مشركون بل الذي يفيده قوله فرأيته قتل بعد كافراً انه كان مسلماً ثم ارتدوهذا ماحصل من بعض ضعاف القلوب الذين لم يتحملوا الاذى فكفروا منهم على بن أمية بن خلف. على انك اذافهمت ماسبق من ان عبدالله بن مسعود كان أحد المهاجرين الي الحبشة جزمت بان هذا الحديث لم يكن لما وضعوه له (هذا) ولما رجع مهاجرو الحبشة الى مكة لم يتمكن من الدخول اليها الا من وجد له مجيراً فدخل أبو سلمة في جوار خاله أبي طالب ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة وقد رد عليه جواره حينما رأى ماصنعه بالمسلمين فلم ير أن يكون مرتاحاً واخوانه يعذبون

(كتابة الصحيفة)

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا علي بني عبد مناف الذين منهم الرسول عليه السلام دية مضاعفة ويسلمونه فابوا عليهم ذلك ثم عرضوا على أبي طالب ان يعطوه سيداً من شبانهم يتبناه

ويسلم اليهم ابن أخيه فقال عجباً لكم تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه فلما رأوا ذلك أجمعوا أمرهم على منابذة بني هاشم وبنى المطلب ولدي عبد مناف واخراجهم من مكة والتضييق عليهم حتى يسلموا محمداً للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة فانحاز بنوها شم بسبب ذلك في شعب أبي طالب ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ماعدا أبا لهب فانه كان مع قريش وانخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف فجهد القوم حتى كانوا يأكلون ورق الشجر وكان أعداؤهم يمنعون التجار من مبايعتهم وفي مقدمة المانعين أبو لهب

(هجرة الحبشة الثانية)

وبعد دخول الرسول وقومه الشعب أمر جميع المسلمين ان يهاجروا للحبشة حتى يساعدوا بعضهم على الاغتراب فهاجر معظمهم وكانوا نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب وزوجه أسماء بنت عميس والمقداد ابن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بن جحش وامرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان وتوجه لهم الذين أسلموا من جهة اليمن وهم الاشعريون أبو موسى و بنو عمه ولما رأت قريش ذلك أرسلت في اثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا

الى النجاشي ليسلم المسلمين فرجعا شر رجعة ولم ينالا من النجاشي الا اهانة لما خاطبوه به من اخفار ذمته في قوم لاذوابه اما بنو هاشم فمكثوا في الشعب قريباً من ثلاث سنوات في شدة الجهد والبلاء لايصلهم شيء من الطعام الا خفية

﴿ نقض الصحيفة ﴾

وقد قام خمسة من أشراف قريش يطالبون بنقض هذه الصحيفة الظالمة وهم هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أمية ابن عمة الرسول عاتكة والمطعم بن عدي وأبوا البختري بن هشام وزمعة بن الاسود واتفقوا على ذلك ليلاً فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال ياأهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لايبيعون ولا يبتاعون والله لاأقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال أبو جهل كذبت فقال زمعة لابي جهل انت والله اكذب مارضينا كتابتها حين كتبت فقال ابو البختري صدق زمعة وقال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك وصدق على ماقيل هشام بن عمرو فقام اليها المطعم ابن عدي فشقها وكانت الارضة قد اكلتها فلم يبق فيها الا ماقيه اسم الله وقد اخبر النبي عليه السلام عمه أبا طالب بذلك قبل أن

يفعل ماذكر فخرج القوم الى مساكنهم بعد هذه الشدة

﴿ وفود نجران ﴾

وقد وفد على الرسول بعد الخروج من الشعب وفد من نصارى نجران بلغهم خبره من مهاجري الحبشة فسارعوا بالقدوم عليه حتى يروا صفاته مع ماذكر منها في كتبهم فقرأ عليهم القرآن فآمنوا كلهم فقال لهم ابو جهل مارأينا ركباً احمق منكم ارسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبأتم فقالوا سلام عليكم لانجاهلكم لكم ماأنتم عليه ولنا مااخترناه فأنزل الله في ذلك في سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين) وقد كان اهل مكة حينما عجزوا عن امر رسول الله ولم يتمكنوا من مقارعة الحجة بالحجة رموه بالسحر مرة وبالكذب اخرى وبالجنون طوراً وبالكهانة مرة كل ذلك شأن العاجز المعاند الذي لايستحي لمزيد عناده ان يقول (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)

﴿ وفاة خديجة رضي الله عنها ﴾

وبعد خروجه عليه السلام من الشعب بقليل توفيت خديجة بنت خويلد زوجه رضي الله عنها كان عليه السلام كثيراً مايذكرها ويترحم عليها ولا غرابة فهي اول نفس زكية صدقت رسول الله فيما جاء به عن ربه وقد جاء منها بأولاده كلهم ماعدا ابراهيم فمنها زينب وهي اكبر بناته تزوّجها في الجاهلية ابو العاص بن الربيع وأعقب منها أمامة التي تزوجها علي بن ابي طالب بعد وفاة فاطمة ومنها رقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان الاولى بمكة قبل الهجرة وهاجر بها الى الحبشة والثانية بالمدينة بعد ان ماتت اختها ومنها فاطمة وهي اصغر بناته تزوجها علي بن ابي طالب وقدجاءت خديجة بأولاد توُفوا صغاراً ولم يعش بعدرسول الله من اولاده الاّ فاطمة عاشت بعده قليلا ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله حزناً شديداً لما كانت عليه من الرقة لرسول الله ومحاجزة الكفار عنه لما لها من الجاه في عشيرتها بني زهرة

﴿ زواج سودة ﴾

وعقد عليه السلام في الشهر الذي ماتت فيه خديجة على سودة بنت زمعة العامرية القرشية بعد ان توفي عنها زوجها وابن عمها السكران ابن عمرو وقد كانت آمنت بالله وبرسوله وخالفت اقاربها وبني عمها

وهاجرت مع زوجها الى الحبشة في المرة الثانية خوف الفتنة وعقب رجوعه من هجرته توفي عنها فلم يكن ثم أجمل مما صنعه الرسول بزوج رجل آمن به ولو تركت لقومها مع ماهم عليه من الغلظة وكراهة الاسلام لفتنوها وكرمُ نسبها في قومها يمنعها من التزوج برجل أقل منها نسباً وشرفاً

﴿ زواج عائشة رضى الله عنها ﴾

وبعد ذلك بشهر عقد على عائشة بنت صدّيقه ابي بكر وهي لاتتجاوز السابعة من عمرها ولم يتزوّج عليه السلام بكراً غيرها ودخل عليها بالمدينة أما سودة فدخل عليها بمكة وبعد وفاة خديجة بنحو شهر توفي عمه ابو طالب الذي كان يمنعه من اذى اعدائه ومع انه كان لايكذب رسول الله فيما جاء به بل يعتقد صدقه لم ينطق بالشهادتين حتى آخر لحظة من حياته وفيه نزل في سورة القصص (انك لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين) ولكن لاعماله العظيمة التى عملها مع رسول الله نرجو أن يخفف عنه وعدم اسلامه بل هو وغالب اقارب الرسول فيه من الحكمة مالا يخفى فانهم لو بادروا باتباعه لقيل قوم يطلبون سيادة وفخراً ليسا لهم فجاؤا بهذا الامر المفترى ولكن لما رأى المعاندون ان متبعيه هم الغرباء عنه الذين ليسوا من عشيرته بل من اعدائها

احياناً كعثمان بن عفان من بنى أمية لم يكن عندهم ادنى حجة يقيمونها اللهم الا دعاويهم الكاذبة التى كانوا يتمسكون بها حينما تصدعهم الحجة وهو قولهم ساحر يفرق بين المرء وزوجه وكاهن يتكهن بالغيب وقد سمي رسول الله هذا العام الذي فقد فيه زوجه وعمه عام الحزن ولما مات ابو طالب نالت قريش من رسول الله مالم يمكنها نيله في حياة ابي طالب واشتد الامر عليه حتى كانوا ينثرون التراب على رأسه وهو سائر ويضعون أوساخ الشاة عليه في صلاته وتعلقت به كفار قريش مرة يتجاذبونه ويقولون له انت الذي تريد ان تجعل الآلهة الهاً واحداً فما تقدم احد من المسلمين حتى يخلصه منهم لما هم عليه من الضعف الا أبو بكر فانه تقدم وقال أتقتلون رجلاً ان يقول ربيَ الله

﴿ هجرة الطائف ﴾

فلما رأى عليه السلام استهانة قريش به أراد أن يتوجه الى ثقيف بالطائف (١) يرجو منهم نصرة على قومه ومساعدته حتى يتم أمر ربه لانهم أقرب الناس الى مكة وله فيهم خؤلة فان أم هاشم ابن عبد مناف عاتكة السلمية من بني سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف فلما توجه اليهم ومعه مولاه زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا

(١) بلد في الجنوب الشرقي من مكة

ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو بن عمير الثقفي فعرض عليهم نصرته حتى يؤدي دعوته فردوا عليه رداً قبيحاً ولم ير منهم خيرا وحينذاك طلب منهم ان لا يشيعوا ذلك عنه كيلا تعلم قريش فيشتد أذاهم لانه استعان عليهم باعدائهم فلم تفعل ثقيف مارجاه منهم عليه السلام بل أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون في وجهه في الطريق ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه الى أن انتهى الى شجرة كرم واستظل بها وكانت بجوار بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما من أعدائه وكانا في البستان فكره رسول الله مكانهما فدعا الله قائلا (اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتى وهو اني على الناس يا ارحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي) فلما رآه ابنا ربيعة رقاله وارسلا اليه بقطف من العنب مع مولي لهما نصراني اسمه عدّاس فلما ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كل قال (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال عداس هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلاد فقال له عليه السلام من أي البلاد انت وما دينك فقال نصراني من نينوى (١) فقال عليه السلام قرية الرجل الصالح يونس بن متىّ قال وما علمك بيونس فقرأ له من

(١) بلد على شاطئ دجلة وهي آخر ماينتهي اليه العراق وامامها مدينة الموصل

القرآن مافيه قصة يونس فلما سمع ذلك عداس أسلم. وأتى جبريل
برسالة من الله جل ذكره وقال ان الله أمرني ان اطيعك في قومك
لما صنعوه معك فقال عليه السلام اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
فقال جبريل صدق من سماك الرؤف الرحيم ولما كان بنخلة وفد
عليه نفر من الجن يستمعون القرآن فلما سمعوه أنصتوا له ورجعوا الى
قومهم منذرين وأبلغوهم خبر رسول الله وفيهم نزل في سورة الاحقاف
(واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا
أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين. قالوا ياقومنا انا سمعنا كتاباً
أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى الى الحق والى
طريق مستقيم. ياقومنا أجيبوا داعىَ الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم
ويجركم من عذاب أليم. ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في
الارض وليس له من دونه اولياء اوائك في ضلال مبين) وقد
قص الله قصة الجن بعبارة أطول في سورة سميت باسمهم أولها
(قل أوحي اليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً
يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً)

(الاحتماء بالمطعم بن عدي)

ولما رجع عليه السلام من الطائف هكذا لم يتمكن من دخوله
مكة لما علمه كفار قريش من انه توجه الى الطائف يستنصر باهليها

عليهم فأرسل عليه السلام الى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف
يخبره انه سيدخل مكة في جواره فاجاب الى ذلك وتسلح هو وبنوه
وتوجهوا مع رسول الله الى المطاف فقال له بعض المشركين أمجير
أنت أم تابع فقال بل مجير قالوا اذاً لاتخفر ذمتك

(وفد دوس)

وقدم على رسول الله وهو بمكة الطفيل بن عمرو الدوسي من
قبيلة دوس عشيرة ابي هريرة الصحابي الشهير وكان الطفيل شريفاً
في قومه شاعراً نبيلاً فلما قرأ عليه القرآن أسلم فقال له رسول الله
اذهب الى قومك فادعهم الى الاسلام ودعا لهم رسول الله فقال اللهم
اهد دوسا فتوجه اليهم الطفيل ودعاهم فآمن بدعوته كثير منهم
وستأتي وفادته على الرسول مرة ثانية بقومه في المدينة

(الاسراء والمعراج)

وقبل الهجرة اكرمه الله بالاسراء والمعراج اما الاسراء فهو
توجهه ليلا الى بيت المقدس بايلياء ورجوعه من ليلته وأما المعراج
فهو صعوده الى العالم العلوي وقد قال جمهور أهل السنة ان ذلك كان
بجسمه الشريف وكانت عائشة رضي الله عنها تمنع رؤية رسول الله
ربه وتقول من قال ان محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله
والاسراء مذكور في القرآن الكريم قال تعالى في أول سورة

الاسراء (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) واما المعراج فقد ورد في صحيح السنة واصح احاديثه مارواه الشيخان ونقله القاضي عياض في شفائه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فاتاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة يحيى وعيسى ابن مريم فرحبا بى ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا واذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعالي بخير قال

تعالى في سورة مريم (ورفعناه مكاناً علياً) ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسنداً ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا اوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر ربي ماغشيها تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحي الله الى مااوحى ففرض عليّ وعلى امتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال مافرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت الى ربي قلت يارب خفف عن امتي فحط عني خمساً فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمساً قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه يامحمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بحسنة فعملها كتبت له عشراً ومن

همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئاً ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه ثم رجع عليه السلام من ليلته فلما اصبح غدا الى نادي قريش فجاء اليه ابو جهل بن هشام فحدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى له فقال ابو جهل يابني كعب بن لؤيّ هلموا فاقبل عليه كفار قريش فأخبرهم الرسول الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وانكاراً وارتدّ ناس ممن كان آمن به من ضعاف القلوب وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي من ذلك اليوم صديقاً ثم قام الكفار يمتحنون رسول الله فسألوه نعت بيت المقدس وفيهم رجال رأوه أما رسول الله فلم يكن رآهُ قبل ذلك فجلاه الله له فصار يصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً فقالوا أما النعت فقد اصاب فأخبرنا عن عِيرنا وكانت لهم عِيرٌ قادمة من الشام فأخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أوْرَق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل أوْرَق كما قال محمد ثم لم يزدهم ذلك الاّ كفراً

وعناداً حتى قالوا هذا سحرٌ مبين وفي صبيحة ليلة الاسراء جاء جبريل وعلم رسول الله كيفية الصلاة وأوقاتها فيصلي ركعتين اذا ظهر الفجر وأربع ركعات اذا زالت الشمس ومثلها اذا ضوعف ظل الشيء وثلاثاً اذا غربت وأربعاً اذا غاب الشفق الاحمر وكان عليه السلام قبل مشروعية الصلاة يصلي ركعتين صباحاً ومثلهما مساءً كما كان يفعل ابراهيم عليه السلام

﴿ العرض على القبائل ﴾

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجد من قريش منعه من تأدية الرسالة وتسلط الكبر والعظمة على قلوبهم أراد الله أن يظهر امر هذا الدين على ايدي غيرهم من العرب فكان عليه السلام يخرج في المواسم العربية (وهي اسواق كانت العرب تعقدها للتجارة والمفاخرة) ويعرض نفسه على القبائل ليحموه حتى يؤدي رسالة ربه فكان بعضهم يرد رداً جميلاً وآخرون رداً قبيحاً وكان من اقبح القبائل رداً بنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب وطلب منه بنو عامر ان هم آمنوا به أن يجعل لهم امر الرياسة من بعده فقال لهم الامر لله يضعه حيث يشاء وكان من الذين يحجون البيت عرب يثرب وهي مدينة بين مكة والشام يقطنها قبيلتان احداهما من ولد الاوس والثانية من ولد الخزْرَج وهما اخوان وكان بين اولادهما

من العداوة مايجعل الحرب لاتضع اوزارها بين الفريقين فكانوا دائماً في شقاق ونزاع وكان يجاورهم في المدينة اقوام من اليهود وهم بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير وكان لهم الغلبة على يثرب اولاً فحاربهم العرب حتى صاروا ذوي النفوذ فيها والقوّة وكان اليهود اذا خذلوا يستفتحون على اعدائهم باسم نبي يبعث قد قرب زمانه ولما اختلفت كلمة العرب فيما بينهم وشقت عصا الالفة حالفوا اليهود علي انفسهم فحالف الاوس بنى قريظة وحالف الخزرج بني النضير وبني قينقاع وآخر الايام بينهم يوم بعاث قتل فيه غالب رؤسائهم ولم يبق الا عبد الله بن أبي ابن سلول من الخزرج وابو عامر الراهب من الاوس ولذلك كانت عائشة تقول كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد خطر ببال رؤساء الاوس ان يحالفوا قريشاً على الخزرج فأرسلوا اياس بن معاذ وأبا الحيسر أنس بن رافع مع جماعة يلتمسون ذلك الحلف في قريش فلما جاؤا مكة جاءهم رسول الله وقال هل لكم في خير مما جئتم له ان تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئاً وقد ارسلني الله الى الكافة ثم تلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ ياقوم هذا والله خير مما جئتنا له فحصبه ابو الحيسر وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت

﴿ بدء اسلام الانصار ﴾

ولما جاء الموسم تعرض رسول الله لنفر منهم يبلغون الستة وهم أسعد بن زرارة من بني النجار وعوف بن الحارث ورافع بن مالك من بني زريق وقطبة بن عامر من بني سلمة وعقبة بن عامر من بني حرام وجابر بن عبد الله من بني عبيد بن عدي ودعاهم الى الاسلام والى معاونته في تبليغ رسالة ربه فقال بعضهم لبعض انه للنبي الذي كانت تعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فآمنوا به وصدقوه وقالوا انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم فان يجمعهم الله الله عليك فلا رجل أعز منك ووعدوه المقابلة في الموسم المقبل وهذا هو بدء الاسلام لعرب يثرب فلما كان العام المقبل قدم اثنا عشر رجلاً منهم عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وهم أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا الحارث ورافع بن مالك وذكوان بن قيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة والعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فاجتمعوا به عند العقبة وأسلموا وبايعوا رسول الله على ان يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وذهبوا على ذلك

﴿ العقبة الاولى ﴾

وهذه هي العقبة الاولى فارسل لهم عليه السلام مصعب بن عمير

العبدري وعبد الله ابن أم مكتوم وهو ابن خالة خديجة يقرآنهم القرآن ويفقهانهم في الدين ونزل مصعب على أحد المبايعين أبي أمامة أسعد بن زرارة وصار يدعو بقية الاوس والخزرج للاسلام وبينا هو في بستان مع أسعد بن زرارة اذ قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الاوس لاسيد بن حضير ابن عم سعد ألا تقوم الى هذين الرجلين اللذين آتيا يسفهان ضعفاءنا لتزجرهما فقام لها أسيد بحربته فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه فلما وقف عليهما قال ماجاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كان لكما بانفسكما حاجة فقال مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره فقرأ عليه مصعب القرآن فاستحسن دين الاسلام وهداه الله له فتشهد ورجع الى سعد فسأله عما فعل فقال والله مارأيت بالرجلين بأساً فغضب سعد وقام لها متغيظاً ففعل معه مصعب كسابقه فهداه الله للاسلام ورجع لرجال بني عبد الاشهل وهم بطن من الاوس فقال لهم ماتعدونني فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا قال كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الاشهل الا أجابه وقد انتشر الاسلام في دور يثرب حتى لم يكن بينهم حديث الا أمر الاسلام .ولما كان وقت الحج في العام الذي يلي البيعة

الاولى قدم مكة كثيرون منهم يريدون الحج وبينهم كثير من مشركيهم ولما قابل وفدهم رسول الله واعدوه المقابلة ليلاً عند العقبة فامرهم أن لاينبهوا في ذلك الوقت نائماً ولا ينتظروا غائباً لان كل هذه الاعمال كانت خفية من قريش كيلا يطلعوا على الامر فيسعوا في نقض ما أبرم شأنهم مع رسول الله في أول أمره. ولما فرغ الانصار من حجهم توجهوا الى موعدهم كاتمين أمرهم عمن معهم من المشركين وكان ذلك بعد مضي ثلث الليل الاول فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتى تم عددهم ثلاثاً وسبعين رجلا معهم امرأتان ووافقهم رسول الله هناك وليس معه الا عمه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه ولكن أراد أن يحضر أمر ابن أخيه ليكون متوثقاً له فلما اجتمعوا عرفهم العباس بان ابن أخيه لم يزل في منعة من قومه حيث لم يمكنوا منه أحداً ممن أظهر له العداوة والبغضاء وتحملوا من ذلك أعظم الشدة ثم قال لهم ان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك والا فدعوه بين عشيرته فانهم لبمكان عظيم فقال كبيرهم والمتكلم عنهم البراء بن معرور والله لو كان لنا في انفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله وعند ذلك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ لنفسك ولربك ما أحببت فقال

اشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به سيئاً ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم متي قدمت عليكم فقال له الهيثم ابن التيهان يارسول الله ان بيننا و بين الرجال عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم عليه السلام وقال بل الدم الدم والهدم الهدم اي ان طالبتم بدم طالبت به وان أهدرتموه أهدرته

﴿ العقبة الثانية ﴾

وحينذاك ابتدئت المبايعة وهي العقبة الثانية فبايعه الرجال على ماطلب ثم تخير منهم اثنى عشر نقيبا لكل عشيرة منهم واحد وهم أبو الهيثم بن التيهان وأسعد بن زرارة. وأسيد بن حضير. والبراء بن معرور. ورافع بن مالك. وسعد بن أبي خيثمة. وسعد بن الربيع. وسعد بن عبادة. وعبد الله بن رواحة. وعبد الله بن عمرو. وعبادة بن الصامت. والمنذر بن عمرو ثم قال لهم أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل على قومي. ولامر ما أراده الله بلغ خبر هذه البيعة مشركي قريش فجاؤا ودخلوا شعب الانصار وقالوا يامعشر الخزرج بلغنا انكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من ارضنا وتبايعونه على حربنا فأنكروا ذلك وصار بعض المشركين الذين لم يحضروا المبايعة يحلفون لهم انهم لم يحصل منهم شيء في ليلتهم وعبد الله بن أبي كبير

الخزرج يقول ما كان قومي ليفتاتوا على بشيء من ذلك

﴿ هجرة المسلمين الى المدينة ﴾

ولما رجع الانصار الي المدينة ظهر بينهم الاسلام أكثر من المرة الاولى أما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فازداد عليهم أذى المشركين لما سمعوا انه حالف قوماً عليهم فأمر عليه السلام جميع المسلمين بالهجرة الى المدينة فصاروا يتسللون خيفة قريش ان تمنعهم وأول من خرج أبو سلمة المخزومي زوج أم سلمة ومعه زوجه وكان قومها منعوها منه ولكنهم أطلقوها بعد فلحقت به وتتابع المهاجرون فرارا بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله الذي امتزج حبه بلحمهم ودمهم حتي صاروا لا يعبأون بمفارقة أوطانهم والابتعاد عن آبائهم وأبنائهم مادام في ذلك رضي الله ورسوله ولم يبق بمكة منهم الا أبو بكر وعلى وصهيب وزيد بن حارثة وقليلون من المستضعفين الذين لم تمكنهم حالهم من الهجرة وقد أراد أبو بكر الهجرة فقال له عليه السلام على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر استعداداً لذلك

﴿ دار الندوة ﴾

أما قريش فكانوا كأنهم أصيبوا بمس الشيطان حينما طرق مسامعهم

مبايعة الانصار له على الذّود عنه حتى الموت فاجتمع رؤساؤهم وقادتهم في دار الندوة لينظروا في هذا الامر الذي ظنوا من ورائه شراً لهم فقال قائل منهم نخرجه من أرضنا كي نستريح منه فرفض هذا الرأي لانهم قالوا اذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونه من حلاوة منطقه وعذوبة لفظه وقال آخر نوثقه ونحبسه حتى يدركه ماأدرك الشعراء قبله من الموت فرفض هذا الرأي كسابقه لانهم قالوا ان الخبر لايلبث أن يبلغ أنصاره ونحن أدرى الناس بمن دخل في دينه حيث يفضلونه على الآباء والابناء فاذا سمعوا ذلك جاؤا لتخليصه وربما جر هذا من الحرب علينا مانحن في غنى عنه وقال لهم طاغيتهم بل نقتله ولنمنع بني أبيه من الاخذ بثاره نأخذ من كل قبيلة شاباً جلداً يجتمعون أمام داره فاذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية فأقروا على هذا الرأي هذا مكرهم ولكن ارادة الله فوق كل ارادة (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فاعلم نبيه بما دبره الاعداء في سرهم وأمره باللحاق بدار هجرته بدار فيها ينتشر الاسلام ويكون فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم العزة والمنعة وهذا من الحكمة بمكان عظيم فانه لو انتشر الاسلام بمكة لقال المبغضون ان قريشاً ارادوا ملك العرب فعمدوا الى شخص

منهم وأوعزوا اليه أن يدعى هذه الدعوى حتى تكون وسيلة لنوال مآربهم ولكنهم كانوا له أعداء ألدّاء آذوه شديد الاذى حتى اختار الله له مفارقة بلادهم والبعد عنهم

﴿ هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴾

فتوجه من ساعته الى صديقه ابي بكر وأعلمه ان الله قد أذن له في الهجرة فسأله ابو بكر الصحبة فقال نعم ثم عرض عليه احدى راحلتيه اللتين كانتا معدتين لذلك فلم يرض عليه السلام الا بالثمن ثم جهزاهما أحث الجهاز وصنعت لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت ابي بكر نطاقها وربطت به على فم الجراب واستأجرا رجلاً من بني الديل وهو من بنى عدي هادياً ماهراً وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ثم فارق الرسول عليه السلام أبا بكر وواعده المقابلة ليلاً خارج مكة وكانت هذه الليلة هي ليلة استعداد قريش لتنفيذ ماأقروا عليه فاجتمعوا حول باب الدار ورسول الله داخله فلما جاء ميعاد الخروج أمر ابن عمه علياً بالمبيت مكانه كي لايقع الشك في وجوده اثناء الليل فانهم كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده ثم سجى علياً ببردته وخرج على القوم وهو يقرأ (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم

لا يبصرون) فألقى الله النوم عليهم حتى لم يره أحد ولم يزل عليه السلام سائرا حتى تقابل مع الصديق وسارا حتى بلغا غار ثور فاختفيا فيه. أما المشركون فلما علموا بفساد مكرهم وانهم انما باتوا يحرسون علي بن ابي طالب لا محمد بن عبد الله هاجت عواطفهم فأرسلوا الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتي بمحمد أو يدل عليه وقد وصلوا في طلبهم الى ذلك الغار الذي فيه طلبتهم بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لنظرهما حتى أبكى ذلك أبا بكر فقال له عليه السلام (لا تحزن ان الله معنا) فأعمى الله أبصار المشركين حتى لم يحن لاحد منهم التفاتة الى ذلك الغار بل صار أعدى الاعداء أمية بن خلف يبعد لهم اختفاء المطلوبين في مثل هذا الغار فأقاما فيه ثلاث ليال حتى ينقطع الطلب وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت بها فلا يسمع أمراً يكتاد ان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من غنم يرعاها حين تذهب ساعة من العشاء و يغدو بها عليهما فاذا خرج من عندهما عبد الله تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر القدميه أثر. ولما انقطع الطلب خرجا بعد ان جاءهما الدليل بالراحلتين صبح ثلاث وسارا متبعين طريق الساحل. وفي الطريق لحقهم طالبا

سراقة بن جشعم وكان قد رأى رسل مشركي قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما هو في مجلس من مجالس قومه بني مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام عليهم وهم جلوس فقال ياسراقة اني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه فعرف سراقة أنهم هم ولكنه أراد أن يثني عزم مخبره عن طلبهم فقال انك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبث في المجلس ساعة وقام وركب فرسه ثم سار حتى دنا من الرسول ومن معه فعثرت به فرسه فخر عنها ثم ركبها ثانياً وسار حتى صار يسمع قراءة المصطفى وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت قوائم فرس سراقة في الارض حتى بلغتا الركبتين فخر عنها ثم زجرها حتى نهضت فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لاثرها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فعلم سراقة أن عمله ضائع سدى وداخله رعب عظيم فناداهما بالامان فوقف عليه السلام ومن معه حتى جاءهم و يقول سراقة وقع في نفسي حين لقيت مالقيت أن سيظهر أمر رسول الله فقلت ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرهم بما يريد بهم الناس وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم يأخذا منه شيئاً بل قالا له أخف عنا فسأله سراقة أن يكتب له كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب وبذلك انقضت هذه المشكلة التي

أظهر الله فيها مزيد عنايته برسوله وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله وقدومه عليهم يخرجون الي الحرة (١) حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد أن أطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفي رجل من يهود على أطم (٢) من آطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله وأصحابه يزول بهم السراب يظهرهم تارة ويخفيهم اخرى فقال اليهودي بأعلى صوته يامعشر العرب هذا جدكم أى حظكم الذي تنتظرون فثاروا الى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة

﴿ النزول بقباء ﴾

فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بنى عمرو بن عوف بقباء وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وهذا أول تاريخ جديد (٣) لظهور الاسلام بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو مضيق عليه من مشركي قريش ورسول

(١) هي الارض ذات الحجارة السود وكانت المدينة محاطة بجملة حرات (٢) تل

(٣) لما أراد المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع التاريخ جعلوا مبدأه من هذه الهجرة الشريفة ولعدم المخالفة بين بدء الهجرة وبدء السنة الهلالية قدموا ميعاد الهجرة شهرين واثنى عشر يوماً وجعلوا بدء الهجرة من محرم سنتها

الله ممنوع من الجهر بعبادة ربه أما الآن فقد آواه الله هو وصحابته رضوان الله عليهم بعد أن كانوا قليلاً يتخطفهم الناس

﴿ هجرة الانبياء ﴾

وبهذه الهجرة تمت لرسولنا صلى الله عليه وسلم سنة اخوانه من الانبياء قبله فما من نبي منهم الا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها من ابراهيم أبي الانبياء وخليل الله الى عيسى كلمة الله وروحه كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا من عشائرهم فصبروا ليكونوا مثالاً لمن يأتي بعدهم من متبعيهم في الثبات والصبر على المكاره مادام ذلك في طاعة الله فسل مصر وتاريخها تنبئك عن اسرائيل (يعقوب) وبنيه انهم هاجروا اليها حينما رأوا من بنيها ترحيباً بهم وتركهم وما يعبدون اكراماً ليوسف وحكمته. ولما مضت سنون نسى فيها المصريون تدبير يوسف وفضله عليهم فاضطهدوا بني اسرائيل وآذوهم خرج بهم موسى وهارون ليتمكنوا من اعطاء الله حقه في عبادته وهرب المسيح عليه السلام من اليهود حينما كذبوه فارادوا الفتك به حتى كان من ضمن تعاليمه لتلامذته (طوبي المطرودين من أجل البر لان لهم ملكوت السموات) ثم قال بعد (افرحوا وتهللوا لان أجركم عظيم في السموات فانهم هكذا طردوا الانبياء الذين قبلكم) وسل القرى التى حلت بها نقمة الله لكفر أهلها كديار لوط وعاد وثمود

تنبئك عن مهاجرة الانبياء منها قبل حلول النقمة فلا غرابة أن هاجر عليه السلام من بلاد منعه أهلها من تتميم ماأراده الله (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)

﴿ أعمال مكة ﴾

هذا ولنبين لك مجمل مادعا اليه الرسول عليه السلام بمكة من أصول الدين وذلك أمران (الاول) الاعتقاد بوحدانية الله وأن لا يشرك معه في العبادة غيره سواء كان ذلك الغير صنما كما يفعل مشركو مكة أو ابنا أو زوجة أو بنتا كما عليه بعض الطوائف الاخري كالنصارى ولولا الاعتقاد بوحدانية الاله ما كلف أحد نفسه تكاليف الحياة من آداب الاخلاق بل كان يسير فيما تأمره به نفسه من شهواتها وملذاتها مادام ذلك خافيا عن الناس (الثاني) الاعتقاد بالبعث والنشور وان هناك يوماً ثانياً للانسان يجازي فيه على ماصنعه في الدنيا ان خيراً فخير وان شراً فشر وعلى هذين الامرين جاء غالب الآي المكية فقلما ترى سورة من سور مكة الا وتراها مشحونة بالاستدلال عليهما وتوبيخ من تركهما وكل ذلك بأساليب تأخذ بالعقل وبراهين لا تحتاج لفلسفة الذين يشغلون أنفسهم بما لا طائل تحته مما يضيع الوقت سدي . ولما نزل عليه السلام بقباء نزل على شيخ بني عمرو كلثوم بن الهدم وكان يجلس للناس

ويتحدث لهم في بيت سعد بن خيثمة لانه كان عزبا ونزل أبو بكر بالسنح (محلة بالمدينة) على خارجة بن زيد

﴿ مسجد قباء ﴾

وأقام رسول الله بقباء ليالي أسس فيها مسجد قباء الذي وصفه الله بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم وصلى فيه عليه السلام بمن معه من الانصار والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون وكانت المساجد على عهد رسول الله في غاية من البساطة ليس فيها شئ مما اعتاده بناة المساجد في القرون الاخيرة لان الرسول وأصحابه لم يكن جل همهم الا منصرفا لتزيين القلوب وتنظيفها من حظ الشيطان فكان سور المسجد لا يتجاوز القامة وفوقه مظلة يتقى بها حر الشمس

﴿ الوصول الى المدينة ﴾

(ثم) تحول عليه السلام الى المدينة والانصار محيطون به متقلدي سيوفهم وهنا حدّث ولا حرج عن سرور أهل المدينة فكان يوم تحوله عليهم يوماً سعيداً لم يروا فرحين بشيء فرحهم برسول الله وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

وكان الناس يسيرون وراء رسول الله ما بين ماش وراكب يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن يكون نزيله

﴿ أول جمعة ﴾

وادركته عليه السلام صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فنزل وصلاها وهذه أول جمعة له عليه السلام وأول خطبة خطبها عليه السلام حمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالا وافضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يميناً وشمالا فلا يرى شيأ ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزي الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

﴿ النزول على أبي أيوب ﴾

ثم سار وكلما مر على دور من دور الانصار يتضرع اليه أهلها بأن ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة فيقول دعوها فانها مأمورة ولم تزل سائرة حتى أتت بفناء بني عدي بن النجار وهم أخواله الذين تزوج

منهم هاشم جده فبركت بمحلة من محلاتهم أمام دار أبي أيوب الانصاري واسمه خالد بن زيد (١) وذلك محل مسجده الشريف فقال عليه السلام ههنا المنزل ان شاء الله (رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) فاحتمل أبو أيوب رحله ووضعه في منزله وجاء أسعد ابن زرارة فاخذ بزمام ناقته فكانت عنده وخرجت ولائد بني النجار يقلن

نحن جوار من بني النجار * ياحبذا محمد من جار

فقال عليه السلام لهن أتحببنني فقلن نعم فقال الله يعلم ان قلبي يحبكن واختار عليه السلام النزول في الدور الاسفل من دار أبي أيوب ليكون أريح لزائريه ولكن لم يرض رضي الله عنه ذلك كرامة لرسول الله لما يمكن ان يصيبه من التراب الذي يحدثه وطىء الاقدام أو الماء الذي يهراق فقد اتفق ان كسرت من زوجته جرة ماء بالليل فقام هو وهي بقطيفتهما التي ليس لهما غيرها يمسحان الماء خوفاً على رسول الله ولذلك لم يزل أبو أيوب يستعطفه حتى كان في العلو وكانت تأتيه الجفان كل ليلة من سراة الانصار كسعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وأم زيد بن ثابت فما من ليلة الا وعلى بابه الثلاث أو الاربع من جفان الثريد

(١) توفي زمن معاوية في حصار القسطنطينية ودفن هناك خارج المدينة

﴿ نزول المهاجرين ﴾

ولما تحول مع رسول الله أغلب المهاجرين تنافس فيهم الانصار فحكموا القرعة بينهم فما نزل مهاجري على أنصاري الا بقرعة

﴿ اخوة الاسلام ﴾

ومن يتأمل الى هذه المحبة التي يستحيل ان تكون بتأثير بشر بل بفضل من الله ورحمته يفهم كيف انتصر هؤلاء الاقوام على معانديهم من المشركين وأهل الكتاب مع قلة العدد والعدد

وكان الانصار يؤثرون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم قال تعالى في سورة الحشر (والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وهذا أعلى درجات الاخوة حتى عرض سعد ابن الربيع على عبد الرحمن بن عوف أن ينزل له عن احدى زوجيه وكل ذلك كانوا يرونه قليلاً بالنسبة لما وجب عليهم لاخوانهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمكن بينهم الاخاء آخى بين المهاجرين والانصار فكان كل أنصاري ونزيله أخوين في الله ومن العبث ان نكلف القلم أن يوضح للقارئ أن هذه الاخوة كانت أرقى بكثير من الاخوة العصبية بل نكل ذلك للاحساس الاسلامي فانه

أفصح منطقاً من القلم وعلى الاجمال فتلك قلوب ألف الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً في أجسام متفرقة وعسى الله أن يوفق مسلمي عصرنا الى هذا الاخاء حتى يسودوا كما ساد المتحدون. وكان هذا الاخاء على المواساة والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الارحام وكان عليه السلام يقول لكل اثنين (تآخوا في الله أخوين أخوين) ودام هذا الميراث الى ان نسخه الله بقوله في سورة الاحزاب (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)

﴿ هجرة أهل البيت ﴾

ولما استقر عليه السلام بالمدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع الى مكة ليأتيا بمن تخلف من أهله وأرسل معهما عبد الله بن أريقط يدلهما على الطريق فقدما بفاطمة وأم كلثوم بنتيه عليه السلام وسودة زوجه وأم أيمن زوج زيد وابنها أسامة. أما زينب فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع وخرج مع الجميع عبد الله بن أبي بكر بأم رومان زوج أبيه وعائشة أخته وأسماء زوج الزبير بن العوّام وكانت حاملا بابنها عبد الله وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة

﴿ حمى المدينة ﴾

ولم يكن هواء المدينة في البدء موافقا للمهاجرين من أهل مكة فأصاب كثيراً منهم الحمي وكان رسول الله يعودهم فلما شكوا

اليه الامر قال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة وأشد وبارك لنا في مدها وفي صاعها وانقل وباءها الى الجحفة (١) فاستجاب الله جل وعلا دعوته وعاش المهاجرون في المدينة بسلام

﴿ منع المستضعفين من الهجرة ﴾

ومنع مشركو مكة بعضاً من المسلمين عن الهجرة وحبسوهم وعذبوهم منهم الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص فكان عليه السلام يدعو لهم في صلاته وهذا أصل القنوت وقد حصل في أوقات مختلفة ومحلات في الصلات مختلفة فكان في وتر العشاء وصلاة الصبح بعد الركوع وقبله فروى كل صحابي ماراه وهذا سبب اختلاف الائمة في مكان القنوت

﴿ السنة الاولى . بناء المسجد ﴾

ثم شرع عليه السلام في بناء مسجده في مبرك ناقته أمام محلة بني النجار وكان محله مربداً للتمر يملكه غلامان يتيمان في حجر أسعد ابن زرارة فدعا الغلامين وساومهما المربد ليتخذه مسجداً فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى عليه السلام أن يقبله منهما هبة بل ابتاعه منهما وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفر ونخل فأمر بالقبور فنبشت وبالحفر فسويت وبالنخل فقطع ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ

(١) قرية على اثنين وثمانين ميلا من مكة وهي ميقات أهل الشام

وشرعوا في البناء به وجعلوا عضادتى الباب من الحجارة وسقفوه بالجريد وجعلت عمده من جذوع النخل ولا يزيد ارتفاعه عن القامة الا قليلا وقد عمل فيه رسول الله بنفسه ليرغب المسلمين في العمل وصاروا يرتجزون وهو يقول معهم * اللهم لا خير الا خير الآخرة * فارحم الانصار والمهاجرة * وجعلت قبلة المسجد في شماله الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب ثم حصبت أرضه لان المطر كان قد أثر فيه فأمر عليه السلام بحصبه ولم يزين المسجد بفرش حتى ولا بالحصر وبنى بجانبه حجرتان احداهما لسودة بنت زمعة والاخرى لعائشة ولم يكن عليه السلام متزوجاً غيرهما اذ ذاك وكانت الحجرتان مجاورتين وملاصقتين للمسجد على شكل بنائه وصارت الحجرات تبنى كلما جاءت زوج

﴿ بدء الاذان ﴾

اوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائماً متذكرين عظمة العلي الاعلى فيتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه ولذلك قال في محكم كتابه في سورة العنكبوت (ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر) وجعل أفضل الصلاة ما كان جماعة ليذاكر المسلمون بعضهم بعضاً في شؤنهم واحتياجاتهم ويقووا روابط الالفة والاتحاد بينهم ومتى حان وقت الصلاة لابد من عمل ينبه الغافل ويذكر

الساهي حتي يكون الاجتماع عاماً فائتمر النبي عليه الصلاة والسلام مع الصحابة فيما يفعل لذلك فقال بعضهم نرفع راية اذا حان وقت الصلاة ليراها الناس فلم يرتضوا ذلك لانها لا تفيد النائم ولا الغافل وقال آخرون نشعل ناراً على مرتفع من الهضاب فلم يقبل أيضاً واشار آخرون ببوق وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم فكرهه رسول الله لانه لم يكن يحب تقليد اليهود في عمل ما وأشار بعضهم بالناقوس وهو مايستعمله النصارى فكرهه الرسول أيضاً وأشار بعضهم بالنداء فيقوم بعض الناس اذا حانت الصلاة وينادي بها فقبل هذا الرأي وكان أحد المنادين عبد الله بن زيد الانصاري فبينما هو بين النائم واليقظان اذ عرض له شخص وقال ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة قال بلى فقال له قل الله أكبر الله أكبر مرتين وتشهد مرتين ثم قل حيّ على الصلاة مرتين ثم حيّ على الفلاح مرتين ثم كبر ربك مرتين ثم قل لا اله الا الله فلما استيقظ توجه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره خبر رؤياه فقال انها لرؤيا حق ثم قال له لقن ذلك بلالا فانه اندى صوتاً منك وبينما بلال يؤذن اذ جاء عمر يجر رداءه فقال والله لقد رأيت مثله يارسول الله. وكان بلال أحد مؤذنيه بالمدينة والآخر عبد الله ابن أم مكتوم وكان بلال يقول في أذان الصبح بعد حي

على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين وأقره الرسول على ذلك وكان عليه السلام يأمر في فجر رمضان بأذانين أولهما يوقظ به الغافلون حتى ينتبهوا للسحور والثاني للصلاة * أما الاذان للجمعة فكان أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد نداء آخر على الزوراء رواه البخاري ولما تولى هشام بن عبد الملك أخذ الاذان الذي زاده عثمان بالزوراء وجعله على المنار ثم نقل الاذان الذي كان على المنار حين صعود الامام على المنبر في العهد الاول بين يديه

فعلم بذلك ان الاذان في المسجد بين يدي الخطيب بدعة احدثها هشام بن عبد الملك ولا معنى لهذا الاذان لانه انما هو نداء الى الصلاة ومن هو في المسجد لا معنى لندائه ومن هو خارج المسجد لا يسمع النداء اذا كان النداء في المسجد ذكر ذلك الشيخ محمد بن الحاج في المدخل

قال الحافظ في فتح الباري . وأما ما أحدث الناس قبل الجمعة من الدعاء اليها بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهو في بعض البلاد دون بعض واتباع السلف الصالح أولى اه

فعلم من ذلك كله ان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذان الجمعة انه كان اذا جلس على المنبر اذن مؤذنه على المنار

فاذا انتهت الخطبة أقيمت الصلاة وما عدا ذلك فكله ابتداع

أما الاقامة وهي الدعوة للصلاة في المسجد فقد اختلفت الروايات في نصها فرواها محمد بن ادريس الشافعي مفردة الا لفظ قد قامت الصلاة فمثنى ورواها مالك بن أنس مفردة كلها ورواها أبو حنيفة النعمان مثنى كلها

﴿ يهود المدينة ﴾

(هذا) وكما ابتلى الله المسلمين في مكة بمشركي قريش ابتلاهم في المدينة بيهودها وهم بنو قينقاع وقريظة والنضير فانهم أظهروا العداوة والبغضاء حسداً من عند انفسهم من بعد ماتبين لهم انه الحق وكانوا قبل مجيء الرسول يستفتحون على المشركين من العرب اذا شبت الحرب بين الفريقين بنبي يبعث قد قرب زمانه فلما جاءهم ماعرفوا استعظم رؤساؤهم ان تكون النبوة في ولد اسماعيل فكفروا بما أنزل الله بغيا مع انهم يرون ان رسول الله محمداً لم يأت الا مصدقا لما بين يديه من كتب الله التي أنزلها على من سبقه من المرسلين مبيناً ماأفسده التأويل منها ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون. ومما عابوه على الاسلام نسخ الاحكام وما دروا ان القادر العليم يعلم مايحتاجه الانسان اكثر منهم فانه ميال بطبعه للترقي والرسول عليه السلام وجد بادىء

بدء بين جماعة من العرب أميين ليسوا عن شيء من الاعتقادات الالهية فكانت الحكمة داعية لان يكون التشريع لهم على التدريج لانه لو حرم الله عليهم شرب الخمر واكل الربا وأمرهم بالصلاة والزكاة وهكذا الى آخر الاوامر والمناهي التي جاء بها الشرع الاسلامي لما أجابه أحد من هؤلاء النافرة قلوبهم المختلفة اهواؤهم الذين كانوا منغمسين في كثير من الاضاليل فجاءهم رسول الله عليه السلام بالامر شيئاً فشيئاً حتى رُوّضت عقولهم وهذبت نفوسهم وكانت الاحكام لاينزلها الله عليه الا عقب الحوادث التي تقتضيها ليكون التأثير في النفوس أشد ولكن اليهود أرادوا غلّ يد القدرة عن ان تفعل الا مايشتهون وقد حجهم القرآن الشريف بما يدل على انهم يعلمون من نفوسهم البعد عن الحق فقال في سورة البقرة (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم جل ذكره عدم اجابتهم بقوله (ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) فلو كانوا يعلمون من أنفسهم انهم على الحق لما تأخروا عما طلب منهم مع سهولته وحرصهم على تكذيب الصادق الامين ولم ينقل لنا عن أحد منهم انه تمنى ذلك ولو نطقا باللسان وقد تبين الهدى لاحد رؤساء بني قينقاع وهو عبد الله بن سلام فترك هواه وأسلم

بعد أن سمع القرآن و بعد ان كان اليهود يعدونه من رؤسائهم عدوه من سفهائهم حينا بلغهم اسلامه فبائس ماشتروا لانفسهم ولما استحكمت في قلوبهم عداوة الاسلام صاروا يجهدون انفسهم في اطفاء نوره (ويأبي الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون)

﴿ المنافقون ﴾

(وكان) يساعدهم على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة اعمى الله بصائرهم فاخفوا كفرهم خوفا على حياتهم وكان يرأس هذه الجماعة عبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجي الذي كان مرشحا لرياسة أهل المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شك ان ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار لان أولئك يدخلون بين المسلمين فيعلمون اسرارهم ويشيعونها بين الاعداء من اليهود وغيرهم كما حصل ذلك مراراً والاساس الذي كان عليه رسول الله أن يقبل ماظهر ويترك لله مابطن ولكنه عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم في عمل ما فكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة ويولى عليها بعض الانصار ولكن لم يعهد أنه ولى رجلاً ممن عهد عليه النفاق لانه عليه السلام يعلم مايكون منهم لو ولوا عملاً فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لاضرار المسلمين وهذا درس مهم لرؤساء الاسلام يعلمهم انهم لا يثقون في الاعمال

المهمة الا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو اظهار ما يخالف مافي الفؤاد

﴿ معاهدة اليهود ﴾

هذا وقد علمت انه كان يضاد المسلمين في المدينة فئتان اليهود والمنافقون ولكن الرسول قبل من هؤلاء ظواهرهم وعقد مع أولئك عهداً مقتضاه ترك الحرب والاذي فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه أحداً وان دهمه بالمدينة عدو ينصرونه وأقرهم على دينهم

﴿ مشروعية القتال ﴾

قد علم مما تقدم أن رسول الله عليه السلام لم يكن يقاتل أحداً على الدخول في الدين بل كان الامر قاصراً على التبشير والانذار وكان الله سبحانه ينزل عليه من الآي مايقويه على الصبر امام ما كان يلاقيه من أذي قريش ومن ذلك قوله في سورة الاحقاف (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وكان كثيرا مايقص الله عليه أنباء اخوانه من المرسلين قبله ليثبت به فؤاده ولما ازداد طغيان أهل مكة الجؤوه الى الخروج من داره بعد أن ائتمروا على قتله فكانوا هم البادئين بالعداء على المسلمين حيث أخرجوهم من ديارهم بغير حق فبعد الهجرة أذن الله للمهاجرين

بقتال مشركي قريش بقوله في سورة الحج (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الاّ أن يقولوا ربنا الله) ثم أمرهم بذلك في قوله في سورة البقرة (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) وبذلك لم يكن الرسول يتعرض الا لقريش دون سائر العرب فلما تمالأ على المسلمين غير أهل مكة من مشركى العرب واتحدوا عليهم مع الاعداء أمر الله بقتال المشركين كافة بقوله في سورة التوبة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) وبذلك صار الجهاد عاماً لكل من ليس له كتاب من الوثنيين وهذا مصداق قوله عليه السلام (أمرت أن أقاتل الناس حتي يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) ولما وجد المسلمون من اليهود خيانة للعهود حيث انهم ساعدوا المشركين في حروبهم أمر الله بقتالهم بقوله في سورة الانفال (واما تخافنّ من قوم خيانة

فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين) وقتالهم واجب حتي يدينوا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ليأمن المسلمون جانبهم وصار قتال رسول الله للاعداء على هذه المبادئ الآتية

(١) اعتبار مشركي قريش محاربين لانهم بدؤا بالعدوان فصار للمسلمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن الله بفتح مكة أو تعقد هدنة وقتية بين الطرفين

(٢) متى رؤي من اليهود خيانة وتحيز للمشركين قوتلوا حتي يؤمن جانبهم بالنفي أو القتل

(٣) متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت قريشاً قوتلت حتى تدين بالاسلام .

(٤) كل من بادأ بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى قوتل حتى يذعن بالاسلام أو يعطى الجزية عن يد وهو صاغر

(٥) كل من أسلم فقد عصم دمه وماله الا بحقه والاسلام يقطع ماقبله

وقد أنزل الله في القرآن الكريم كثيراً من الآي تحريضاً على الاقدام في قتال الاعداء وتبعيداً عن الفرار من الزحف فقال في الموضوع الاول في سورة النساء (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون

الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما) وقال في الموضوع الثاني في سورة الانفال (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم و بئس المصير)

﴿ بدء القتال ﴾

كانت عادة قريش ان تذهب بتجارتها الى الشام لتبيع وتبتاع ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيراً وكان يسير معها لحراستها كثير من أشراف القوم وسراتهم ولا بد لوصولهم الى الشام من المرور على دار الهجرة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصادر تجارتهم ذاهبة وآيبة ليكون في ذلك عقاب لمشركي مكة حتى تضعف قوتهم المالية فيكون ذلك أدعى لخذلانهم في ميدان القتال الذي لا بد وان يكون لان قريشاً لم تكن لتسكت عن سفه أحلامهم وعاب عبادتهم خصوصاً وهم قدوة العرب في الدين

﴿ سرية (١) ﴾

في شهر رمضان أرسل عمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين

(١) السرية قطعة من الجيش ونريد بها كل غزاة لم يكن فيها رسول الله والتي كان فيها غزوة

رجلاً من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حمله أبو مرثد حليف حمزة ليعترض عيراً لقريش آيبة من الشام فيها أبو جهل وثلاثمائة من أصحابه المشركين فسار حمزة حتى وصل ساحل البحر من ناحية العيص (١) فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بين الفريقين مجدى بن عمرو الجهني فأطاعوه وانصرفوا وشكر عليه السلام مجديا على عمله لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم

وفي شوال أرسل عبيدة بن الحارث بن عم حمزة في ثمانين راكباً من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حمله مسطح بن أثاثة ليعترض عيراً لقريش فيها مائتا رجل فوافوا العير ببطن رابغ (٢) فكان بينهم الرمي بالنبل ثم خاف المشركون ان يكون للمسلمين كمين فانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن الاسود وعتبة بن غزوان وكانا قد أسلما وخرجا ليلحقا بالمسلمين

﴿ وفيات ﴾

وفي هذه السنة توفى من المهاجرين عثمان بن مظعون أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع أسلم قديما وهاجر الهجرتين

(١) عرض من اعراض المدينة أي ناحية منها
(٢) واد بين الحرمين قرب البحر

ولما دفن أمرعليه السلام بأن يرش قبره بالماء ووضع على قبره حجراً وقال أتعلم به قبر أخي وأدفن اليه من مات من أهلي وهذا كان القصد من وضع الاحجار على المقابر لاما يقصده أهل العصور الاخيرة من تشييد الهياكل على القبور وتصويرها بصور ترى في عين الناظر كالاصنام ليأتي أقارب الميت و يصنعوا عندها احتفالات كثيراً ماتشبه ما كان يفعله مشركو مكة عند معابدهم ومن العبث فعل شيء لم يفعله رسول الله مما يتعلق بامور الآخرة

ومات من الانصار أسعد بن زرارة أحد النقباء الاثنى عشر كان رضي الله عنه نقيب بني النجار ولما مات اختار رسول الله نفسه للنقابة عليهم لان ابن أخت القوم منهم ومات أيضا البراء بن معرور أحد النقباء وهو الذي كان يتكلم عن القوم في العقبة الثانية ومات من مشركي مكة في هذه السنة الوليد بن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له أبو جهل ماجزعك ياعم فقال والله مابي من جزع من الموت ولكن أخاف ان يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة فقال أبو سفيان لاتخف اني ضامن ان لايظهر وفيها أيضا مات العاصي ابن وائل السهمي وقد كفى الله المسلمين شر هذين الشقيين

﴿ السنة الثانية. غزوة ودان ﴾

ولاثنتى عشرة ليلة خلت من السنة الثانية خرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد ان استخلف عليها سعد بن عبادة ليعترض عيرا لقريش فسار حتى بلغ ودّان (١) وكان يحمل لواءه عمه حمزة ولم يلق هناك حرباً لان العير كانت قد سبقته وفي هذه الغزوة صالح بنى ضمرة على انهم آمنون على أنفسهم ولهم النصر على من رامهم وان عليهم نصرة المسلمين اذا دعوا ثم رجع الى المدينة بعد مضي خمس عشرة ليلة

﴿ غزوة بواط ﴾

ولم يمض على رجوعه غير قليل حتي بلغه ان عيراً لقريش آتية من الشام فيها أمية بن خلف ومائة من قريش وألفان وخمسمائة بعير فسار اليها في مائتين من المهاجرين وذلك في ربيع الاول وكان يحمل لواءه سعد بن أبي وقاص فسار حتى بلغ بواط (٢) فوجد العير قد فاتته فرجع ولم يلق كيداً وذلك كله لما كان يأخذه المشركون من الحذر على أنفسهم والاجتهاد في تعمية أخبارهم عن أهل المدينة

﴿ غزوة العشيرة ﴾

وأعقب رجوعه عليه السلام خروج قريش باعظم عير لها فقد

---

(١) قرية بين مكة والمدينة بينها و بين الابواء ستة أميال

(١) جبال جهينة على ابراد من المدينة جهة ينبع

جمعوا فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشي أو قرشية لها مثقال فصاعدا الا بعث به في تلك العير وكان برأسها أبو سفيان بن حرب ومعه بضعة وعشرون رجلاً فخرج لها الرسول في جمادي الاولى ومعه مائة وخمسون من المهاجرين واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد وحمل لواءه عمه حمزة ولم يزل سائراً حتى بلغ العشيرة(١) فوجد العير قد مضت وحالف عليه السلام في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم ثم رجع عليه السلام الى المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع

﴿ غزوة بدر الاولى ﴾

وبعد رجوعه عليه السلام بقليل جاء كرز بن جابر الفهري وأغار على سرح المدينة وهرب فخرج الرسول في طلبه واستخلف علي المدينة زيد بن حارثة الانصاري وحمل لواءه على بن أبي طالب فسار حتى بلغ سفوان (١) وفاته كرز فلم يلق حرباً وتسمى هذه الغزوة بدرا الاولى

﴿ سرية ﴾

وفي رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها ثمانية رجال يرأسها عبد الله بن جحش وأعطاه كتاباً مختوماً لا يفضه الا بعد أن

(١) واد من ناحية بدر

يسير يومين ثم ينظر فيه فسار عبدالله يومين ثم فتح الكتاب فاذا فيه (اذا نظرت كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم) وانما لم يخبرهم عليه السلام بمقصدهم وهم بالمدينة حذراً من شيوع الخبر فيدل عليهم أحد الاعداء من المنافقين أو اليهود فتترصد لهم قريش ولا يخفى أن عدد السرية قليل لا تمكنه المقاومة ثم سار عبد الله رضي الله عنه وفي اثناء السير تخلف سعد ابن أبي وقاص وعتبة بن غزوان لانهما أضلا بعيرهما الذي كانا يعتقبانه وسار الباقون حتى وصلوا نخلة فمرت بهم عير قرشية تريد مكة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان فاجمع المسلمون أمرهم على أن يحملوا عليهم ويأخذوا مامعهم فحملوا عليهم في آخر يوم من رجب فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا عثمان والحكم وهرب نوفل واستاقوا العير وهي أول غنيمة غنمها المسلمون من أعدائهم قريش ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من اللحاق بهم فلما قدموا المدينة وشاع أنهم قاتلوا في الاشهر الحرم وعابتهم قريش واليهود بذلك عنفهم المسلمون وقال لهم عليه السلام ما أمرتكم بقتال في الاشهر الحرم فندموا وأنزل الله في سورة البقرة (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد

الحرام واخراج أهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل) فسري عنهم وقد طلب المشركون فداء أسيريهما فقال عليه السلام حتى يرجع سعد وعتبة فلما رجعا قبل عليه السلام الفدية في الاسيرين فاما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن اسلامه وبقي مع المسلمين وأما عثمان فلحق بمكة كافراً

﴿ تحويل القبلة ﴾

مكث عليه السلام بالمدينة ستة عشر شهرا يستقبل بيت المقدس في صلاته وكان يحب ان تكون قبلته الكعبة ويقلب وجهه في السماء داعيا الله بذلك فبينما هو في صلاته اذا أوحي الله اليه بتحويل القبلة الى الكعبة فتحول وتحول من وراءه وكانت هذه الحادثة سبباً لافتتان بعض المسلمين الذين ضعفت قلوبهم فارتدوا على اعقابهم وقد اكثر اليهود من التنديد على الاسلام بهذا التحويل وما دروا ان لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ صوم رمضان ﴾

وفي شعبان من هذه السنة أوجب الله صوم شهر رمضان على الامة الاسلامية وكان عليه السلام قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر والصيام من دعائم هذا الدين والفرائض التي بها يتم النظام فان الانسان مجبول علي حب نفسه والسعي فيما يعود عليها

بالنفع الخاص تاركا ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين فلا بد من وازع يزعه لحاجات قوم أقعدتهم قواهم عن ادراك حاجاتهم ولا أقوى من ذوق قوارص الجوع والعطش اذ بهما تلين نفسه ويتهذب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات

﴿ صدقة الفطر ﴾

ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر فترى الانسان يبذلها بسخاء نفس ومحبة خالصة

﴿ زكاة المال ﴾

وفي هذا العام فرضت زكاة الاموال وهذه هي النظام الوحيد الذي به يأكل الفقراء والمساكين من اخوانهم الاغنياء بلا ضرر على هؤلاء فاذا بلغت الدنانير عشرين أو الدراهم أربعمائة وحال عليها الحول وجب عليك ان تؤدي ربع عشرها اي اثنين ونصفا في كل مائة وما زاد فبحسابه واذا بلغت الشياه أربعين والبقر ثلاثين والابل خمساً وحال عليها الحول وجب عليك كذلك ان تؤدي منها جزأ مخصوصا حدده الشارع ومثلها عروض التجارة ومحصولات الزراعة كل هذا يقبضه الامام ويوزعه على مستحقيه من الفقراء والمساكين وبقية المذكورين في آية الصدقة (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم

وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) واللبيب العاقل البعيد عن التعصب يحكم لاول نظرة ان هذا النظام مع عدم اضراره بالاغنياء مقلل لمصائب الفقر التي ألجأت كثيرا من فقراء الامم ان يخالفوا نظام دولهم ويؤسسوا مبادئ تقويض العمران وتداعي الامن كما يفعله الاشتراكيون وغيرهم

﴿ غزوة بدر الكبرى ﴾

لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التي خرج لها عليه السلام وهي متوجهة الى الشام فلم يدركها ولم يزل مترقبا رجوعها فلما سمع برجوعها ندب اليها أصحابه وقال هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فاجاب قوم وثقل آخرون لظنهم ان الرسول عليه السلام لم يرد حربا فانه لم يحتفل بها بل قال من كان ظهره حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا فخرج لثلاث ليال خلون من رمضان بعد ان ولى على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وكان معه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا مائتان ونيف وأربعون من الانصار والباقون من المهاجرين ومعهم فرسان وسبعون بعيرا يعتقبونها والحامل للواء مصعب بن عمير العبدري * ولما علم أبو سفيان بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم استأجر راكبا ليأتي قريشا

ويخبرهم الخبر فلما علموا بذلك ادركتهم حميتهم وخافوا على تجارتهم فنفروا سراعا ولم يتخلف من أشرافهم الا أبو لهب بن عبد المطلب فانه أرسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة واراد أمية بن خلف ان يتخلف لحديث حدثه اياه سعد بن معاذ حينما كان معتمرا بعد الهجرة بقليل حيث قال كما رواه البخاري سمعت من رسول الله يقول انهم قاتلوك قال بمكة قال لا أدري ففزع لذلك وحلف ان لا يخرج فما به أبو جهل ولم يزل به حتى خرج قاصدا الرجوع بعد قليل ولكن ارادة الله فوق كل ارادة فان منيته ساقته الى حتفه بالرغم عن أنفه وكذلك عزم جماعة من الاشراف على القعود فعيب عليهم ذلك وبهذا أجمعت رجال قريش على الخروج فخرجوا على الصعب والذلول امامهم القينات يغنين بهجاء المسلمين و(زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) وقد ضرب الله عمل الشيطان هذا مثلا يعتبر به ذوو الرأي من بعدهم فقال في سورة الحشر (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين) وهكذا كان عمله في هذه الواقعة (فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب) وكان عدة من خرج من المشركين تسعمائة

وخمسين رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون ولم يكن خروجه الا للعير فعسكر ببيوت السقيا خارج المدينة واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة على الحرب ثم أرسل اثنين يتجسسان الاخبار عن العير ولما بلغ الروحا (١) جاءه الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم وجاءه مخبراه بأن العير ستصل بدرا غدا أو بعد غد فجمع عليه السلام كبراء الجيش وقال لهم (أيها الناس ان الله قد وعدني احدى الطائفتين أنها لكم العير أو النفير) فتبين له عليه السلام ان بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهي العير ليستعينوا بما فيها من الاموال فقد قالوا هلاّ ذكرت لنا القتال فنستعد وجاء مصداق ذلك قوله تعالى في سورة الانفال (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) ثم قام المقداد ابن الاسود رضي الله عنه فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فوالله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا اناهاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون والله لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فدعا له بخير ثم قال عليه السلام أشيروا على أيها الناس

(١) موضع على ثلاثين أو أربعين ميلا جنوب المدينة الغربي

وهو يريد الانصار لان بيعة العقبة ربما يفهم منها انه لاتجب عليهم نصرته الا مادام بين أظهرهم فان فيها يارسول الله انا براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فقال سعد بن معاذ سيد الاوس كانك تريدنا يارسول الله فقال أجل فقال سعد قد آمنا بك وصدقناك واعطيناك عهودنا فامض لما أمرك الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك وما نكره ان تكون تلقى العدو بنا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك فسر على بركة الله فأشرق وجهه عليه السلام وسر بذلك وقال كما في رواية البخاري (أبشروا والله لكأني أنظر الى مصارع القوم) فعلم القوم من هذه الجملة ان الحرب لابد حاصلة وحقيقة حصلت فان أبا سفيان لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوكة وسار متبعا ساحل البحر فنجا وأرسل الى قريش يعلمهم بذلك ويشير عليهم بالرجوع فقال أبو جهل لانرجع حتى نحضر بدرا (١) فنقيم فيه ثلاثا ننحر الجزر ونطعم

(١) محل بين مكة والمدينة وهو الى المدينة اقرب في الجنوب الغربي منها على الطريق السلطاني وكان به سوق يعقد كل سنة ثمانية ايام

الطعام ونسقي الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فقال الاخنس بن شريق الثقفي لبني زهرة وكان حليفا لهم ارجعوا ياقوم فقد نجى الله أموالكم فرجعوا ولم يشهد بدرًا زهري ولا عدوي ثم سار الجيش حتى وصلوا وادي بدر فنزلوا عدوته القصوى (١) عن المدينة في أرض سهلة لينة أما جيش المسلمين فانه لما قارب بدرًا أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ليعرفا الاخبار فصادفا سقاة لقريش فيهم غلام لبني الحجاج وغلام لبني العاص السهميين فأتيا بهما والرسول عليه السلام قائم يصلي ثم سألاهما عن أنفسهما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم الماء فضرباهما لانهما ظنا أن الغلامين لابي سفيان فقال الغلامان نحن لابي سفيان فتركاهما ولما أتم الرسول عليه السلام صلاته قال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش ثم قال لهما أخبراني عن قريش قالاهم وراء هذا الكثيب فقال لهما كم هم فقالا لاندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يومًا تسعًا ويومًا عشرًا قال القوم ما بين التسعمائة والالف ثم سألهما عمن في النفير من أشراف قريش فذكرا له عددا عظيما فقال عليه السلام لاصحابه هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها (٢) ثم ساروا حتى نزلوا بعدوة

(١) عدوة الوادي شاطئه (٢) قطع كبدها

الوادي الدنيا من المدينة بعيدا عن الماء في أرض سبخة فاصبح المسلمون عطاشًا بعضهم جنب و بعضهم محدث فحدثهم الشيطان بوسوسته ولولا فضل الله عليهم ورحمته لثنيت عزائمهم فانه قال لهم ماينتظر المشركون منكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فارسل الله لهم الغيث حتى سال الوادي فشربوا واتخذوا الحياض على عدوة الوادي واغتسلوا وتوضؤا وملؤا الاسقية ولبدت الارض حتى ثبتت عليها الاقدام على حين ان كان هذا المطر مصيبة على المشركين فانه وحل الارض حتى لم يعودوا يقدرون على الارتحال ومصداق هذا قوله تعالى في سورة الانفال (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) وقد أرى الله رسوله في منامه الاعداء كما أراهموه وقت اللقاء قليلي العدة كيلا يفشل المسلمون وليقضي الله أمرًا كان مفعولا قال تعالى في سورة الانفال (اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم ان الله عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور) ثم سار جيش المسلمين حتى نزل ادنى ماء من بدر فقال

له الحباب بن المنذر الانصاري وكان مشهورا بجودة الرأي يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال يارسول الله ليس لك هذا بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فاني أعرف غزارة مائه وكثرته فننزله ونغوّر ماعداه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون فقال الرسول عليه السلام لقد أشرت بالرأي ونهض حتى أتى أدنى ماء من القوم ثم أمر بالآبار التي خلفهم فغوّرت لينقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه ثم قال له سعد بن معاذ سيد الاوس يانبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ماأحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يانبي الله مانحن باشد لك حبا منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة في الجهادونية ولو ظنوا انك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك انما ظنوا انها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك فقال عليه السلام أو يقضي الله خيرا من ذلك ثم بنى للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان الحرب ولما اجتمعوا عدّل

عليه السلام صفوفهم مناكبهم متلاصقة فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ثم نظر لقريش فقال (اللهم هذه قريش قدأقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به) وفي هذا الوقت وقع خلف بين رؤساء عسكر المشركين فان عتبة ابن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ويحمل دم حليفه عمرو ابن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش ويحمل ما أصيب من عيره ودعا الناس الى ذلك فلما بلغ أبا جهل الخبر وسمه بالجبن وقال والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقبل ان تقوم الحرب على ساقها خرج من صفوف المشركين الاسود بن عبد الاسد المخزومي وقال أعاهد الله لاشربن من حوضهم أولاهدمنه أولاموتن دونه فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره فزحف على الحوض حتى اقتحم فيه ليبر قسمه فاتبعه حمزة فقتله ثم وقف عليه السلام يحرض الناس على الثبات والصبر وكان فيما قال (وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر عتبة ابن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد فطلبوا أكفاءهم فخرج اليهم ثلاث من الانصار فقالوا لاحاجة لنا بكم انما نريد أكفاءنا من بني عمنا

فاخرج لهم عليه السلام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب للاول وحمزة بن عبد المطلب للثاني وعلي بن أبي طالب للثالث فاما حمزة وعلى فقتلا صاحبيهما وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضربتين كلاهما جرح صاحبه فحمل رفيقا عبيدة على عتبة فأجهزا عليه وحمل عبيدة من بين الصفوف جريحاً يسيل مخ ساقه واضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله قدمه الشريف فوضع خده عليها و بشره عليه السلام بالشهادة فقال وددت والله ان أباطالب كان حياً ليعلم اننا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

و بعد انقضاء هذه المبارزة وقف عليه السلام بين الصفوف يعدلها بقضيب في يده فمر بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من الصف فضربه بالقضيب في بطنه وقال استقم يا سواد فقال اوجعتني يارسول الله وقد بعثت بالحق والعدل فاقدني من نفسك فكشف الرسول عليه السلام عن بطنه وقال استقد ياسواد فاعتنقه سواد وقبل بطنه فقال عليه السلام ماحملك على ذلك فقال يارسول الله قد حضر ماترى فاردت ان يكون آخر العهد أن يمس جلدي جلدك فدعاله بخير ثم ابتدأ عليه السلام يوصي الجيش فقال (لاتحملوا حتى آمركم وان اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) ثم حضهم على

الصبر والثبات ثم رجع الى عريشه ومعه رفيقه أبو بكر وحارسه سعد بن معاذ واقف على باب العريش متوشح سيفه وكان من دعاء الرسول عليه السلام ذاك الوقت كما جاء في صحيح البخاري (اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد) فقال أبو بكر حسبك فان الله سينجز لك وعدك فخرج عليه السلام من العريش وهو يقول (سيهزم الجمع و يولون الدبر) ثم قال عليه السلام يحرض الجيش (والذي نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة ومن قتل قتيلاً فله سلبه) فقال عمير بن الحمام و بيده تمرات يأكلها بخ بخ ما بيني و بين أن أدخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل واشتد القتال وحمي الوطيس وأيد الله المسلمين بالملائكة بشرى لهم ولتطمئن به قلوبهم فلم تكن الا ساعة حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتبعهم المسلمون يقتلون و يأسرون فقتل من المشركين نحو السبعين منهم من قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وقد قتلوا مبارزة أول القتال وأبو البختري بن هشام والجراح والد أبي عبيدة قتله ابنه بعد ان ابتعد عنه فلم يزدجر وقتل أمية بن خلف وابنه على اشترك في قتلهما جماعة من الانصار مع بلال بن رباح وعمار بن ياسر وقد سعيا في ذلك لما كان

يفعله بهما أمية في مكة ومن القتلى حنظلة بن أبي سفيان وأبو جهل ابن هشام اثخنه فتيان صغيران من الانصار لما كانا يسمعانه من انه كان شديد الايذاء لرسول الله واجهز عليه عبد الله بن مسعود وقتل نوفل بن خويلد قتله علي بن أبي طالب وقتل عبيدة والعاصي ولدا أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وقتل كثيرون غيرهم أما الاسرى فكانوا سبعين أيضا قتل منهم عليه السلام وهو راجع عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث اللذين كانا بمكة من أشد المستهزئين

وقد أمر عليه السلام بالقتلى فنقلوا من مصارعهم التي كان الرسول عليه السلام أخبر بها قبل حصول الموقعة الى قليب بدر لانه عليه السلام كان من سننه في مغازيه اذا مر بجيفة انسان أمر بها فدفنت لا يسأل عنه مؤمنا أو كافرا ولما القى عتبة والد أبي حذيفة أحد السابقين الى الاسلام تغير وجه ابنه ففطن الرسول عليه السلام لذلك فقال لعلك دخلك من شأن أبيك شيء فقال لا والله ولكنى كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو ان يهديه الله للاسلام فلما رأيت مامات عليه أحزنني ذلك فدعا له الرسول عليه السلام بخير ثم امر عليه السلام براحلته فشد عليها حتى قام على شفة القليب الذي رمى فيه المشركون فجعل

يناديهم بأسمائهم واسماء آبائهم يافلان ابن فلان و يافلان ابن فلان ايسركم انكم كنتم أطعتم الله ورسوله فانا قدوجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا فقال عمر يارسول ماتكلم من اجساد لاأرواح فيها فقال والذي نفس محمد بيده ماانتم باسمع لما أقول منهم وتقول عائشة رضي الله عنها انما قال انهم الآن ليعلمون ان ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت انك لاتسمع الموتى. وما أنت بمسمع من في القبور. تقول يعلمون ذلك حينا تبوؤا مقاعدهم من النار (رواه البخاري) ثم ارسل عليه السلام المبشرين فأرسل عبد الله ابن رواحة لاهل العالية (١) وأرسل زيد بن حارثة لاهل السافلة راكبا على ناقة رسول الله وكان المنافقون والكفار من اليهود قد أرجفوا بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين عادة الاعداء في اذاعة الضراء يقصدون بذلك فتنة المسلمين فجاء أولئك المبشرون بما سر اهل المدينة وكان ذلك وقت انصرافهم من دفن رقية بنت رسول الله وزوج عثمان ثم قفل رسول الله راجعا وهنا وقع خلف بين بعض المسلمين في قسمة الغنائم فالشبان يقولون باشرنا القتال فهي لنا خالصة والشيوخ يقولون كنا ردءا لكم فنشاركم ولما كان هذا الاختلاف مما يدعو الى الضعف ويزرع في القلوب العداوة والبغضاء

(١) قرى بظاهر المدينة وهي العوالى

المؤديين الى تشتت الشمل أنزل الله حسماً لهذا الخلاف أول سورة الانفال (يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) فسطع على افئدتهم نور القرآن فتألفت بعد ان كادت تفترق وتركوا أمر الغنائم لرسول الله يضعها كيف شاء كما حكم القرآن فقسمها عليه السلام على السواء الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس وادخل في الاسهام بعض من لم يحضر لامر كلف به وهم أبو لبابة الانصاري لانه كان مخلفاً على أهل المدينة والحارث بن حاطب لان الرسول عليه السلام خلفه على بني عمرو بن عوف ليحقق أمراً بلغه والحارث بن الصمة وخوّات بن جبير لانهما كسرا بالروحاء فلم يتمكنا من السير وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لانهما أرسلا يتجسسان الاخبار فلم يرجعا الا بعد انتهاء الحرب وعثمان بن عفان لان الرسول عليه السلام خلفه على ابنته رقية يمرضها وعاصم بن عدوى لانه خلفه على أهل قباء والعالية وكذلك أسهم لمن قتل ببدر وهم أربعة عشر منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الذي جرح في المبارزة الاولى فانه رضي الله عنه مات عند رجوع المسلمين من بدر ودفن بالصفراء ولما قارب عليه السلام المدينة تلقته الولائد بالدفوف يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

﴿ اسرى بدر ﴾

ولما دخلوا المدينة استشار عليه السلام أصحابه فيما يفعل بالاسرى فقال عمر بن الخطاب يارسول الله قد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك فأرى أن تمكنني من فلان لقريب له فأضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس وعليا من أخيه عقيل وهكذا حتى يعلم أنه ليس في قلوبنا مودة للمشركين ماأرى أن تكون لك أسرى فاضرب اعناقهم هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ووافقه على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة وقال أبو بكر يارسول الله هؤلاء أهلك وقومك قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان الله يهديهم بك فيكونوا لك عضداً فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب أقوام حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب أقوام حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال (فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) وان مثلك يا عمر مثل نوح قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) ورأى عليه السلام رأى أبي بكر بعد ان مدح كلا من الصاحبين لان الوجهة

واحدة وهي اعزاز الدين وخذلان المشركين ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتنّ أحد من أسراكم الا بفداء وقد بلغ قريشاً ماعزم عليه الرسول في أمر الاسرى فناحت على القتلى شهراً ثم اشير عليهم من كبارهم أن لا يفعلوا كيلا يبلغ محمداً وأصحابه جزعهم فيشمتوا بهم فسكتوا وصمموا ان لا يبكوا قتلاهم حتى يأخذوا بثارهم وتواصوا فيما بينهم ان لا يعجلوا في طلب الفداء لئلا يتغالى المسلمون فيه

﴿ الفداء ﴾

فلم يلتفت الى ذلك المطلب بن أبي وداعة السهمي وكان أبوه من الاسري فخرج خفية حتى أتى المدينة وفدى أباه بأربعة آلاف درهم وعند ذلك بعثت قريش في فداء أسراها وكان أربعة آلاف الى الف درهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم وكان ذلك فداءه (ومن) الاسرى عمرو بن أبي سفيان ولما طلب من أبيه فداؤه أبي وقال والله لا يجمع محمد بين ابني ومالي دعوه يمسكوه في أيديهم ما بدا لهم فبينما أبو سفيان بمكة اذ وجد سعد بن النعمان الانصاري معتمراً فعدا عليه فحبسه بابنه عمرو فمضى قوم سعد الى رسول الله وأخبروه الخبر فأعطاهم عمراً ففكوا به سعداً (ومن الاسرى أبو العاص بن الربيع

زوج زينب بنت الرسول وكان عليه السلام قد أثنى عليه خيراً في مصاهرته فانه لما استحكمت العداوة بين قريش ورسول الله بمكة طلبوا من أبي العاص أن يطلق زينب كما فعل ابنا أبي لهب بابنتي الرسول فامتنع وقال والله لاأفارق صاحبتي وما أحب ان لي بها امرأة من قريش ولما أسر أرسلت زينب في فدائه قلادة لها كانت حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها فلما رأى عليه السلام تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال لاصحابه ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا فرضى الاصحاب بذلك فاطلقه عليه السلام بشرط ان يترك زينب تهاجر الى المدينة فلما وصل الى مكة أمرها باللحاق بأبيها وكان الرسول أرسل لها من يأتي بها فاحتملوها (هذا) ولما أسلم أبو العاص بن الربيع قبيل الفتح رد عليه امرأته بالنكاح الاول (ومن) الاسرى سهيل بن عمرو كان من خطباء قريش وفصحائها وطالما آذى المسلمين بلسانه فقال عمر بن الخطاب دعني يارسول الله انزع ثنيتي سهيل يدلع (١) لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً فقال عليه السلام لا أمثل فيمثل الله بي وان كنت نبياً وعسى أن يقوم مقاما لا تذمه وقدم بفدائه مكرز بن حفص ولما ارتضى معهم على مقدار حبس نفسه

(١) يخرج

بدله حتى جاء بالفداء. هذا وقد حقق الله خبر الرسول في سهيل فانه لما مات عليه السلام أراد أهل مكة الارتداد كما فعل غيرهم من الاعراب فقام سهيل هذا خطيباً وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت ألم تعلموا ان الله قال (انك ميت وانهم ميتون) وقال (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ثم قال والله اني أعلم ان هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها فلا يغرنكم هذا يريد (أبا سفيان) من أنفسكم فانه ليعلم من هذا الامر ما أعلم لكنه قد ختم على صدره حسد بني هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومقوّ دينه وقد جمعكم الله على خيركم (يريد أبا بكر) وان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس عما كانوا عزموا عليه وكان هذا الخبر من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم (ومن) الاسرى الوليد بن الوليد افتكه اخواه خالد وهشام فلما افتدى ورجع الى مكة أسلم فقيل له هلا أسلمت قبل الفداء فقال خفت ان يعدوا اسلامي خوفا ولما أراد الهجرة منعه أخواه ففر الى النبي في عمرة القضاء (ومن) الاسرى السائب

ابن يزيد وكان صاحب الراية في تلك الحرب فدى نفسه وهو الجد الخامس للامام محمد بن ادريس الشافعي (ومنهم) وهب ابن عمير الجمحي كان أبوه عمير شيطانا من شياطين قريش كثير الايذاء لرسول الله جلس يوما بعد انتهاء هذه الحرب مع صفوان ابن أمية يتذاكران مصاب بدر فقال عمير والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الفقر بعدي كنت آتي محمداً فأقتله فان ابني أسير في أيديهم فقال له صفوان دينك عليّ وعيالك مع عيالي فأخذ عمير سيفه وشحذه وسمه وانطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر مع نفر من المسلمين اذ نظر الى عمير متوشحا سيفه فقال هذا الكلب عدو الله ماجاء الا بشر ثم قال للنبي عليه السلام هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه فقال أدخله علي فأخذ عمر بحمائل سيفه وأدخله فلما رآه عليه السلام قال أطلقه ياعمر أدن ياعمير فدنا وقال انعموا صباحاً فقال عليه السلام قد أبدلنا الله بتحية خير من تحيتك وهي السلام ثم قال ماجاء بك ياعمير قال جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم فاحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً فقال عليه السلام أصدقني ما الذي جئت له قال ماجئت الا لذلك قال عليه السلام كلا بل قعدت أنت وصفوان في الحجر وقلتما كيت وكيت فأسلم عمير وقال كنا نكذبك بما تأتي به من خبر

السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان فقال عليه السلام فقهوا أخاكم في دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا أسيره فعاد عمير الى مكة وأظهر اسلامه (ومن) الاسرى أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير مر به أخوه فقال للذي أسره شد يدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقال له يا أخي هذه وصايتك بي . بعثت أمه بفدائه أربعة آلاف درهم (ومن) الاسرى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد خرج لهذه الحرب مكرهاً ولما وقع في الاسر طلب منه فداء نفسه وابن أخيه عقيل بن أبي طالب فقال علام ندفع وقد استكرهنا على الخروج فقال عليه السلام لقد كنت في الظاهر علينا فاخذت منه فدية نفسه وابن أخيه ثم قال للرسول لقد تركتني فقير قريش ما بقيت قال كيف وقد تركت لام الفضل أموالاً وقلت لها ان مت فقد تركتك غنية فقال العباس والله ما اطلع على ذلك أحد . وهذا العمل غاية مايفعل من العدل والمساواة فانه عليه السلام لم يعاف عمه مع علمه بأنه انما خرج مكرها وقد عافى غيره جماعة تحقق له فقرهم فهكذا العدل ولا غرابة فذلك أدب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين) (ومن) الاسرى أبو عزة الجمحي الشاعر

كان شديد الايذاء لرسول الله بمكة فلما أسر قال يا محمد اني فقير وذو عيال وذو حاجة قد عرفتها فامنن علي فمنّ عليه فضلا منه

﴿ العتاب في الفداء ﴾

ولما تم الفداء أنزل الله في شأنه (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتي يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) نهى سبحانه عن اتخاذ الاسرى قبل الاثخان في قتل الذين يصدون عن سبيل الله ويمنعون دين الله من الانتشار وعاب بعض المسلمين على ارادة عرض الدنيا وهو الفدية ولولا حكم سابق من الله أن لا يعاقب مجتهداً على اجتهاده مادام المقصد خيراً لكان العذاب ثم أباح لهم الاكل من تلك الفدية المبني أخذها على النظر الصحيح وهذا من أقوى الادلة علي صدق نبينا عليه السلام فيما جاء به لانه لو كان من عنده ما كان يعاتب نفسه على عمل عمله بناء على رأي كثير من الصحابة وقد وعد الله الاسرى الذين يعلم في قلوبهم حيراً بأن يؤتيهم خيراً مما أخذ منهم و يغفرلهم فقال (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم و يغفر لكم والله غفور رحيم) وهذه الغزوة هي التي أعز الله بها الاسلام وقوّى أهله ودمغ فيه

الشرك وخرب محله مع قلة المسلمين وكثرة عدوهم فهي آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان عليه العدو من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسوّمة والخيلاء الزائدة ولذلك قال الله ممتنا على عباده بهذا النصر (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) أي قليل عددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله فهي أعظم غزوات الاسلام اذ بها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره فقد قتل فيها من صناديد قريش من كانوا الاعداء الألداء للاسلام ودخل الرعب في قلوب العرب الآخرين فكانت للمسلمين هيبة بها يكسرون الجيوش ويهزمون الرجال فلا جرم أن شكرنا العلي الاعلى على هذه العناية واتخذنا يوم النصر في بدر وهو السابع عشر من رمضان عيداً نتذكر فيه نعمة الله على رسوله وعلى المسلمين

﴿ غزوة قينقاع ﴾

هذا واذا كان للشخص عدوان فانتصر على أحدهما حرك ذلك شجو الآخر وهاج فؤاده فتبدوا بغضاؤه غير مكترث بعاقبة عدائه وهذا ماحصل من يهود بني قينقاع عند تمام الظفر في بدر فانهم نبذوا ماعاهدوا المسلمين عليه وأظهروا مكنون ضمائرهم فبدت البغضاء من أفواههم وانتهكوا حرمة سيدة من نساء الانصار وهذا

مما يدعوا المسلمين للتحرز منهم وعدم ائتمانهم في المستقبل اذا شبت الحرب في المدينة بين المسلمين وغيرهم فانزل الله في سورة الانفال (واما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ (١) اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين) فدعا عليه السلام رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكث العهد فقالوا يامحمد لايغرنك مالقيت من قومك فانهم لاعلم لهم بالحرب ولو لقيتنا لتعلمن انا نحن الناس وكانوا أشجع يهود فانزل الله في سورة آل عمران (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار) وعند ذلك تبرأ من حلفهم عبادة ابن الصامت أحد رؤساء الخزرج وتشبث بالحلف عبد الله بن أبيّ وقال اني رجل أخشى الدوائر فانزل الله تعليما للمسلمين في سورة المائدة (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن

(١) أي فاطرح اليهم العهد على طريق مستو قصد بأن تظهر لهم نبذ العهود ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد لان ذلك خيانة ولذا قال (ان الله لايحب الخائنين)

تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) وعند ماتظاهر يهود قينقاع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سار اليهم عليه السلام في نصف شوال من هذه السنة يحمل لواءه عمه حمزة وخلف على المدينة أبا لبابة الانصاري فحاصرهم خمس عشرة ليلة

﴿ جلاء قينقاع ﴾

ولما رأوا من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين وأدركهم الرعب سألوا رسول الله أن يخلي سبيلهم فيخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين الاموال فقبل ذلك عليه السلام ووكل بجلائهم عبادة بن الصامت وأمهلهم ثلاث ليال فذهبوا الى اذرعات (١) ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا كلهم وخمس عليه السلام أموالهم وأعطى سهم ذوي القربى لبني هاشم ولبني المطلب دون بني أخويهما عبد شمس ونوفل ولما سئل عن ذلك قال انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد في الجاهلية والاسلام هكذا وشبك بين أصابعه

﴿ غزوة السويق ﴾

كان أبو سفيان متهيجاً لانه لم يشاهد بدرا التي قتل فيها ابنه

(١) بلد بالشام

وذوو قرباه فحلف ان لايمس رأسه الماء حتي يغزو محمداً وليبر بقسمه وخرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بني النضير ليهيجهم ويستعين بهم على حرب المسلمين فأتى سيدهم حيي بن أخطب فلم يرض مقابلته فأتى سلام بن مشكم فاذن له واجتمع به ثم خرج من عنده وأرسل رجالا من قريش الى المدينة فحرقوا بعض نخلها ووجدوا انصاريا فقتلوه ولما علم بذلك رسول الله خرج اثرهم في مائتين من أصحابه لخمس خلون من ذي الحجة بعد ان ولى على المدينة بشير بن عبدالمنذر ولكن لم يلحقهم لانهم هربوا وجعلوا يخففون مايحملونه ليكونوا أقدر على الاسراع فالقوا مامعهم من جرب السويق فأخذه المسلمون ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق

﴿ صلاة العيد ﴾

وفي هذا العام سن الله للعالم الاسلامي سنة عظيمة بها يتمكن أبناء البلد الواحد من المسلمين ان يجددوا عهود الاخاء ويقووا عروة الدين الوثقى وهي الاجتماع في يومي عيد الفطر وعيد الاضحى وكان عليه السلام يجمع المسلمين في صعيد واحد ويصلي بهم ركعتين تضرعاً الى الله ان لاينفصم عروتهم وان ينصرهم علي عدوهم ثم يخطبهم حاضاً لهم علي الائتلاف ومذكراً لهم مايجب عليهم

لانفسهم ثم يصافح المسلمون بعضهم بعضاً و بعد ذلك يخرجون لاداء الصدقات للفقراء والمساكين حتى يكون السرورعاماً لجميع المسلمين فبعد الفطر زكاته و بعد الاضحى تضحيته نسأله تعالى ان يؤلف قلوبنا و يوفقنا لاعمال سلفنا

﴿ زواج علي بفاطمة عليهما السلام ﴾

وفي هذه السنة تزوج علي بن أبي طالب وعمره احدى وعشرون سنة بفاطمة بنت رسول الله وسنها خمس عشرة سنة وكان منها عقب رسول الله بنو الحسن والحسين وزينب (وفيها) دخل عليه السلام بعائشة بنت أبي بكر وسنها اذ ذاك تسع سنوات

﴿ السنة الثالثة ﴾

يالله يقضي على الشقي بالشقاوة حتى لايسمع ولا يبصر فيتخذ الغدر رداء والخيانة شعاراً فلا ينجح معه الا اراحة العالم من شره هذا كعب بن الاشرف اليهودي عظيم بني النضير أعمته عداوة المسلمين حتى خلع برقع الحياء وصار يحرض قريشاً على حرب رسول الله ويهجوه بالشعر ويجتهد في اثارة الشحناء بين المسلمين فكلما جبر عليه السلام كسراً هاضه هذا الشقي بما ينفثه من سموم لسانه

﴿ قتل كعب بن الاشرف ﴾

ولما انتصر المسلمون ببدر ورأى الاسرى مقرنين في الحبال خرج الى قريش يبكي قتلاهم ويحرضهم على حرب المسلمين فقال عليه السلام من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة الانصارى الاوسي أتحب ان أقتله قال نعم قال أنا لك به وائذن لي أن اقول شيئاً أتمكن به فاذن له ثم خرج ومعه أربعة من قومه حتى أتى كعباً فقال له ان هذا الرجل (يريد رسول الله) قد سألنا صدقة وانه قد عنانا واني قد أتيتك استسلفك قال وأيضاً والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب ان ندعه حتى ننظر الي أي شيء يصير شأنه وقد أردنا ان تسلفنا وسقا أو وسقين قال نعم ولكن ارهنوني قالوا أي شيء تريد قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني ابناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح فرضي فواعده ليلاً ان يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة أخو كعب من الرضاع وعباد بن بشر والحارث بن أوس وابو عبس بن جبر وكلهم أوسيون فناداه محمد بن مسلمة فاراد أن ينزل فقالت له امرأته اين تخرج الساعة وانك امرؤ تحارب فقال انما هو ابن أخي محمد

ابن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لاجاب ثم قال محمد لمن معه اذا جاءني فاني آخذ بشعره فاشمه فاذا رايتموني استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل اليهم كعب متوشحاً سيفه وهو ينفح منه ريح المسك فقال محمد مارأيت كاليوم ريحاً اطيب أتأذن لي ان اشم رأسك قال نعم فشمه فلما استمكن منه قال دونكم فقتلوه ففعلوا وأراح الله المسلمين من شر أعماله التي كان يقصدها بهم ثم أتوا النبي فأخبروه وكان قتل هذا الشقي في ربيع الاول من هذا العام وكان عليه السلام اذا رأى من رئيس غدراً ومقاصد سوء ومحبة لاثارة الحرب أرسل له من يريحه من شره وقد فعل كذلك مع أبي عفك اليهودي وكان مثل كعب في الشر

﴿ غزوة غطفان ﴾

بلغ رسول الله ان بني ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برياسة رئيس منهم اسمه دعثور يريدون الغارة على المدينة فاراد عليه السلام ان يغل ايديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج اليهم من المدينة في اربعمائة وخمسين رجلا لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول وخلف على المدينة عثمان بن عفان ولما سمعوا بسير رسول الله هربوا الى رؤس الجبال ولم يزل المسلمون سائرين حتي وصلوا ماء

يسمى ذا أمر فعسكروا به وحدث انه عليه السلام نزع ثوبه يجففه من مطر بلله وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فابصره دعثور فاقبل اليه بسيفه حتى وقف على رأسه وقال من يمنعك منى يامحمد فقال الله فادركت الرجل هيبة ورعب اسقطا السيف من يده فتناوله عليه السلام وقال لدعثور من يمنعك مني قال لا أحد فعفا عنه فاسلم الرجل ودعا قومه للاسلام وحول الله قلبه من عداوة رسول الله وجمع الناس لحربه الى محبته وجمع الناس له ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا ماينتجه حسن المعاملة والبعد عن الفظاظة وغلظ القلب (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر)

﴿ غزوة بحران ﴾

بلغه عليه السلام أن جمعاً من بني سليم يريدون الغارة على المدينة فسار اليهم في ثلاثمائة من أصحابه لست خلون من جمادي الاولى وخلف على المدينة ابن أم مكتوم ولما وصل الى بحران(١) تفرقوا ولم يلاق كيدا فرجع

﴿ سرية ﴾

لما تيقنت قريش أن طريق الشام من جهة المدينة أغلق في

(١) موضع بناحية الفرع وهذا موضع من اضخم اعراض المدينة

وجه تجارتهم ولا يمكنهم الصبر عنها لان بها حياتهم أرسلوا عيرا الى الشام من طريق العراق وكان فيها جمع من قريش منهم أبو سفيان ابن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزي فجاءت أخبارهم لرسول الله فارسل لهم زيد بن حارثة في مائة راكب يترقبونهم وكان ذلك في جمادي الآخرة فسارت السرية حتى لقيت العير على ماء اسمه (القردة) بناحية نجد فاخذت العير وما فيها وهرب الرجال وقد خمس الرسول عليه السلام هذه العير حينما وصلت له

﴿ غزوة أحد ﴾

لما أصاب قريشاً ما أصابها ببدر وأغلقت في وجوههم طرق التجارة اجتمع من بقى من أشرافهم الى أبي سفيان رئيس تلك العير التي جلبت عليهم المصائب وكانت موقوفة بدار الندوة ولم تكن سلمت لاصحابها بعد فقالوا ان محمداً قد وترنا وقتل خيارنا وانا رضينا ان نترك ربح أموالنا فيها استعدادا لحرب محمد وأصحابه وقد رضى بذلك كل من له فيها نصيب وكان ربحها نحوا من خمسين الف دينار فجمعوا لذلك الرجال فاجتمع من قريش ثلاثة آلاف رجل ومعهم الاحابيش وهم حلفاؤهم من بني المصطلق و بنى الهون بن خزيمة ومعهم ابو عامر الراهب الاوسي وكان قد فارق المدينة كراهية في رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عدد ممن هم على شاكلته وخرج معهم جماعات

من أعراب كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لابي عزة الشاعر الذي لاينسى القارئ ان الرسول منّ عليه ببدر واطلقه من غير فداء انك رجل شاعر فاعنا بلسانك فقال انى عاهدت محمداً أن لاأعين عليه وأخاف ان وقعت في يده مرة ثانية أن لا أنجو فلم يزل به صفوان حتى أطاعه وذهب يستنفر الناس لحرب المسلمين ودعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً له اسمه وحشي وكان رامياً قلما يخطئ فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة بعمي طعيمة فانت حر ثم خرج الجيش ومعهم القيان والدفوف والمعازف والخمور واصطحب الاشراف منهم نساءهم كيلا ينهزموا ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة. أما رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث به اليه عمه العباس بن عبد المطلب الذي لم يخرج مع المشركين في هذه الحرب محتجاً بما أصابه يوم بدر ولما وصلت الاخبار باقتراب المشركين جمع عليه السلام أصحابه وأخبرهم الخبر وقال ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان هم أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فكان من رأيه شيوخ المهاجرين والانصار ورأى ذلك أيضا عبد الله بن أبي أما الاحداث وخصوصاً من لم يشهد بدراً منهم فأشاروا عليه بالخروج وكان من رأيهم حمزة بن عبد المطلب ومازال

هؤلاء بالرسول حتى تبع رأيهم لانهم الاكثر عدداً والاقوى جلداً فصلى الجمعة بالناس في يومها لعشر خلون من شوال وحضهم في خطبتها على الثبات والصبر وقال لهم (لكم النصر ماصبرتم) ثم دخل حجرته ولبس عدته فظاهر بين درعين (١) وتقلد السيف وألقى الترس وراء ظهره ولما رأى ذووا الرأى من الانصار أن الاحداث استكرهوا الرسول على الخروج لاموهم وقالوا ردوا الامر لرسول الله فما أمر ائتمرنا فلما خرج عليه السلام قالوا يارسول الله نتبع رأيك فقال ما كان لنبي لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ثم عقد الالوية فاعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الاوس لاسيد بن الحضير وخرج من المدينة بالف رجل فلما وصلوا رأس الثنية نظر عليه السلام كتيبة كبيرة فسأل عنها فقيل هؤلاء حلفاء عبدالله بن أبي من اليهود فقال انا لانستعين بكافر على مشرك وأمر بردهم لانه لايأمن جانبهم من حيث لهم اليد الطولى في الخيانة ثم استعرض الجيش فرد من استصغر وكان فيمن رد رافع خديج وسمرة بن جندب ثم أجاز رافعاً لما قيل له انه رام فبكى سمرة وقال

(١) أي لبس درعاً فوق درع وهما ذات الفضول وفضة التي أصابها من بني قينقاع

لزوج أمه أجاز رسول الله رافعاً وردني مع اني أصرعه فبلغ رسول الله الخبر فامرهما بالمصارعة فكان الغالب سمرة فاجازه ثم بات عليه السلام محله ليلة السبت واستعمل على حرس الجيش محمد بن مسلمة وعلى حرسه الخاص ذكوان بن قيس وفي السحر سار الجيش حتى اذا كان بالشوط وهو بستان بين أحد والمدينة رجع عبد الله بن أبي بثلاثمائة من أصحابه وقال عصاني وأطاع الولدان فعلام نقتل أنفسنا فتبعهم عبد الله بن عمرو والد جابر وقال ياقوم اذكركم الله ان تخذلوا قومكم ونبيكم قالوا لونعلم قتالا لاتبعناكم فقال لهم أبعدكم الله فسيغني الله عنكم نبيه. ولما فعل ذلك عبد الله بن أبي همت طائفتان من المؤمنين ان تفشلا بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة من الاوس فعصمهما الله وقد افترق المسلمون فرقتين فيما يفعلون بالمتخذلين فقوم يقولون نقاتلهم وقوم يقولون نتركهم فأنزل الله في سورة النساء (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد (١) وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة أما المشركون فنزلوا ببطن الوادي من قبل أحد وكان على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة

(١) جبل شمال المدينة الشرقي

ابن أبي جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية فجعل عليه السلام الزبير ابن العوام بازاء خالد وجعل آخرين أمام الباقين واستحضر الرماة وكانوا خمسين رجلا يرأسهم عبد الله بن جبير الانصاري فأوقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل وقال لاتبرحوا . ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تبرحوا ثم عدّل عليه السلام الصفوف وخطب المسلمين وكان فيما قال (ألقى في قلبي الرّوح الامين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وان أبطأ عنها فاتقوا ربكم وأجملوا في طلب الرزق لايحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعي له سائر جسده) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز له الزبير فقتله ثم حمل اللواء طلحة بن أبي طلحة فقتله علي فحمل اللواء أخوه عثمان فقتله حمزة فحمله أخ لهما اسمه أبو سعيد فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم قضى عليه فتناوب اللواء بعده أربعة من أولاد طلحة بن أبي طلحة وكلهم يقتلون وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر يطلب البراز فاراد أبوه أن يبرز له فقال له عليه السلام متعنا بنفسك ياأبا بكر ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفي كلها ينضحهم المسلمون بالنبل فيتقهقرون ولما التقت الصفوف وحميت

الحرب ابتدأ نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار تهييجاً لعواطف الرجال وكان عليه السلام كلما سمع نشيد النساء يقول (اللهم بك أحول وبك أصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل) وفي هذه المعمعة قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله سيد الشهداء غافله وحشي وهو يجول في الصفوف وضربه بحربة لم تخطىء ثنايا بطنه

(هذا) ولما قتل حملة اللواء من المشركين ولم يقدر أحد على الدنو منه ولوا الادبار ونساؤهم يبكين ويولولن وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم والاسلاب فلما رأى ذلك الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين فوق الجبل قالوا ما لنا في الوقوف من حاجة ونسوا أمر السيد الحكيم صلى الله عليه وسلم فذكرهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا ينتهبون أما رئيسهم فثبت ومعه قليل منهم فلما رأى خالد بن الوليد أحد رؤساء المشركين خلو الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش فقتل من ثبت من الرماة وأتى المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بدنياهم فلما رأوا ذلك البلاء دهشوا وتركوا ما بأيديهم وانتقضت صفوفهم واختلطوا من غير شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضاً ورفعت احدى نساء المشركين اللواء فاجتمعوا حوله وكان من المشركين رجل يقال له ابن قمئة قتل مصعب بن عمير صاحب اللواء

وأشاع ان محمداً قد قتل فدخل الفشل في المسلمين حتى قال بعضهم علام نقاتل اذا كان محمد قد قتل فارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال جماعة اذا كان محمد قد قتل فقاتلوا عن دينكم وكان من نتيجة هذا الفشل ان انهزم جماعة من المسلمين من بينهم الوليد بن عقبة وخارجة ابن زيد ورفاعة بن المعلى وعثمان بن عفان وتوجهوا الى المدينة ولكنهم استحيوا أن يدخلوها فرجعوا بعد ثلاث وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة منهم أبو طلحة الانصاري استمر بين يديه يمنع عنه بحجفته وكان رامياً شديد الرمي فنثر كنانته بين يدي رسول الله وصار يقول وجهي لوجهك فداء وكل من كان يمر ومعه كنانة يقول له عليه السلام انثرها لابي طلحة وكان ينظر الى القوم ليرى ماذا يفعلون فيقول له أبو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لاتنظر يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك (وممن) ثبت سعد بن أبي وقاص فكان عليه السلام يقول له ارم سعد فداك أبي وأمي (ومنهم) سهل بن حنيف وكان من مشاهير الرماة نضح عن رسول الله بالنبل حتى انفرج عنه الناس (ومنهم) أبو دجانة سماك بن خرشة الانصاري تترس على رسول الله فصار النبل يقع في ظهره وهو منحن حتى كثر فيه (وكان) يقاتل عن الرسول زيادة بن الحارث حتى اصابت الجراح مقاتله

فأمر به فأدني منه ووسده قدمه حتى مات (وقد) أصابه عليه السلام شدائد عظيمة تحملها بما اعطاه الله من الثبات فقد أقبل أبي ابن خلف يريد قتله فأخذ عليه السلام الحربة ممن كانوا معه وقال خلوا طريقه فلما قرب منه ضربه ضربة كانت سبب هلاكه وهو راجع ولم يقتل رسول الله غيره (وكان) أبو عامر الراهب قد حفر حفراً وغطاها ليقع فيها المسلمون فوقع الرسول في حفرة منها فأغمي عليه وخدشت ركبتاه فأخذه عليّ بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله وهما ممن ثبت حتى استوى قائماً فرماه عتبة بن أبي وقاص بحجر كسر رباعيته فتبعه حاطب بن أبي بلتعة فقتله وشجّ وجهه عليه السلام عبد الله بن شهاب الزهري وجرحت وجنتاه بسبب دخول حلقتي المغفر فيهما من ضربة ضربه بها ابن قمئة غضب الله عليه فجاء أبو عبيدة وعالج الحلقتين حتى نزعهما فكسرت في ذلك ثنيتاه وقال حينئذ عليه السلام كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فأنزل الله في سورة آل عمران (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وكان أول من عرف رسول الله بعد هذه الدهشة كعب بن مالك الانصاري فنادى يامعشر المسلمين أبشروا فأشار اليه الرسول أن أنصت ثم سار بين سعد ابن أبي وقاص وسعد بن عبادة يريد الشعب ومعه جمع منهم

أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمة وأقبل عليه اذ ذاك عثمان بن عبد الله بن المغيرة يقول أين محمد لانجوت ان نجا فعثر به فرسه ووقع في حفرة فمشى اليه الحارث بن الصمة وقتله ولما وصل الشعب جاءت فاطمة فغسلت عنه الدم وكان علي يسكب الماء ثم أخذت قطعة من حصير فاحرقتها ووضعتها على الجرح فاستمسك الدم ثم أراد عليه السلام أن يعلوا الصخرة التي في الشعب فلم يمكنه القيام لكثرة مانزل من دمه فحمله طلحة بن عبيد الله حتى أصعده فنظر الى جماعة من المشركين على ظهر الجبل فقال لاينبغي لهم أن يعلونا اللهم لاقوة لنا الا بك ثم ارسل اليهم عمر بن الخطاب في جماعة فانزلوهم (وقد) أصاب المسلمين الذين كانوا يحوطون رسول الله كثير من الجراحات لان الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفا أن يصل للرسول فوجد بطلحة نيف وسبعون جراحة وشلت يده وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة أما القتلى فكانوا نيفاً وسبعين منهم ستة من المهاجرين والباقون من الانصار (ومن) المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب ابن عمير ومن الانصار حنظلة بن أبي عامر وعمرو بن الجموح وابنه خلاد بن عمرو وأخو زوجته والد جابر بن عبد الله فاتت زوجة عمرو هند بنت حرام وحملتهم زوجها وابنها وأخاها على بعير

لتدفنهم بالمدينة فنهى عليه السلام عن الدفن خارج أحد فارجعوا (وقتل) سعد بن الربيع وأرسل عليه السلام من يأتيه بخبره فوجده بين القتلى وبه رمق فقيل له ان رسول الله يسأل عنك فقال لمبلغه قل لقومي يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وماعاهدتم عليه رسوله ليلة العقبة فوالله مالكم عندي عذر (وقتل) أنس بن النضر عم أنس بن مالك فانه لما سمع بقتل رسول الله قال ياقوم ما تصنعون بالبقاء بعده موتوا على مامات عليه اخوانكم فلم يزل يقاتل حتى قتل رضي الله عنه ومثلت قريش بقتلى أحد حتى ان هندا زوج أبي سفيان بقرت بطن حمزة وأخذت كبده لتأكلها فلاكتها ثم أرسلتها وفعلوا قريباً من ذلك باخوانه الشهداء (ثم) ان أبا سفيان صعد الجبل ونادى باعلى صوته نعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر وموعدكم بدر العام المقبل ثم قال انكم ستجدون في قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني . ثم ان المشركين رجعوا الى مكة ولم ولم يعرجوا على المدينة وهذا مما يدل على ان المسلمين لم ينهزموا في ذلك اليوم والا لم يكن بد من تعقب المشركين لهم حتى يغيروا على مدينتهم . ثم تفقد عليه السلام القتلى وحزن على عمه حمزة حزناً شديداً ودفن الشهداء كلهم بأحد كل شهيد بثوبه الذي قتل فيه وكان يدفن الرجلين والثلاثة في لحد واحد لما كان عليه

المسلمون من التعب فكان يشق عليهم ان يحفروا لكل شهيد حفرة (ولما) رجع المسلمون الى المدينة سخر بهم اليهود والمنافقون وأظهروا مافي قلوبهم من البغضاء وقالوا لاخوانهم لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا

وهذا الذي ابتلى به المسلمون درس مهم لهم يذكرهم بأمرين عظيمين تركهما المسلمون فأصيبوا (أولهما) طاعة الرسول في أمره فقد قال للرماة لاتبرحوا من مكانكم ان نحن نصرنا أو قهرنا فعصوا أمره ونزلوا (الثاني) ان تكون الاعمال كلها لله غير منظور فيها لهذه الدنيا التي كثيراً ما تكون سبباً في مصائب عظيمة وهؤلاء أرادوا عرض الدنيا والتهوا بالغنائم حتى عوقبوا وفي ذلك أنزل الله في سورة آل عمران (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) فسبب هذا الابتلاء التنازع فينبغي الاتفاق . والفشل فينبغي الثبات والعصيان فينبغي طاعة الرئيس نسأل الله التوفيق

﴿ غزوة حمراء الاسد ﴾

لما رجع عليه السلام الى المدينة أصبح حذراً من رجوع

المشركين الى المدينة ليتموا انتصارهم فنادى في أصحابه بالخروج خلف العدو وان لايخرج الا من كان معه بالامس فاستجابوا لله وللرسول من بعد ماأصابهم القرح فضمدوا جراحاتهم وخرجوا واللواء معقود لم يحل فأعطاه علي بن أبي طالب وولى على المدينة ابن أم مكتوم ثم سار الجيش حتى وصلوا حمراء الاسد (١) وقد كان ماظنه الرسول حقاً فان المشركين تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتي يتم لهم النصر فاصروا على الرجوع ولكن لما بلغهم خروج الرسول في أثرهم ظنوا انه قد حضر معه من لم يحضر بالامس وألقى الله الرعب في قلوبهم فتمادوا في سيرهم الى مكة وظفر عليه السلام وهم في حمراء الاسد بأبي عزة الشاعر الذي منّ عليه ببدر بعد ان تعهد أن لا يكون على المسلمين فأمر بقتله فقال يامحمد أقلني وامنن عليّ ودعني لبناتي وأعطيك عهداً أن لا أعود لمثل مافعلت فقال عليه السلام لا والله لاتمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين (لايلدغ المؤمن من جحر مرتين) اضرب عنقه يازيد فضرب عنه وفي هذا تأديب عظيم من صاحب الشرع الشريف فان الرجل الذي لايحترز مماأصيب منه ليس بعاقل فلا بد من الحزم لاقامة دعائم الملك

(١) موضع على ثمانية اميال من المدينة في طريق مكة

﴿ حوادث ﴾

في هذه السنة زوج عليه السلام بنته أم كلثوم لعثمان بن عفان بعد ان ماتت رقية عنده ولذلك كان يسمى ذا النورين (وفيها) تزوج عليه السلام حفصة بنت عمر بن الخطاب وأمها أخت عثمان ابن مظعون وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه فتوفى عنها بجراحة أصابته ببدر (وفيها) تزوج عليه السلام زينب بنت خزيمة الهلالية من بني هلال بن عامر كانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لرأفتها واحسانها اليهم وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها باحد وهي أخت ميمونة بنت الحارث لامها (وفيها) ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما (وفيها) حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدريج لما كان عليه العرب من المحبة الشديدة لها فيصعب اذاً تحريمها دفعة واحدة وكان ذلك التحريم تابعاً لحوادث تنفر عنها لان المنكر اذا أسند تحريمه لحادثة أقر الجميع على تقبيحها كان ذلك أشد تأثيراً على النفس فاول ما بين فيها قوله تعالى في سورة البقرة (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس) فمنفعة الميسر التصدق بربحه على الفقراء كما كانت عادة العرب ومنفعة الخمر تقوية الجسم ولما شربها بعض المسلمين وخلط في القراءة حرمت الصلاة على السكران فقال

تعالى في سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ولما حدث من شربها اعتداء بعض المسلمين على اخوانهم حرمت قطعياً بقوله تعالى في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب (١) والازلام (٢) رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وقد أجاب المسلمون على ذلك بقولهم انتهينا فليجب المسلمون الآن

﴿ السنة الرابعة ﴾

في بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله ان طليحة وسلمة ابني خويلد الاسديين يدعوان قومهما بني أسد لحربه عليه السلام فدعا أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي وعقد له لواء وقال له سر حتى تنزل أرض بني أسد بن خزيمة فأغر عليهم وارسل معه رجالاً فسار في هلال المحرم حتى بلغ قطنا (٣) فاغار عليهم فهربوا عن

---

(١) هي حجارة تصب عليها دماء الذبح وتعبد

(٢) هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وفي قرن الخمر والميسر بالانصاب والازلام نهاية التنفير ولذلك قال عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن اه (٣) جبل لبني أسد بناحية فيد شرقي المدينة

منازلهم ووجد أبو سلمة ابلا وشاء فاخذها ولم يلق حربا ورجع بعد عشرة أيام من خروجه (وفي) بدئها أيضا بلغه عليه السلام ان سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي المقيم بعرنة (١) يجمع الجموع لحربه فارسل له عبد الله بن أنيس الجهني وحده ليقتله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتقول حتى يتمكن فاذن له وقال انتسب لخزاعة فخرج لخمس خلون من المحرم ولما وصل اليه قال له سفيان ممن الرجل قال من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لاكون معك فقال له أجل اني لفي الجمع له فمشى عبد الله معه وحدثه وسفيان يستحلي حديثه فلما انتهى الى خبائه تفرق الناس عنه فجلس معه عبد الله حتى نام فقام وقتله ثم ارتحل حتي أتى المدينة ولم يلحقه الطلب وكفي الله المؤمنين القتال

﴿ سرية ﴾

وفي صفر أرسل عليه السلام عشرة رجال عيونا على قريش مع رهط عضل والقارة الذين جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون من يفقههم في الدين وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري فخرجوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع (٢)

---

(١) موضع قريب من عرفات

(٢) ماء لبني هذيل بين مكة وعسفان

غدر بهم أولئك الرهط ودلوا عليهم هذيلا قوم سفيان بن خالد الهذلي الذي قتله عبد الله بن أنيس فنفروا اليهم فيما يقرب من مائتي رام واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم فلما أحس بهم رجال السرية لجؤا الى جبل هناك فقال لهم الاعداء انزلوا ولكم العهد ان لا نقتلكم فنزل اليهم ثلاثة اغتروا بعهدهم وقاتلهم الباقون ومعهم عاصم غير راضين بالنزول في ذمة مشرك ولما رأى الثلاثة الذين سلموا عين الغدر امتنع أحدهم فقتلوه وأما الاثنان فباعوهما بمكة ممن كان له ثار عند المسلمين وهناك قتلا وقد قال أحدهما وهو خبيب بن عدى حين أرادوا قتله

ولست أبالي حين أقتل مسلماً * على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

﴿ سرية ﴾

في صفر وفد على رسول الله أبو عامر بن مالك ملاعب الاسنه وهو من رؤس بني عامر فدعاه عليه السلام الى الاسلام فلم يسلم ولم يبعد بل قال اني أرى أمرك هذا حسناً شريفاً ولو بعثت معي رجالاً من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه السلام اني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو عامر أنا لهم جار فارسل معه المنذر بن عمرو في سبعين

من أصحابه كانوا يسمون القراء لكثرة ما كانوا يحفظون من القرآن فساروا حتى نزلوا بئر معونة (١) فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب الى عامر بن الطفيل سيد بني عامر فلما وصل اليه لم يلتفت الى الكتاب بل عدا على حرام فقتله ثم استصرخ على بقية البعثة أصحابه من بني عامر فلم يرضوا ان يخفروا جوار ملاعب الاسنة فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم وهم رعل وذكوان وعصية فاجابوه وذهبوا معه حتى اذا التقوا بالقراء أحاطوا بهم وقاتلوهم حتى قتلوهم عن آخرهم بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعاً لقلة عددهم وكثرة عدوهم ولم ينج الا كعب بن زيد وقع بين القتلى حتى ظن انه منهم وعمرو ابن أمية كان في مسرح القوم وأبلغ عليه السلام خبر القراء فخطب في أصحابه وكان فيما قال (ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا انا قد لقينا ربنا فرضينا عنه ورضى عنا) وكان وصول خبر هذه السرية وسرية الرجيع في يوم واحد فحزن عليهم صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً وأقام يدعو على الغادرين بهم شهراً في الصلاة

﴿ غزوة بني النضير ﴾

يالله ما أسوأ عاقبة الطيش فقد تكون الامة مرتاحة البال

(١) شرقي المدينة بين أرض بني عامر وحرة بني سليم

هادئة الخواطر حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من ورائه النجاح فيجلب عليهم الشرور ويشتتهم من ديارهم وهذا ما حصل ليهود بنى النضير حلفاء الخزرج الذين كانوا يجاورون المدينة فقد كان بينهم وبين المسلمين عهود يأمن بها كل منهم الآخر ولكن بنو النضير لم يوفوا بهذه العهود حسداً منهم وبغياً فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض من أصحابه في ديار بني النضير اذ ائتمر جماعة منهم على قتله بأن يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو فاطلع عليه السلام على قصدهم فرجع وتبعه أصحابه ثم أرسل لهم محمد بن مسلمة يقول لهم اخرجوا من بلادي فقد هممتم بما هممتم من الغدر (اذ الحزم كل الحزم أن لا يتهاون الانسان مع من عرف منه الغدر) فتهيأ القوم للرحيل فأرسل لهم اخوانهم المنافقون يقولون لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم (لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) ولكن اليهود طمعوا بهذا الوعد وتأخروا عن الجلاء فأمر عليه السلام بالتهيؤ لقتالهم فلما اجتمع الناس خرج بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وأعطى رايته عليا أما بنوا النضير فتحصنوا في حصونهم وظنوا أنها مانعتهم من

الله فحاصرهم عليه السلام ست ليال ثم امر بقطع نخيلهم ليكون أدعى الى تسليمهم فقذف الله في قلوبهم الرعب ولم يروا من عبدالله ابن ابيّ مساعدة بل خذلهم كما خذل بني قينقاع من قبلهم فسألوا رسول الله ان يجليهم ويكف عن دمائهم وأن لهم ماحملت الابل من أموالهم الا آلة الحرب ففعل وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كيلا يسكنها المسلمون . ولما سار اليهود نزل بعضهم بخيبر ومنهم اكابرهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق ومنهم من سار الى اذرعات بالشام وأسلم منهم اثنان يامين بن عمرو وابو سعد بن وهب ولم يخمس رسول الله ماأخذ من بني النضير فانه فئ لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ومثل هذا يكون لمعدات الحرب وللرسول يطعم منه أهله ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كما قال تعالى في سورة الحشر (ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم) فاعطى عليه السلام من هذا الفئ فقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم وردوا لاخوانهم من الانصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم وأخذ عليه السلام أرضا يزرعها ويدخر منها قوت أهله عاما

﴿ غزوة ذات الرقاع ﴾

وفي ربيع الآخر بلغه عليه السلام أن قبائل من نجد يتهيؤن لحربه وهم بنو محارب وبنو ثعلبة فتجهز لهم وخرج في سبعمائة مقاتل وولى على المدينة عثمان بن عفان ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا ديار القوم فلم يجدوا بها أحدا غير نسوة فاخذهن فبلغ الخبر رجالهم فخافوا وتفرقوا في رؤوس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا للحرب فتقارب الناس وأخاف بعضهم بعضاً ولما حانت صلاة العصر وخاف عليه السلام أن يغدر بهم الاعداء وهم يصلون صلى بالمسلمين صلاة الخوف فالقى الله الرعب في قلوب الاعداء وتفرقت جموعهم خائفين منه صلى الله عليه وسلم

ومال الامام البخاري الى أن هذه الغزوة كانت في السنة السابعة وأجمع أهل السير على خلافه

﴿ غزوة بدر الآخرة ﴾

لما أهل شعبان هذا العام كان موعد أبي سفيان فانه بعد انقضاء غزوة أحد قال للمسلمين موعدنا بدر العام المقبل فاجابه الرسول الى ذلك وكان بدر محل سوق يعقد كل عام للتجارة في شعبان يقيم التجار فيه ثمانياً فلما حل الاجل وقريش مجدبون لم يتمكن أبو سفيان من الايفاء بوعده فاراد أن يخذل المسلمين عن الخروج كيلا يوسم

بخلف الوعد فاستأجر نعيم بن مسعود الاشجعي ليأتي المدينة ويرجف بما جمعه أبو سفيان من الجموع العظيمة فقدم نعيم المدينة وقال للمسلمين (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ولم يلتفت عليه السلام لهذا الارجاف اتكالاً على ربه بل خرج بالف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ولم يزالوا سائرين حتى أتوا بدراً فلم يجدوا بها أحداً لان ابا سفيان أشار على قريش بالخروج عل نية الرجوع بعد مسير ليلة أو ليلتين ظاناً أن ارجاف نعيم يفيد فيكون المخلف هم المسلمون فسار حتى أتي مجنة وهي سوق معروف من ناحية مرّ الظهران فقال لقومه ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب فارجعوا أما المسلمون فاقاموا ببدر لا يشاركهم في تجارته أحد (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) ولما سمع بذلك صفوان ابن أمية قال لابي سفيان قد والله نهيتك أن تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأو انا أخلفناهم

﴿ حوادث ﴾

وفي هذا العام ولد الحسين بن علي (وفيه) توفيت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين (وفيه) توفى أبو سلمة رضي الله عنه ابن

عمة رسول الله وأخوه من الرضاعة وأول من هاجر الى الحبشة (وفيه) تزوج عليه السلام أم سلمة هنداً زوج أبي سلمة بعد وفاته

﴿ السنة الخامسة غزوة دومة الجندل ﴾

في ربيع الاول من هذا العام بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان جمعا من الاعراب بدومة الجندل (١) يظلمون من مر بهم وانهم يريدون الدنو من المدينة فتجهز لغزوهم وخرج في ألف من أصحابه بعد ان ولى على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ولم يزل يسير الليل ويكمن النهار حتي قرب منهم فلما بلغهم الخبر تفرقوا فهجم المسلمون على ماشيتهم ورعائهم فاصيب من أصيب وهرب من هرب ثم نزل بساحتهم فلم يلق أحداً وبث السرايا فلم تجد منهم أحداً فرجع عليه السلام غانما وصالح وهو عائد عيينة بن حصن الفزاري وهو الذي كان يسميه عليه السلام الاحمق المطاع لانه كان يتبعه الف قناة وأقطعه عليه السلام أرضا يرعى فيها بهمه على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة لان أرضه كانت قد أجدبت

(١) مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين طيبة خمس عشرة ليلة

﴿ غزوة بني المصطلق ﴾

في شعبان بلغه عليه السلام أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق الذين ساعدوا قريشاً على حرب المسلمين في أحد يجمع الجموع لحربه فخرج له عليه السلام في جمع كثير وولى على المدينة زيد ابن حارثة وخرج معه من نسائه عائشة وأم سلمة وخرج معه ناس من المنافقين لم يخرجوا قط في غزوة قبلها يرجون أن يصيبوا من عرض الدنيا وفي اثناء مسيره عليه السلام التقى بعين بني المصطلق فسأله عن أحوال العدو فلم يجب فأمر بقتله. ولما بلغ الحارث رئيس الجيش مجيء المسلمين لحربه وأنهم قتلوا جاسوسه خاف هو وجيشه خوفاً شديداً حتى تفرق عنه بعضهم ولما وصل المسلمون الى المريسيع (١) تصاف الفريقان للقتال بعد أن عرض عليهم الاسلام فلم يقبلوا فتراموا بالنبل ساعة ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا لرجل من عدوهم مجالا للهرب بل قتلوا عشرة منهم وأسروا باقيهم مع النساء والذرية واستاقوا الابل والشياه وكانت الابل ألفي بعير والشياه خمسة آلاف استعمل الرسول على ضبطها مولاه شقران وعلى الاسرى بريدة وكان في نساء المشركين برة بنت الحارث سيد القوم وقد أخذ من قومها مائتا بيت اسرى وزعت

(١) ماء لخزاعة على يوم من الفرع

على المسلمين وهنا يظهر حسن السياسة ومنتهى الكرم فان بني المصطلق من أعز العرب داراً فاسر نسائهم بهذه الحال صعب جدا فاراد عليه السلام ان يجعل المسلمين يمنون على النساء بالحرية من تلقاء انفسهم فتزوج برّة بنت الحارث التي سماها جويرية فقال المسلمون أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في أيدينا فمنوا عليهم بالعتق فكانت جويرية أيمن امرأة على قومها كما قالت عائشة رضي الله عنها وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه المعاملة الجليلة أن أسلم بنو المصطلق على بكرة أبيهم وكانوا للمسلمين بعد ان كانوا عليهم (وقد) حصل في هذه الغزوة نادرتان لولا أن صاحبتهما حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعادتا بالتفريق على المسلمين. (فاولاهما) أن اجيرا لعمر بن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج فضرب الاجير الحليف حتى سال دمه فاستصرخ بقومه الخزرج واستصرخ الاجير بالمهاجرين فاقبل الذعر من الفريقين وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله فقال ما بال دعوى الجاهلية (وهي ما يقال في الاستغاثة يا لفلان) فاخبر بالخبر فقال دعوها هذه الكلمة فانها منتنة ثم كلم المضروب حتى أسقط حقه وبذلك سكنت الفتنة فلما بلغ عبد الله بن ابي هذا الخصام غضب وكان عنده رهط من الخزرج فقال ما رأيت كاليوم مذلة او قد فعلوها نافرونا في ديارنا والله ما نحن والمهاجرون الا كما

قال الاول سمن كلبك يأكلك أما والله (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) ثم التفت الى من معه وقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم غرضاً للمنايا دون محمد فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عنده وكان في مجلسه شاب حديث السن قوي الاسلام اسمه زيد بن أرقم فاخبر رسول الله الخبر فتغير وجهه وقال ياغلام لعلك غضبت عليه فقلت ماقلت فقال والله يارسول الله لقد سمعته قال لعله أخطأ سمعك فاستأذن عمر الرسول في قتل ابن أبي أو أن يأمر أحداً غيره بقتله فنهاه عن ذلك وقال كيف ياعمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ثم أذن بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحر يقصد بذلك عليه السلام شغل الناس عن التكلم في هذا الموضوع فجاءه أسيد بن حضير وسأله عن سبب الارتحال في هذا الوقت فقال أو ما بلغك ماقال صاحبكم زعم انه ان رجع الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال أنت والله يارسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم سار عليه السلام بالناس سيراً حثيثاً حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الارض

حتى وقعوا نياماً وكلم رجال من الانصار عبد الله بن أبي في أن يطلب من الرسول الاستغفار فلوى رأسه واستكبر وهنا نزل على الرسول سورة المنافقين التي فضحت عبد الله بن أبيّ واخوانه وصدقت زيد بن أرقم ولما بلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن أبى استأذن رسول الله في قتل أبيه حذراً من أن يكلف بذلك غيره فيكون عنده من ذلك أضغان وأحقاد فأمره عليه السلام بالاحسان الى أبيه

﴿ حديث الافك ﴾

(النادرة الثانية) وهي أفظع من الاولى وأجاب منها للمصائب وهي رمي عائشة الصديقية زوج رسول الله بالافك فاتهموها بصفوان بن المعطل السلمي وذلك انهم لما دنوا من المدينة آذن عليه السلام ليلة بالرحيل وكانت السيدة قد مضت لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش فلما قضت شأنها أقبلت الى رحلها فلمست صدرها فاذا عقد لها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت تلتمس عقدها فحبسها ابتغاؤه فاقبل الرهط الذين كانوا يرحلونها فاحتملوا هودجها ظانين أنها فيه لان النساء كن اذ ذاك خفافاً لم يغشهن اللحم فلم يستنكر القوم خفة الهودج وكانت عائشة جارية حديثة السن فجاءت منزل الجيش بعد ان وجدت عقدها وليس بالمنزل داع ولا مجيب

فغلبتها عيناها فنامت وكان الذي يسير وراء الجيش يفتقد ضائعه صفوان بن المعطل فاصبح عند منزلها فعرفها لانه كان رآها قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه وسترت وجهها بجلبابها فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحة فقامت قيامة أهل الافك وقالوا ماقالوا في عائشة وصفوان والذي تولى كبر الافك عبد الله بن أبي ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهراً والناس يفيضون في قول أهل الافك وهي لاتشعر بشيء وكانت تعرف في في رسول الله رقة اذا مرضت فلم يعطها نصيباً منها في هذا المرض بل كان يمر على باب الحجرة لايزيد على قوله كيف حالكم مما جعلها في ريب عظيم فلما نقهت خرجت هي وأم مسطح بن أثاثة أحد أهل الافك للتبرز خارج البيوت فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقالت عائشة بئس ماقلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت ياهنتاه أولم تسمعي ماقالوا فسألتها عائشة عن ذلك فاخبرتها الخبر فازدادت مرضاً على مرضها ولما جاءها عليه السلام كعادته استأذنته أن تمرض في بيت أبيها فاذن لها فسألت امها عما يقول الناس فقالت يابنية هوني عليك فهوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عنده رجل يحبها لها ضرائر الا اكثرن عليها فقالت

عائشة سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقألها دمع ولا تكتحل بنوم وفي خلال ذلك كان عليه السلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل فقال له أسامة ابن زيد لما يعلمه من براءة عائشة أهلك ولا نعلم عليهم الا خيرا وقال علي بن ابى طالب لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا عليه السلام بريرة جارية عائشة وقال لها هل رأيت من شيء يريبك فقالت والذي بعثك بالحق مارأيت عليها أمرا قط اغمصه غير انها جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتى الداجن فتأكله فقام عليه السلام من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في اهلي والله ماعلمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الا خيرا وما يدخل على اهلي الا معى فقال سعد بن معاذ انا يارسول الله اعذرك منه فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة الخزرجي وقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ماأحببت انه يقتل فقام أسيد بن حضير وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين وكادت تكون فتنة بين الأوس والخزرج لولا أن رسول

الله نزل من فوق المنبر وخفضهم حتى سكتوا أما عائشة فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم . وبينما هي مع أبويها اذ دخل النبي عليه السلام فسلم ثم جلس فقال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف وتاب تاب الله عليه فنقلص دمع عائشة وقالت لابويها أجيبا رسول الله فقالا والله ماندري مانقول فقالت اني والله لقد علمت انكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجدلي ولكم مثلا الا أبا يوسف قال (فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون) ثم تحولت واضطجعت على فراشها ولم يزاول رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة الصديقية (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله

عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذا تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا والله يزكى من يشاء) فسري عن رسول الله وهو يضحك وبشر عائشة بالبراءة فقالت لها أمها قومي فاشكري رسول الله فقالت لا والله لا أشكر الا الله الذي برأني وبعد ذلك أمر عليه السلام بان يجلد من صرح بالافك ثمانين جلدة وهي حد القاذف وكانوا ثلاثة حمنة بنت جحش ومسطح ابن أثاثة وحسان بن ثابت وكان أبو بكر ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه فلما تكلم بالافك قطع عنه النفقة فأنزل الله (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربي والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا أو ليصفحوا ألا تحبون أن يغفر

الله لكم والله غفور رحيم) فقال أبو بكر بل نحب ذلك يارسول الله وأعاد النفقة علي مسطح فهذه مضار المنافقين الذين يدخلون بين الانام مظهرين لهم المحبة وقلوبهم مملوءة حقدا يتربصون الفتن فمتى رأوا بابا لها ولجوه فنعوذ بالله منهم

﴿ غزوة الخندق ﴾

لم يقر لعظماء بنى النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم وارث المسلمين لها بل كان في نفوسهم دائما أن يأخذوا ثارهم و يستردوا بلادهم فذهب جمع منهم الى مكة وقابلوا رؤساء قريش وحرضوهم علي حرب رسول الله ومنوهم المساعدة فوجدوا منهم قبولاً لما طلبوه ثم جاؤا الى قبيلة غطفان وحرضوا رجالها كذلك وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب فوجدوا منهم ارتياحا فتجهزت قريش وأتباعها يرأسهم أبو سفيان ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري وعددهم أربعة آلاف معهم ثلاثمائة فرس وألف بعير وتجهز غطفان يرأسهم عيينة بن حصن الذي جازى احسان رسول الله كفرا فانه لما قدمنا أقطعه أرضا يرعى فيها سوائمه حتى اذا سمن خفه وحافره قام يقود الجيوش لحرب من أنعم عليه وكان معه الف فارس وتجهزت بنو مرة يرأسهم الحارث بن عوف المرّي وهم أربعمائة وتجهزت بنو أشجع يرأسهم ابو مسعود بن رخيلة وتجهزت

بنو سليم يرأسهم سفيان بن عبد شمس وهم سبعمائة وتجهزت بنو اسد يرأسهم طليحة بن خويلد الاسدى وعدة الجميع عشرة آلاف محارب قائدهم العام أبو سفيان ولما بلغه عليه السلام أخبار هاته التجهيزات استشار أصحابه فيما يصنع أيمكث بالمدينة أم يخرج للقاء هذا الجيش الجرار فأشار عليه سلمان الفارسي بعمل الخندق وهو عمل لم تكن العرب تعرفه فأمر عليه السلام المسلمين بعمله وشرعوا في حفره شمالي المدينة من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية وهذه هي الجهة التي كانت عورة تؤتي المدينة من قبلها أما بقية حدودها فمشتبكة بالبيوت والنخيل لايتمكن العدو من الحرب جهتها وقد قاسى المسلمون صعوبات جسيمة في حفر الخندق لانهم لم يكونوا في سعة من العيش حتى يتيسر لهم العمل وعمل معهم عليه الصلاة والسلام فكان ينقل التراب متمثلا بشعر ابن رواحة

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا * وان أرادوا فتنة أبينا

وأقام الجيش في الجهة الشرقية مسنداً ظهره الى سلع وهو جبل مطل على المدينة وعدتهم ثلاثة آلاف وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة ولواء الانصار مع سعد بن عبادة أما قريش فنزلت

بجمع الاسيال وما غصفان فنزلت جهة احد وكان المشركون معجبين بمكيدة الخندق التي لم تكن العرب تعرفها فصاروا يترامون مع المسلمين بالنبل ولما طال المطال عليهم أكره جماعة منهم أفراسهم على اقتحام الخندق منهم عكرمة بن ابى جهل وعمرو بن ودّ وآخرون وقد برز على بن ابى طالب لعمرو بن ود فقتله وهرب اخوانه وهوي في الخندق نوفل بن عبد الله فاندقت عنقه (ورمي) سعد بن معاذ رضى الله عنه بسهم قطع اكحله وهو شريان الذراع واستمرت المناوشة والمراماة بالنبل يوما كاملا حتى فاتت المسلمين صلاة ذلك اليوم وقضوها بعد وجعل عليه السلام على الخندق حراساً حتى لايقتحمه المشركون بالليل وكان يحرس بنفسه ثلمة فيه مع شدة البرد وكان عليه السلام يبشر اصحابه بالنصر والظفر و يعدهم الخير أما المنافقون فقد اظهروا في هذه الشدة ماتكنه ضمائرهم حتى قالوا ماوعدنا الله ورسوله الا غروراً وانسحبوا قائلين ان بيوتنا عورة نخاف ان يغير عليها العدو وما هي بعورة ان يريدون الا فراراً واشتد الحال بالمسلمين فان هذا الحصار صاحبه ضيق على فقراء المدينة والذي زاد الشدة عليهم ما بلغهم من ان يهود بني قريظة الذين يساكنونهم في المدينة قد انتهزوا هذه الفرصة لنقض العهود وسبب ذلك ان حيي بن أخطب سيد بني النضير

المجلين توجه الى كعب بن أسد القرظى سيد بني قريظة وكان له كالشيطان اذ قال للانسان اكفر فحسن له نقض العهد ولم يزل به حتي أجابه لقتال المسلمين. ولما بلغت هذه الاخبار رسول الله أرسل مسلمة ابن أسلم في مائتين وزيد بن حارثة في ثلاثمائة لحراسة المدينة خوفاً على النساء والذرارى وأرسل الزبير بن العوام يستجلى له الخبر فلما وصلهم وجدهم حانقين يظهر على وجوههم الشر ونالوا من رسول الله والمسلمين أمامه فرجع وأخبر الرسول بذلك وهنالك اشتد وجل المسلمين وزلزلوا زلزالاً شديداً لان العدو جاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون وتكلم المنافقون بما بدا لهم فاراد عليه السلام أن يرسل لعيينة بن حصن و يصالحه على ثلث ثمار المدينة لينسحب بغطفان فأبى الانصار ذلك قائلين انهم لم يكونوا ينالون منا قليلا من ثمرنا ونحن كفار أفبعد الاسلام يشاركوننا فيها. واذا أراد الله العناية بقوم هيأ لهم أسباب الظفر من حيث لايعلمون. فانظر الى هذه العناية من الله بالمتمسكين بدينه القويم. جاء نعيم بن مسعود الاشجعي وهو صديق قريش واليهود ومن غطفان فقال يارسول الله اني قد أسلمت وقومي لايعلمون باسلامي فمرني بامرك حتى أساعدك فقال أنت رجل واحد وماذا عسى أن تفعل ولكن خذل عنا

ما استطعت فان الحرب خدعة

﴿ الخدعة في الحرب ﴾

فخرج من عنده وتوجه الى بني قريظة الذين نقضوا عهود المسلمين فلما رأوه اكرموه لصداقته معهم فقال يابني قريظة تعرفون ودي لكم وخوفي عليكم واني محدثكم حديثاً فاكتموه عني قالوا نعم فقال لقد رأيتم ماوقع لبني قينقاع والنضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم وان قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم فهم اذا رأوا فرصة انتهزوها والا انصرفوا لبلادهم وأما أنتم فستمكنون الرجل (يريد الرسول) ولا طاقة لكم بحربه وحدكم فارى أن لاتدخلوا في هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا الى بلادهم بأن تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفاً منهم فاستحسنوا رأيه وأجابوه الى ذلك ثم قام من عندهم وتوجه الى قريش فاجتمع برؤسائهم وقال أنتم تعرفون ودى لكم ومحبتي اياكم واني محدثكم حديثاً فاكتموه عني قالوا نفعل فقال لهم ان بني قريظة قد ندموا على مافعلوه مع محمد وخافوا منكم أن ترجعوا وتتركوهم معه فقالوا له أيرضيك ان نأخذ جمعاً من أشرافهم ونعطيهم لك وترد جناحنا الذي كسرت (يريد بني النضير) فرضى بذلك منهم وهاهم مرسلون اليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما

قلت لكم حرفاً ثم أتى غطفان فأخبرهم بمثل ما أخبر به قريشاً فأرسل ابوسفيان وفدا لقريظة يدعوهم للقتال غدا فاجابوا انا لايمكننا أن نقاتل في ال[illegible] (وكان ارساله لهم ليلة سبت) ولم يصبنا ماأصابنا الا من التعدي فيه ومع ذلك فلا نقاتل حتى تعطونا رهائن منكم حتى لاتتركونا وتذهبوا الى بلادكم فتحققت قريش وغطفان كلام نعيم بن مسعود وتفرقت القلوب فخاف بعضهم بعضاً وكان عليه السلام قد ابتهل الى الله الذي لاملجأ الا اليه ودعاه بقوله (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم) وقد أجاب الله دعاءه عليه السلام فارسل على الاعداء ريحاً باردة في ليلة مظلمة فخاف العرب أن تتفق اليهود مع المسلمين ويهجموا عليهم في الليلة المدلهمة فاجمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح. ولما سمع عليه السلام الغوغاء في جيش العدو قال لاصحابه لابد من حادث فمن منكم ينظر لنا خبر القوم فسكتوا حتى كرر ذلك ثلاثاً وكان فيهم حذيفة بن اليمان فقال له عليه السلام تسمع صوتي منذ الليلة ولاتجيب فقال يارسول الله البرد شديد فقال اذهب في حاجة رسول الله واكشف لنا خبر القوم فخاطر رضي الله عنه بنفسه في خدمة نبيه حتي اطلع على جلية الخبر وان الاعداء عازمون على الرحلة

﴿ هزيمة الاحزاب ﴾

وقد بلغ من خوفهم أن كان رئيسهم أبو سفيان يقول لهم ليتعرف كل منكم أخاه وليمسك بيده حذراً من ان يدخل بينكم عدو وقد حل عقال بعيره يريد ان يبدأ الرحيل فقال له صفوان ابن أمية انك رئيس القوم فلا تتركهم وتمضي فنزل أبو سفيان وأذن بالرحيل وترك خالد بن الوليد في جماعة يحموا ظهور المرتحلين حتى لا يدهموا من ورائهم وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي تحزب فيها الاحزاب من عرب ويهود ضد المسلمين ولولا لطف الله وعنايته بهذا الدين منة منه وفضلاً لساءت الحال وكان جلاء الاحزاب في ذي القعدة وكان حقاً على الله ان يسميه نعمة بقوله في سورة الاحزاب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا و يستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الافرارا)

﴿ غزوة بني قريظة ﴾

ولما رجع عليه السلام بأصحابه وأراد أن يخلع لباس الحرب أمره الله باللحوق ببني قريظة حتى يطهر أرضه من قوم لم تعد تنفع معهم العهود ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدة فقال لاصحابه لا يصلين أحد منكم العصر الا في بني قريظة فساروا مسرعين وتبعهم عليه السلام راكباً على حماره ولواؤه بيد علي بن أبي طالب وخليفته على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف وقد أدرك جماعة من الاصحاب صلاة العصر في الطريق فصلاها بعضهم حاملين أمر الرسول بعدم صلاتها على قصد السرعة ولم يصلها الآخرون الا في بني قريظة بعد مضي وقتها حاملين الامر على حقيقته فلم يعنف فريقاً منهم (ولما) رآى بنو قريظة جيش المسلمين ألقى الله الرعب في قلوبهم وأرادوا التنصل من فعلتهم القبيحة وهي الغدر بمن عاهدوهم وقت الشغل بعدو آخر ولكن أنى لهم ذلك وقد ثبت للمسلمين غدرهم فلما رأوا ذلك تحصنوا بحصونهم وحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة فلما رأوا ان لا مناص من الحرب وانهم ان استمروا على ذلك ماتوا جوعاً طلبوا من المسلمين ان ينزلوا على مانزل عليه بنو النضير من الجلاء بالاموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم

فطلبوا ان يجلوا بأنفسهم من غير سلاح فلم يرض أيضاً بل قال لابد من النزول والرضا بما يحكم عليهم خيراً كان أو شراً فقالوا له أرسل لنا أبا لبابة نستشيره وكان أوسيا من حلفاء قريظة له بينهم أولاد وأموال فلما توجه اليهم استشاروه في النزول على حكم الرسول فقال لهم انزلوا وأومأ بيده على حلقه يريد أن الحكم الذبح ويقول أبو لبابة لم ابارح موقفي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزل من عندهم قاصدا المدينة خجلا من مقابلة رسول الله وربط نفسه في سارية من سواري المسجد حتى يقضي الله فيه أمره. ولما سأل عنه عليه السلام أخبر بما فعل فقال اما انه لو جاءني لاستغفرت له اما وقد فعل مافعل فنتركه حتى يقضي الله فيه. ثم ان بني قريظة لما لم يروا بدّاً من النزول على حكم رسول الله فعلوا فأمر برجالهم فكتفوا فجاءه رجال من الاوس وسألوه ان يعاملهم كما عامل بني قينقاع حلفاء اخوانهم الخزرج فقال لهم ألا يرضيكم ان يحكم عليهم رجل منكم فقالوا نعم واختاروا سيدهم سعد بن معاذ الذي كان جريحاً من السهم الذي أصيب به في الخندق وكان مقيما بخيمة في المسجد معدة لمعالجة الجرحى فارسل عليه السلام من يأتي به فحملوه على حماره والتف عليه جماعة من الاوس يقولون له أحسن في مواليك الا ترى مافعل ابن أبي في مواليه فقال رضي الله عنه لقد

آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. ولما أقبل على الرسول واصحابه وهم جلوس قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فانزلوه ففعلوا وقالوا له ان رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وقال له الرسول احكم فيهم ياسعد فالتفت سعد للناحية التي ليس فيها رسول الله وقال عليكم عهد الله وميثاقه ان الحكم كما حكمت فقالوا نعم فالتفت الى الجهة التي فيها الرسول وقال وعلى من هنا كذلك وهو غاضّ طرفه اجلالا فقالوا نعم قال فانى أحكم أن تقتل الرجال وتسبي النساء والذرية فقال عليه السلام لقد حكمت فيهم بحكم الله ياسعد لان هذا جزاء الخائن الغادر ثم أمر بتنفيذ الحكم فنفذ عليهم وجمعت غنائمهم فكانت الفا وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفي رمح وخمسمائة ترس وحجفة ووجد أثاثا كثيراً وآنية واجمالا نواضح وشياها فخمس ذلك كله مع النخل والسبي للراجل ثلث الفارس وأعطى النساء اللاتى كن يمرضن الجرحى ووجد في الغنيمة جرار خمر فأريقت. وبعد تمام هذا الامر انفجر جرح سعد بن معاذ فمات منه رضي الله عنه وأرضاه كان في الانصار كأبي بكر في المهاجرين وقد كان له العزم الثابت في جميع المشاهد التى تقدمت الخندق وكان عليه السلام يحبه كثيراً و بشره بالجنة على عظيم أعماله

(وعقب) رجوع المسلمين الى المدينة تاب الله علي أبي لبابة بقوله

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) وقد عاهد الله أن يهجر ديار قريظة التي حصلت له فيها هذه الزلة وبتمام هذه الغزوة أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة ولم تبق الا بقية من كبارهم بخيبر مع أهلها وهم الذين كانوا السبب في اثارة الاحزاب وسيأتي للقارئ قريبا اليوم الذي يعاقبون فيه

﴿ زواج زينب بنت جحش ﴾

وفي هذا العام تزوج عليه السلام زينب بنت جحش وأمها أميمة عمته بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وكان من أمر زواجها لزيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطبها له فتأفف أهلها من ذلك لمكانها في الشرف العظيم فان العرب كانوا يكرهون تزويج بناتهم من الموالي ويعتقدون أن لا كفء من سواهم لبناتهم وزيد وان كان الرسول تبناه ولكن هذا لا يلحقه بالاشراف فلما نزل قوله تعالى في سورة الاحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) لم يروا بدًّا من القبول فلما دخل عليها زيد أرته من كبريائها وعظمتها مالم يتحمله فاشتكاها لرسول الله فامره باحتمالها والصبر عليها الى أن ضاقت نفسه فاخبره بالعزم

على طلاقها وكرر ذلك. ولما كانت العشرة بين مثل هذين الزوجين ضربا من العبث أمر الله نبيه أن يتزوج زينب بعد طلاقها حسماً لهذا الشقاق من جهة وحفظاً لشرفها أن يضيع بعد زواجها بمولى من جهة أخرى ولكن رسول الله خشي من لوم اليهود والعرب عليه في زواجه بزوج ابنه فقال لزيد أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفي في نفسه ما أبداه الله فبت الله حكمه بابطال هذه القاعدة وهي تحريم زوج المتبني بقوله في سورة الاحزاب (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً) ثم ان الله حرم التبني على المسلمين لما فيه من الاضرار وأنزل فيه في سورة الاحزاب (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) ومن هذا الحين صار اسم زيد (زيد بن حارثة) بدل (زيد بن محمد) وأبدل بذلك أن ذكر اسمه في قرآن يتلى على مر الدهور والاعوام. ويقول جهال المؤرخين وذوو المقاصد السافلة منهم في هذه القصة أقوالا لا تجوز الا على من ضاع رشده ولم يفقه حقيقة مايقول فانهم يذكرون أن الرسول توجه يوماً لزيارة زيد فرأى زوجه بالصدفة لان الريح رفعت الستر عنها فوقعت في قلبه فقال سبحان الله فلما جاء زوجها

ذكرت له ذلك فرأى من الواجب عليه فراقها فتوجه وأخبر الرسول بعزمه فنهاه عن ذلك الخ وهذا مما يكذبه أن نساء العرب لم تكن قبل ذلك تعرف ستر الوجوه وزينب بنت عمته وأسلمت قديماً ورسول الله بمكة فكيف لم يرها وقد مضى على اسلامها نحو عشر سنوات وهي بنت عمته الا حينما رفعت الريح الستر بالصدفة ورسول الله هو الذي زوجها زيدا فلو كان له فيها رغبة حب أو عشق لتزوجها هو ولا مانع يمنعه من ذلك. ومن منا يتصور ان السيد الاكرم يقول لقومه انه مرسل من ربه ويتلو عليهم صباح مساء أمر الله له بقوله في سورة الحجر المكية (لاتمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجاً منهم) وفي سورة طه المكية أيضاً (ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا) ثم هو بعد ذلك يدخل بيت رجل من متبعيه وينظر الى زوجه بالصدفة ثم يشتهي زواجها ان هذا لامر عظيم تشعر بذلك صدورنا ولو حدث أمر مثله من أقل الناس لعيب عليه فكيف بمن أجمعت كلمة المؤرخين على أنه أحسن الناس خلقاً وأبعدهم عن الدنايا وأشدهم ذكاء وفراسة حتى مدحه الله بقوله في سورة ن (وانك لعلى خلق عظيم) لاشك أن هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الغرانيق وضعها أعداء الدين ليصلوا بها الى أغراضهم والحمد لله قد ناقضت النقل والعقل فلم تبق

شبهة في أن الحقيقة مانقلناه لك أولا وهو الذي يستفاد من القرآن الشريف قال تعالى في سورة الاحزاب (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا) والذي ابداه الله هو زواجه بها ولم يبد غير ذلك وهذا القرآن أعظم شاهد

﴿ الحجاب ﴾

(وفيه) نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قبل نزول آيته يحبه ويذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه قرآن وكان يقول لو أطاع فيكن مارأتكن عين فنزل في سورة الاحزاب (واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) فقال بعضهم أننهي أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة فنزل بعد الآية المتقدمة (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما) أما غير أزواجه عليه السلام من المؤمنات فأمرن بغض الابصار وحفظ الفروج كما أمر بذلك الرجال وأمرن

أن لا يبدين زينتهن للاجانب الا ماظهر منها كالخاتم في الاصبع والخضاب في اليد والكحل في العين . أما ماخفي منها فلا يحل ابداؤه كالسوار للذراع والدملج للعضد والخلخال للرجل والقلادة للعنق والاكليل للرأس والوشاح للصدر والقرط للاذن والمراد بالزينة الظاهرة والخفية مواضعها . وأمرن أيضاً بأن يضربن بخمرهن على الجيوب كيلا تبقى صدورهن مكشوفة فان النساء اذ ذاك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن ونهين عن أن يضربن بأرجلهن ليعلم أنهن ذوات خلخال واذا كان النهي عن اظهار صوت الحلي بعد مانهين عن اظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن اظهار مواضع الحلى أبلغ وأبلغ قال تعالى في سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن علي جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) (وكان) النساء

في أول الاسلام كما كن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لافرق بين الحرة والامة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون للاماء اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها أمة فامرن أن يخالفن بزيهن عن زي الاماء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليغطي الوجه والاعطاف ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع قال تعالى في سورة الاحزاب (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) (أما) حجب المرأة عمن يريد خطبتها فهو أمر لم يكن يفعل في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم ولا في عهد السلف الصالح فان الشارع الحكيم سن ذلك ليكون الرجل على علم مما يقدم عليه حتى يتم الوفاق والوئام بين الزوجين وهذا أمر أجمع عليه أئمة الدين قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء (وقد ندب الشرع الى مراعاة أسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال اذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينهما أي يؤلف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف وقال عليه السلام ان في أعين الانصار شيئاً فاذا أراد

أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في أعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الصالحين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم)ولا يبعد أن يكون فساد الزمن والابتعاد عن التربية الدينية التي تسوق الى مكارم الاخلاق قد حسنا عند عامة المسلمين في العصور الاولى حجب المرأة مطلقاً حسماً للمفاسد ودرءا للفتنة

﴿ فرض الحج ﴾

(وفي هذا العام) على ماعليه الاكثرون فرض الله على الامة الاسلامية حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ليجتمع المسلمون من جميع الاقطار فيتوجهون الى الله ويبتهلون اليه أن يؤيدهم بنصره ويعينهم على اتباع دينه القويم وفي ذلك من تقوية الرابطة واتحاد القلوب مافيه للمسلمين الفائدة العظمى

﴿ السنة السادسة ﴾

﴿ سرية ﴾

ولعشر خلون من محرم السنة السادسة أرسل عليه السلام محمد بن مسلمة في ثلاثين راكبا لشن الغارة على بني بكر بن كلاب الذين كانوا نازلين بناحية ضرية (١) فسار اليهم يكمن النهار و يسير

(١) موضع على سبع ليال من المدينة في طريق البصرة

الليل حتى دهمهم فقتل منهم عشرة وهرب باقيهم فاستاقت السرية النعم والشياه وعادوا راجعين الى المدينة وقد التقوا وهم عائدون بثمامة بن أثال الحنفي من عظماء بني حنيفة فاسروه وهم لا يعرفونه فلما أتوا به رسول الله عرفه وعامله بمنتهى مكارم الاخلاق فانه أطلق اساره بعد ثلاث أبى فيها الانقياد للاسلام بعد ان عرض عليه ولما رأي ثمامة هذه المعاملة وهذه المكارم رأى من العبث أن يتبع هواه و يترك دينا عماده المحامد فرجع الى رسول الله وأسلم غير مكره وخاطب الرسول بقوله (يامحمد والله ما كان على الارض من وجه أبغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك أحب الوجوه كلها الي والله ما كان على الارض من دين ابغض الي من دينك فقد اصبح أحب الدين كله الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فقد اصبح أحب البلاد الي)فسر عليه السلام كثيرا باسلامه لان من ورائه قوماً يطيعونه ولما رجع ثمامة الى بلاده مر بمكة معتمراً وأظهر فيها اسلامه فأرادت قريش ايذاءه فذكروا احتياجهم لحبوب اليمامة التي منها ثمامة فتركوه ومع ذلك فقد حلف هو ان لا يرسل اليهم من اليمامة حبوبا حتى يؤمنوا فجهدوا جدا ولم يروا بدا من الاستغاثة برسول الله فعاملهم عليه السلام بما جبل عليه من الشفقة والمرحمة وأرسل لثمامة ان يعيد عليهم ما كان يأتيهم من أقوات اليمامة ففعل وقد كان لهذا الرجل

الكريم الاصل قدم راسخ في الاسلام عقب وفاة الرسول حينما ارتد اكثر أهل بلاده فكان ينهى قومه عن اتباع مسيلمة ويقول لهم اياكم وأمراً مظلماً لانور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه فثبت معه كثير من قومه رضي الله عنه

﴿ غزوة بني لحيان ﴾

بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت واخوانه ولم يزل رسول الله حزيناً عليهم متشوقا للقصاص من عدوهم حتى ربيع الاول من هذه السنة فأمر أصحابه بالتجهز ولم يظهر لهم مقصده كما هي عادته عليه السلام في غالب الغزوات لتعمى الاخبار عن الاعداء وولى على المدينة ابن أم مكتوم وسار في مائتي راكب معهم عشرون فرسا ولم يزل سائرا حتى مقتل أصحاب الرجيع فترحم عليهم ودعا لهم ولما سمع بنو لحيان تفرقوا في الجبال فأقام عليه السلام بديارهم يومين يبعث السرايا فلا يجدون أحدا ثم أرسل بعضاً من أصحابه ليأتوا عسفان (١) حتى يعلم بهم أهل مكة فيداخلهم الرعب فذهبوا الى كراع الغميم (٢) ثم رجع عليه السلام الى المدينة وهو يقول (آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله

(١) موضع قرب مكة
(٢) جبل جنوب عسفان بثمانية أميال

من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال)

﴿ غزوة الغابة ﴾

كان للنبي عليه السلام عشرون لقحة ترعى بالغابة (١) فأغار عليها عيينة بن حصن في أربعين راكباً واستلبها من راعيها فجاءت الاخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام والذي بلغه هو سلمة بن الاكوع أحد رماة الانصار وكان عداء فأمره الرسول بان يخرج في أثر القوم ليشغلهم بالنبل حتى يدركهم المسلمون فخرج يشتد في أثرهم حتى لحقهم وجعل يرميهم بالنبل فاذا وجهت الخيل نحوه رجع هاربا فلا يلحق فاذا دخلت الخيل بعض المضايق علا الجبل فرمى عليهم الحجارة حتى ألقوا كثيرا مما بايديهم من الرماح والابراد ليخففوا عن أنفسهم حتى لايلحقهم الجيش ولم يزل سلمة على ذلك حتى تلاحق به الجيش فان الرسول دعا أصحابه فاجابوه وأول من انتهى اليه المقداد بن الاسود فقال له اخرج في طلب القوم حتي ألحقك وأعطاه اللواء فخرج وتبعته الفرسان حتى أدركوا أواخر العدو فحصلت بينهم مناوشات قتل فيها مسلم ومشركان واستنقذ المسلمون غالب اللقاح وهرب أوائل القوم بالبقية وطلب سلمة ابن الاكوع من رسول الله أن يرسله مع جماعة في اثر القوم

(١) موضع على بريد من المدينة جهة غطفان

ليأخذهم على غرة وهم نازلون على أحد مياههم فقال له عليه السلام (ملكت فاسجح) ثم رجع بعد خمس ليال

﴿ سرية ﴾

كان بنو أسد الذين مر ذكرهم كثيرا مايؤذون من يمر بهم من المسلمين فأرسل لهم عليه السلام عكاشة بن محصن في اربعين راكبا ليغير عليهم ولما قارب بلادهم علموا به فهربوا وهناك وجدوا رجلا نائما فأمنوه ليدلهم على نعم القوم فدلهم عليها فاستاقوها وكانت مائة بعير ثم قدموا المدينة ولم يلقوا كيدا

﴿ سرية ﴾

وفي ربيع الاول بلغه عليه السلام ان من بذى القصة (١) يريدون الاغارة على نعم المسلمين التي ترعى بالهيفاء (٢) فارسل لهم محمد بن مسلمة في عشرة من المسلمين فبلغ ديارهم ليلا وقد كمن لهم المشركون حينما علموا بهم فنام المسلمون ولم يشعروا الا والنبل قد خالطهم فتواثبوا الى أسلحتهم ولكن تغلب عليهم الاعداء فقتلوهم غير محمد بن مسلمة تركوه لظنهم انه قتل فعاد الى المدينة وأخبر

(١) موضع على اربعة وعشرين ميلا من المدينة في طريق الربذة

(٢) موضع قرب المدينة

الرسول عليه السلام فأرسل أباعبيدة عامر بن الجراح في ربيع الآخر ليقتص من الاعداء فلما وصل ديارهم وجدهم تشتتوا هاربين فاستاق نعمهم ورجع

﴿ سرية ﴾

عاكس بنو سليم الذين كانوا من المتحزبين في غزوة الخندق المسلمين في سيرهم فأرسل عليه السلام زيد بن حارثة في ربيع الآخرة ليغير عليهم في الجموم (١) فلما بلغوا ديارهم وجدوهم تفرقوا ووجدوا هناك امرأة من مزينة دلتهم على منازل بني سليم فاصابوا بها نعما وشاء ووجدوا رجالا أسروهم وفيهم زوج تلك المراة فرجعوا بذلك الى المدينة فوهب الرسول لهذه المرأة نفسها وزوجها

﴿ سرية ﴾

بلغ الرسول أن عيرا لقريش أقبلت من الشام تريد مكة فارسل لها زيد بن حارثة في مائة وسبعين راكبا ليعترضها فأخذها وما فيها وأسر من معها من الرجال وفيهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وامانة فاستجار بزوجه زينب فأجارته ونادت بذلك في مجمع قريش فقال عليه السلام (المسلمون يد واحدة يجير عليهم

(١) ناحية من بطن نخل

أدناهم وقد أجرنا من أجرت) وهذا أبلغ ماقيل في المساواة بين أفراد المسلمين ورد عليه الرسول ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً فذهب الى مكة فأدى لكل ذي حق حقه ورجع الى المدينة مسلماً فرد عليه رسول الله زوجه

{ سرية }

وفي جمادي الآخرة أرسل عليه السلام زيد بن حارثة في خمسة عشر رجلاً للاغارة على بني ثعلبة الذين قتلوا أصحاب محمد ابن مسلمة وهم مقيمون بالطرف (١) فتوجهت السرية لذلك ولما رآهم الاعداء ظنوهم طليعة لجيش رسول الله فهربوا وتركوا نعمهم وشاءهم فاستاقها المسلمون ورجعوا الى المدينة بعد أربع ليال

{ سرية }

وفي رجب أرسل عليه السلام زيد بن حارثة ليغير على بني فزارة لانهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة الى الشام فسلبوا مامعه وكادوا يقتلونه فلما جاء المدينة وأخبر الرسول الخبر أرسله مع رجاله للقصاص من فزارة المقيمين في وادي القرى (٢) فساروا حتى دهموا العدو واحاطوا بهم وقتلوا منهم جمعاً كثيراً وأخذوا امرأة من

(١) ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة في طريق العراق
(٢) موضع شمالي المدينة

كبارهم أسيرة فاستوهبها عليه السلام ممن أسرها وفدى بها أسيراً كان بمكة

{ سرية }

وفي شعبان أرسل عليه السلام عبد الرحمن بن عوف مع سبعمائة من الصحابة لغزو بني كلب في دومة الجندل (١) وقد وصاهم عليه السلام قبل السفر بقوله (اغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم) ثم أعطاه اللواء فساروا على بركة الله حتي حلوا بديار العدو فدعوهم الى الاسلام ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أسلم رئيس القوم الاصبغ بن عمرو النصراني وأسلم معه جمع من قومه وبقي آخرون راضين باعطاء الجزية فتزوج عبدالرحمن بنت رئيسهم كما أمره بذلك عليه السلام وهذه أقرب طريق لتمكين صلات الود بين الامراء بحيث يهم كلاً مايهم الآخر فنعما هي سياسة السلم والمحبة

{ سرية }

وفي شعبان أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب في مائة

(١) حصن وقرى بينها وبين دمشق خمس ليال وبين المدينة خمسة عشر ليلة

رجل لغزو بني سعد بن بكر بفدك (١) لانه بلغه أنهم يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين مقابل تمر يعطونه من تمر خيبر فسارت السرية و بينماهم سائرون التقوا بجاسوس العدو أرسلوه الى خيبر ليعقد المعاهدة مع يهودها فطلبوا منه أن يدلهم على القوم وهو آمن فدلهم على موضعهم فاستاق منه المسلمون نعم القوم وهرب الرعاء فحذروا قومهم فداخلهم الرعب وتفرقوا فرجع المسلمون ومعهم خمسمائة بعير وألفا شاة ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود بشيء

﴿ قتل أبي رافع ﴾

وكان المحرك لاهل خيبر على حرب المسلمين هو سيدهم أبو رافع سلام بن أبي الحقيق الملقب بتاجر أهل الحجاز لما كان له من المهارة في التجارة وكان ذا ثروة طائلة يقلب بها قلوب اليهود كما يريد فانتدب له عليه السلام من يقتله فأجاب لذلك خمسة رجال من الخزرج رئيسهم عبدالله بن عتيك ليكون لهم مثل أجر اخوانهم من الاوس الذين قتلوا كعب بن الاشرف فان من نعم الله على رسوله أن كان الاوس والخزرج يتفاخرون بما يفعلونه من تنفيذ رغبات رسول الله فلا تفعل الاوس عملاً الا اجتهد الخزرج في

(١) قرية بينها و بين المدينة ست ليال من جهة خيبر

مثله فأمرهم الرسول بذلك بعد أن وصاهم أن لا يقتلوا وليدا ولا امرأة فساروا حتى أتوا خيبر فقال عبد الله لاصحابه مكانكم فاني منطلق للبواب ومتلطف له لعلى أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوب كانه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب ادخل ياعبد الله ان كنت تريد الدخول فاني أريد ان أغلق الباب فدخل وكمن حتى نام البواب فأخذ المفاتيح وفتح ليسهل له الهرب ثم توجه الى بيت أبي رافع وصار يفتح الابواب التي توصل اليه وكلما فتح باباً أغلقه من داخل حتى انتهى اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله فلم يمكنه تمييزه فنادى يا أبا رافع قال من فأهوى بالسيف نحو الصوت فلم يغن شيئاً وعند ذلك قالت امرأته هذا صوت ابن أبي عتيك فقال لها ثكلتك أمك وأين ابن أبي عتيك الآن فعاد عبد الله للنداء مغيراً صوته قائلا ماهذا الصوت الذي نسمعه يا أبا رافع قال لامك الويل ان رجلاً في البيت ضربني بالسيف فعمد اليه فضربه أخرى لم تغن شيئاً فتوارى ثم جاءه كالمغيث وغير صوته فوجده مستلقياً على ظهره فوضع السيف في بطنه وتحامل عليه حتى سمع صوت العظم ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفاً فوقع من فوق السلم فانكسرت رجله فعصبها بعمامته ثم انطلق الى أصحابه وقال النجاة قتل الله أبو رافع فانتهوا الى الرسول فحدثوه ثم قال

لعبد الله ابسط رجلك فمسحها عليه السلام فكأنها لم يشتكها قط وعادت أحسن ما كانت فانظر رعاك الله الى ما كان عليه المسلمون من استسهال المصاعب مادامت في ارضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضي الله عنهم وأرضاهم

﴿ سرية ﴾

(ولما) قتل كعب ولي اليهود مكانه أسير بن رزام فارسل عليه السلام من يستعلم له خبره فجاءته الاخبار بأنه قال لقومه سأصنع بمحمد مالم يصنعه أحد قبلي أسير الى غطفان فاجمعهم لحربه وسعى في ذلك فأرسل له عليه السلام عبدالله بن رواحة الخزرجي في ثلاثين من الانصار لاستمالته فخرجوا حتى قدموا خيبر وقالوا لاسير نحن آمنون حتى نعرض عليك ماجئنا له قال نعم ولي مثل ذلك فأجابوه ثم عرضوا عليه أن يقدم على رسول الله ويترك ماعزم عليه من الحرب فيوليه الرسول على خيبر فيعيش أهلها بسلام فأجاب الى ذلك وخرج في ثلاثين يهودياً كل يهودى رديف لمسلم وبينماهم في الطريق ندم أسير على مجيئه وأراد التخلص مما فعل بالغدر بمن أمنوه فاهوى بيده الى سيف عبدالله بن رواحة فقال له أغدراً ياعدو الله ثم نزل وضربه بالسيف فاطاح عامة فخذه ولم يلبث أن هلك فقام المسلمون على من معه من اليهود فقتلوهم عن آخرهم وهذا عاقبة الغدر

﴿ قصة عكل وعرينة ﴾

قدم على رسول الله في شوال جماعة من عكل وعرينة فأظهروا الاسلام وبايعوا رسول الله وكانوا سقاماً مصفرّة ألوانهم عظيمة بطونهم فلم يوافقهم هواء المدينة فأمر لهم عليه السلام بذود من الابل معها راع وأمرهم باللحوق بها في مرعاها ليشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا ولما تم شفاؤهم جازوا الاحسان كفراً فقتلوا الراعى ومثلوا به واستاقوا الابل فلما بلغ ذلك رسول الله أرسل وراءهم كرز بن جابر الفهري في عشرين فارساً فلحقوا بهم وقبضوا على جميعهم ولما جيء بهم الى المدينة أمر عليه السلام بأن يمثل بهم كما مثلوا بالراعي فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا بالحرة حتى ماتوا فهكذا يكون جزاء الخائن الذي لاينتظر منه صلاح وعمل هؤلاء الشريرين مما يدل على فساد الاصل ولؤم العشيرة

﴿ سرية ﴾

جلس أبو سفيان بن حرب يوماً في نادى قومه فقال ألا رجل يذهب لمحمد فيقتله غدراً فانه يمشي بالاسواق لنستريح منه فتقدم له رجل وتعهد له بما أراد فأعطاه راحلة ونفقة وجهزه لذلك فخرج الرجل حتى وصل الى المدينة صبح سادسة من خروجه فسأل عن رسول الله فدل عليه وهو بمسجد بني عبدالاشهل فلما رآه عليه السلام

قال ان هذا الرجل ليريد غدرًا وان الله مانعني منه فذهب لينحني على الرسول فجذبه أسيد بن حضير من ازاره وهنالك سقط الخنجر فندم الرجل على فعلته ثم سأله عليه السلام عن سبب عمله فاصدقه بعد أن توثق من حفظ دمه فخلى عليه السلام سبيله فقال الرجل والله يامحمد ما كنت أخاف الرجال فما هو الا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم انك اطلعت على ماهممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان ثم أسلم وعند ذلك أرسل عليه السلام عمرو بن أمية الضمري وكان رجلا جريئًا فاتكا في الجاهلية وأصحبه برفيق ليقتلا أبا سفيان غيلة جزاء اعتدائه فلما قدما مكة توجها ليطوفا بالبيت قبل أن يؤديا ماأرسلا له فعرف عمرًا أحد رجال مكة فقال هذا عمرو بن أمية ماجاء الا بشر فلما رآهم علموا به لم يجد مناصا من الهرب فاصطحب معه رفيقه ورجعا الى المدينة وكأن الله سبحانه أراد ان يعيش أبو سفيان حتى يسلم بيده مفاتيح مكة للمسلمين ويعتنق الدين الحنيفي القويم

﴿ غزوة الحديبية ﴾

رأى عليه السلام في نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة

واستنفر الاعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه حذرًا من أن تردهم قريش عن عمرتهم ولكن هؤلاء الاعراب أبطؤا عليه لانهم ظنوا أن لاينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدًا وتخلصوا بأن قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا فخرج عليه السلام بمن معه من المهاجرين والانصار تبلغ عدتهم الفا وخمسمائة وولى على المدينة ابن أم مكتوم وأخرج معه زوجته أم سلمة وأخرج الهدى ليعلم الناس انه لم يأت محاربًا ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح الا السيوف في القرب لان الرسول لم يرض ان يحملوا السيوف وهم معتمرون ثم سار الجيش حتى وصل عسفان (١) فجاءه عينه يخبره أن قريشًا أجمعت رأيها أن يصدوا المسلمين عن مكة وأن يدخلوها عليهم عنوة أبدًا وتجهزوا للحرب وأعدوا خالد بن الوليد في مائتي فارس طليعة لهم ليصدوا المسلمين عن التقدم فقال عليه السلام هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم فقال رجل من أسلم أنا يارسول الله فسار بهم في طريق وعرة ثم خرج بهم الى مستو سهل يملك مكة من أسفلها فلما رأى خالد مافعل المسلمون رجع الى قريش وأخبرهم الخبر ولما كان عليه السلام بثنية المرار(٢) بركت ناقته فزجروها

(١) موضع على مرحلتين من مكة

(٢) مهبط الحديبية

فلم تقم فقالوا خلأت القصواء فقال عليه السلام ماخلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل والذي نفس محمد بيده لاتدعوني قريش لخصلة فيها تعظيم حرمات الله الا أجبتهم اليها مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت لظفروا بهم ولكن كف الله أيدى المسلمين عن قريش وكف أيدي قريش عن المسلمين كيلا تنتهك حرمات البيت الذي أراد الله ان يكون حرماً آمناً يوطد فيه المسلمون من جميع الاقطار دعائم اخوتهم فيه ثم أمرهم عليه السلام بالنزول في أقصى الحديبية (١) وهناك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي رسولا من قريش يسأل عن سبب مجيء المسلمين فأخبره عليه السلام بمقصده فلما رجع بديل الى قريش وأخبرهم ذلك لم يثقوا به لانه من خزاعة الموالية لرسول الله كما كانت كذلك لاجداده وقالوا أيريد محمد أن يدخل علينا في جنوده معتمراً تسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوة و بيننا و بينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا أبداً ومناعين تطرف ثم أرسلوا حليس ابن علقمة سيد الاحابيش وهم حلفاء قريش فلما رآه عليه السلام قال هذا من قوم يعظمون الهدي ابعثوه في وجهه حتى يراه ففعلوا واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك حليس رجع وقال سبحان الله

(١) بئر قرب مكة سميت الارض باسمها

ماينبغي لهؤلاء أن يصدوا أتحج لخم وجذام وحمير ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب هلكت قريش ورب البيت ان القوم أتوا معتمرين فلما سمعت قريش منه ذلك قالوا له اجلس انما أنت أعرابي لاعلم لك بالمكايد ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف فتوجه الى رسول الله وقال يامحمد قد جمعت أوباش الناس ثم جئت الى أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت تعاهد الله أن لاتدخلها عليهم عنوة أبداً وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك فنال منه أبو بكر وقال أنحن ننكشف عنه ويحك وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية رسول الله فكان المغيرة بن شعبة يقرع يده اذا أراد ذلك ثم رجع عروة وقد رأى مايصنع بالرسول أصحابه لايتوضأ وضوأ الا كادوا يقتتلون عليه يتمسحون به واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه فقال والله يامعشر قريش جئت كسرى في ملكه وقيصر في عظمته فما رأيت ملكا في قومه مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوماً لايسلمونه لشيء أبداً فانظروا رأيكم فانه عرض عليكم رشدا فاقبلوا ماعرض عليكم فاني لكم ناصح مع أني أخاف أن لاتنصروا عليه فقالت قريش لا تتكلم بهذا ولكن نرده عامنا ويرجع الى قابل ثم ان الرسول اختار عثمان بن عفان رسولا من عنده الى قريش حتى يعلمهم مقصده فتوجه وتوجه معه عشرة

استأذنوا الرسول في زيارة أقاربهم وامر عليه السلام عثمان أن يأتي المستضعفين من المؤمنين بمكة فيبشرهم بقرب الفتح وان الله مظهر دينه فدخل عثمان مكة في جوار أبان بن سعيد الاموى فبلغ ماحمل فقالوا ان محمدا لايدخلها علينا عنوة أبدا ثم طلبوا منه أن يطوف بالبيت فقال لاأطوف ورسول الله ممنوع ثم انهم حبسوه فشاع عند المسلمين أن عثمان قتل فقال عليه السلام حينما سمع ذلك لانبرح حتى نناجزهم الحرب

﴿ بيعة الرضوان ﴾

ودعا الناس للبيعة على القتال فبايعوه تحت شجرة هناك (١) (سميت بعد بشجرة الرضوان) على الموت فشاع أمر هذه البيعة في قريش فداخلهم منها رعب عظيم وكانوا قد أرسلوا خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر المسلمين علهم يصيبون منهم غرة فأسرهم حارس الجيش محمد بن مسلمة وهرب رئيسهم ولما علمت بذلك قريش جاء جمع منهم وابتدؤا يناوشون المسلمين حتى أسر منهم اثنا عشر رجلا وقتل من المسلمين واحد

﴿ صلح الحديبية ﴾

وعند ذلك خافت قريش وأرسلت سهيل بن عمرو للمكالمة

(١) أمر عمر بقطعها زمن خلافته لما رأى تبرك الناس بها فليتأمل

في الصلح فلما جاء قال يامحمد ان الذي حصل ليس من رأى عقلائنا بل شيء قام به السفهاء منا فابعث الينا بمن أسرت فقال حتى ترسلوا من عندكم وعندئذ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معه ثم عرض سهيل الشروط التي تريدها قريش وهي (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات (٢) من جاء المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشاً من المسلمين لايلزمون برده (٣) أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتي العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح الا السيف في القراب والقوس (٤) من أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه فقبل عليه السلام كل هذه الشروط أما المسلمون فداخلهم منها أمر عظيم وقالوا سبحان الله كيف نرد اليهم من جاءنا مسلما ولا يردون من جاءهم مرتدا فقال عليه السلام انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً أما الامر الثالث وهو صد المسلمين عن الطواف بالبيت فكان أشد تأثيرا على قلوبهم لان الرسول أخبرهم انه رأى في منامه أنهم دخلوا البيت آمنين وقد سأل عمر أبا بكر في ذلك فقال رضي الله عنه وهل ذكر انه في هذا العام ثم كتبت شروط

الصلح بين الطرفين وكان الكاتب علي بن أبي طالب فأملاه عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اكتب باسمك اللهم فأمره الرسول بذلك ثم قال هذا ماصالح عليه محمد رسول الله فقال سهل لو نعلم أنك رسول الله ماخالفناك اكتب محمد بن عبد الله فأمر عليه السلام علياً بمحو ذلك وكتابة محمد بن عبد الله فامتنع فمحاها النبي بيده وكتبت نسختان نسخة لقريش ونسخة للمسلمين و بعد كتابة الشروط جاءهم أبو جندل بن سهيل يحجل في قيوده وكان من المسلمين الممنوعين من الهجرة فهرب للمسلمين هذه المرة ليحموه فقال عليه السلام اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك له من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بين القوم صلحاً وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهدا فلا نغدر بهم . هذا وقد دخلت قبيلة خزاعة في عهد رسول الله ودخل بنو بكر في عهد قريش

ولما انتهى الامر أمر عليه السلام أصحابه أن يحلقوا رؤسهم وينحروا الهدى ليتحللوا من عمرتهم فاحتمل المسلمون من ذلك هماً عظيما حتى انهم لم يبادروا بالامتثال فدخل عليه السلام علي أم المؤمنين أم سلمة وقال لها هلك المسلمون أمرتهم فلم يمتثلوا فقالت يارسول الله اعذرهم فقد حملت نفسك أمرا عظيما في الصلح ورجع المسلمون من غير فتح فهم لذلك مكروبون ولكن اخرج يارسول

الله وابدأهم بما تريد فاذا رأوك فعلت تبعوك فقام عليه السلام الى هديه فنحرها ودعا بالحلاق فحلق رأسه فلما رآه المسلمون تواثبوا الى الهدى فنحروه وحلقوا ثم رجع المسلمون الى المدينة وقد أمن كل فريق الآخر ولما قرّ قرارهم جاءتهم مهاجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت عثمان لامه فطلبها المشركون فقالت يارسول الله اني امرأة وان أرجعت اليهم فتنوني في ديني فانزل الله في سورة الممتحنة (ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وآتوهم ماأنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ماأنفقتم وليسألوا ماأنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) فكانت المرأة المهاجرة تستحلف أنها ماخرجت رغبة بأرض عن أرض ولا من بغض زوج ولا لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وما خرجت الاحبا لله ولرسوله ومتى حلفت لاترد بل يعطى لزوجها المشرك ماأنفقه عليها ويجوز للمسلم تزوجها وفي الاية تحريم امساك الزوجة الكافرة بل ترد الي أهليها بعد أن يعطوا ماأنفقوا عليها (وقد تمكن) أبو بصير عتبة بن أسيد الثقفي رضي الله عنه من الفرار الى رسول الله فأرسلت قريش في أثره

رجلين يطلبان تسليمه فأمره عليه السلام بالرجوع معهما فقال يارسول الله أتردني الى الكفار يفتنونى في دينى بعد أن خلصني الله منهم فقال ان الله جاعل لك ولاخوانك فرجا فلم يجد بدا من اتباعه فرجع مع صاحبيه ولما قارب ذا الحليفة عدا على أحدهما فقتله وهرب منه الآخر فرجع الى المدينة وقال يارسول الله وفت ذمتك أما أنا فنجوت فقال له اذهب حيث شئت ولا تقم بالمدينة فذهب الى محل بطريق الشام تمر به تجارة قريش فاقام به واجتمع معه جمع ممن كانوا مسلمين بمكة ونجوا وسار اليه أبو جندل بن سهيل واجتمع اليه جمع من الاعراب وقطعوا الطريق علي تجارة قريش حتى قطعوا عنهم الامداد فأرسل رجال قريش لرسول الله يستغيثون به في ابطال هذا الشرط و يعطونه الحق في امساك من جاءه مسلماً فقبل منهم ذلك وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي لم يتمكنوا من تحملها في الحديبية حينما أمرهم عليه السلام برد أبى جندل وعلموا أن رأي رسول الله أفضل وأحسن من رأيهم حيث كان فيه أمن تسبب عنه اختلاط الكفار بالمسلمين فخالطت بشاشة الاسلام قلوبهم حتى قال أبو بكر رضي الله عنه ما كان فتح في الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ

الامور ما أراد وفي رجوعه عليه السلام من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح وقال الله سبحانه في أولها (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وفي تسمية هذه الغزوة بالفتح المبين تصديق لما قدمناه لك عن الصديق

﴿ مكاتبة الملوك ﴾

و بعد رجوع المسلمين من الحديبية في أواخر سنة ست وأمن الطرق من قريش كاتب عليه السلام ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام واتخذ اذ ذاك خاتماً من فضة يختم به خطاباته وكان نقشه (محمد رسول الله) فوجه دحية الكلبي بكتاب الى قيصر ملك الروم وأمره أن يدفعه الى عظيم بصري ليوصله الى الملك

﴿ كتاب قيصر ﴾

وكان في الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين (١) ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

---

(١) الفلاحين

﴿ حديث أبي سفيان ﴾

ولما وصل هذا الكتاب قيصر قال انظروا لنا من قومه أحدا نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من قريش في تجارة فجاءت رسل قيصر لابى سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ولما قدموا عليه في القدس قال لترجمانه سلهم أيهم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا لانه لم يكن في الركب من بني عبد مناف غيره فقال قيصر ادن مني ثم أمر بأصحابه فجعلوا خلف ظهره ثم قال لترجمانه قل لاصحابه انما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وقد جعلتكم خلفه كيلا تخجلوا من رد كذبه عليه اذا كذب ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم قال هو فينا ذو نسب قال هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله قال لا قال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال قال لا قال فهل كان من آبائه من ملك قال لا قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم قال فهل يزيدون ام ينقصون قال بل يزيدون قال هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه قال لا قال هل يغدر اذا عاهد قال لا ونحن الآن منه في ذمة لاندري ماهو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قال نعم قال فكيف حربكم وحربه قال الحرب بيننا وبينه سجال مرة لنا ومرة علينا قال

فبم يأمركم قال يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وينهي عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة فقال الملك انى سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فزعمت أن لا فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال فزعمت أن لا فقلت ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آبائه من ملك فقلت لا فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فقلت بل يزيدون وكذلك الايمان حتي يتم وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقلت لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان الحرب بينكم وبينه سجال وكذلك الرسل تبتلي ثم تكون لهم العاقبة وسألتك بماذا يأمر فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر فعلمت أنه نبي وقد علمت أنه مبعوث ولم أظن أنه فيكم وان

كان ما كلمتني به حقاً فسيملك موضوع قدميّ هاتين ولو أعلم أني أخلص اليه لتكلفت ذلك قال أبو سفيان فعلت أصوات الذين عنده وكثر لغطهم فلا أدري ماقالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه قال لقد بلغ أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الاصفر. ولما سار قيصر الى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر بأبوابها فأغلقت ثم قال يامعشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها مغلقة فلما رأى قيصر نفرتهم قال ردوهم عليّ فقال لهم اني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم فسجدوا له ورضوا عنه فغلبه حب ملكه على الاسلام فذهب باثمه واثم رعيته كما قال عليه الصلاة والسلام ولكنه رد دحية رداً جميلاً

{ كتاب أمير بصرى }

وأرسل عليه السلام الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى أمير بصرى فلما بلغ مؤتة وهي قرية من عمل البلقاء بالشام تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له أين تريد قال الشام قال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فضربت عنقه ولم يقتل لرسول الله عليه الصلاة والسلام رسول غيره وقد وجد لذلك وجداً شديداً

{ كتاب الحارث بن أبي شمر }

ووجه عليه السلام شجاع بن وهب الى أمير دمشق من قبل هرقل الحارث بن أبي شمر وكان يقيم بغوطتها وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق واني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لاشريك له يبق ملكك) فلما قرأ الكتاب رمي به وقال من ينزع ملكي مني واستعد ليرسل جيشاً لحرب المسلمين وقال لشجاع أخبر صاحبك بما ترى ثم أرسل الى قيصر يستأذنه في ذلك وصادف أن كان عنده دحية فكتب قيصر اليه يثنيه عن هذا العزم و يأمره بأن يهيئ بايليا مايلزم لزيارته فانه بعد أن قهر الفرس نذر زيارتها فلما رأى الحارث كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة

{ كتاب المقوقس }

ووجه عليه السلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى المقوقس أمير مصر من جهة قيصر وكان فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فانما عليك اثم القبط و يا أهل الكتاب تعالوا

الى كلمة الآية) فاوصله له حاطب بسكندرية فلما قرأه قال مامنعه
ان كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده فقال حاطب
ألست تشهد أن عيسي ابن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه
فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه
الله اليه قال أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال اني قد
نظرت في أمر هذا النبي فوجدت انه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى
عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب
ووجدت معه آلة النبوة اخراج الغائب المستور والاخبار بالنجوي
وسأنظر ثم كتب رد الجواب يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم
لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت
كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبياً
قد بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت
لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وبثياب وأهديت اليك بغلة
تركبها والسلام) واحدى الجاريتين مارية التي تسري بها عليه الصلاة
والسلام وجاء منها بولده ابراهيم والاخرى أعطاها لحسان بن ثابت
ولم يسلم المقوقس

﴿ كتاب النجاشي ﴾

ووجه عليه السلام عمرو بن أمية الضمرى بكتاب الى النجاشي

ملك الحبشة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى
النجاشي عظيم الحبشة سلم أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا اله
الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن
مريم روح الله وكلمته ألقاها الي مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت
بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله
وحده لاشريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتوقن بالذي
جاءني فاني رسول الله واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد
بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى) ولما
وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام وقال لعمرو اني أعلم والله أن
عيسي بشر به ولكن أعواني بالحبشة قليل فأنظرني حتي اكثر
الاعوان وألين القلوب وقد عرض عمرو على من بقى من مهاجري
الحبشة الرجوع الى رسول الله بالمدينة وكان من المهاجرين أم
حبيبة بنت أبي سفيان زوج عبيد الله بن جحش الذي كان أسلم
وهاجر بها ولكن قد غلبت عليه الشقاوة فتنصر فتزوج عليه السلام
أم حبيبة وهي بالحبشة والذي زوجها له النجاشي بتوكيل منه
عليه السلام

﴿ كتاب كسرى ﴾

ووجه عليه السلام عبد الله بن حذافة السهمي بكتاب الى

كسرى ملك الفرس وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فانما عليك اثم المجوس) فلما وصله الكتاب مزقه استكباراً ولما بلغه عليه السلام ذلك قال مزق الله ملكه كل ممزق وقد فعل فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطا وقد بدأ هذا الشقي بالعدوان فارسل لعامله باليمن أن يوجه الى الرسول من يأتي به اليه فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليه وقتله له ثم أرسل لعامل اليمن ينهاه عما أمره به أبوه

﴿ كتاب المنذر بن ساوي ﴾

ووجه عليه السلام العلاء بن الحضرمي بكتاب الى المنذر بن ساوي ملك البحرين يدعوه فيه الى الاسلام وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم سلم أنت فانى أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول من أحب ذلك من المجوس فانه آمن ومن أبى فان عليه الجزية) فاسلم وكتب في رد الجواب (أما بعد يا رسول

الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي مجوس ويهود فأحدث اليّ في ذلك أمرك) فكتب اليه عليه السلام (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الي المنذر بن ساوي سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذي لا اله الا هو وأشهد أن لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله أما بعد فاني اذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد أثنوا عليك خيراً واني شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية)

﴿ كتاب ملكي عمان ﴾

ووجه عليه السلام عمرو بن العاص بكتاب الى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فاني رسول الله الي الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما فان ملككما زائل

وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما والسلام)

فلما حل بناديهما عمرو سأله عبد بن الجلندي عما يأمر به الرسول وينهي عنه فقال يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير تابعا قال عمرو ان أسلم أخوك ملكه رسول الله على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم فقال عبد ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبره بما فرض الله من الصدقات في الاموال ولما ذكر المواشي قال يا عمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه قال نعم فقال عبد والله ما أرى قومي على بعد دارهم وكثرة عددهم يرضون بهذا ثم ان عبداً أوصل عمراً لاخيه جيفر فتكلم معه عمرو بما ألان قلبه حتى أسلم هو وأخوه ومكناه من الصدقات

﴿ كتاب هوذة بن على ﴾

ووجه عليه السلام سليط بن عمرو العامري بكتاب الي هوذة ابن على ملك اليمامة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني

سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك) فلما جاءه الكتاب كتب في رده (ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر أتبعك) ولما بلغ ذلك رسول الله قال لو سألني قطعة من الارض "ما فعلت باد وباد ما في يديه فلم يلبث أن مات منصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وكان عليه السلام يولي على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم

﴿ السنة السابعة غزوة خيبر ﴾

وفي محرم السنة السابعة أمر عليه السلام بالتجهز لغزو يهود خيبر الذين كانوا أعظم مهيج للاحزاب ضد رسول الله في غزوة الخندق والذين لا يزالون مجتهدين في محالفة الاعراب ضد رسول الله كما قدمنا ذلك في قصة كعب بن الاشرف وقد استنفر رسول الله لذلك من حوله من الاعراب الذين كانوا معه بالحديبية وجاء المخلفون عنها ليؤذن لهم فقال عليه السلام لا تخرجوا معي الا رغبة في الجهاد أما الغنيمة فلا أعطيكم منها شيئاً وأمر منادياً ينادي بذلك ثم خرج عليه السلام بعد أن ولى على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وكان معه من أزواجه أم سلمة ولما وصل جيش المسلمين الى خيبر التي تبعد عن المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربي رفعوا أصواتهم بالتكبير والدعاء

فقال عليه السلام (ارفقوا بأنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم) وكانت حصون خيبر ثلاثاً منفصلة عن بعضها وهي حصون النطاة وحصون الكتيبة وحصون الشق والاولى ثلاث حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة والثانية حصنان حصن أبي وحصن البريء والثالثة ثلاث حصون حصن القموص وحصن الوطيح وحصن السلالم فبدأ عليه السلام بحصون النطاة وعسكر المسلمون شرقيه بعيداً عن مدي النبل وأمر عليه السلام ان يقطع نخلهم ليرهبهم حتى يسلموا فقطع المسلمون نحو أربعمائة نخلة ولما رأى عليه السلام تصميم اليهود على الحرب نهى عن القطع ثم ابتدأ القتال مع حصن ناعم بالمراماة وكان لواء المسلمين بيد أحد المهاجرين فلم يصنع في ذلك اليوم شيئاً وفيه مات محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة وصار عليه السلام يغدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة ويخلف على العسكر أحد المسلمين حتي اذا كانوا في الليلة السابعة ظفر حارس الجيش وهو عمر بن الخطاب بيهودي خارج في جوف الليل فاتى به رسول الله عليه السلام ولما أدرك الرجل الرعب قال ان أمنتموني أدلكم على أمر فيه نجاحكم فقالوا دلنا فقد أمناك فقال ان أهل هذا الحصن أدركهم الملال والتعب وقد تركتهم يمشون بأولادهم الى حصن الشق وسيخرجون

لقتالكم غداً فاذا فتح عليكم هذا الحصن غدا فاني أدلكم على بيت فيه منجنيق ودبابات (١) ودروع وسيوف يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون فانكم تنصبون المنجنيق و يدخل الرجال تحت الدبابات فينقبون الحصن فتفتحه من يومك فقال عليه السلام لمحمد بن مسلمة سأعطى الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله و يحبانه فبات المهاجرون والانصار كلهم يتمنونها حتى قال عمر بن الخطاب ماتمنيت الامارة الا ليلتئذ فلما كان الغد سأل عليه السلام عن على بن أبي طالب فقيل له انه أرمد فأرسل من يأتيه به ولما جاء تفل في عينيه فشفاهما الله كان لم يكن بهما شيء ثم اعطاه الراية فتوجه مع المسلمين للقتال وهناك وجدوا اليهود متجهزين فخرج يهودي يطلب البراز فقتله عليّ ثم خرج مرحب وهو أشجع القوم فالحقه برفيقه فخرج أخوه ياسر فقتله الزبير بن العوام ثم حمل المسلمون على اليهود حتى كشفوهم عن مواقفهم وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة وانهزم الاعداء الى الحصن الذي يليه وهو حصن الصعب وغنم المسلمون من حصن ناعم كثيراً من الخبز والتمر ثم تتبعوا اليهود الى حصن الصعب فقاتل عنه اليهود قتالا شديدا حتى ردّ عنه المسلمون ولكن ثبت

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها

الحباب بن المنذر ومن معه وقاتلوا قتالا شديدا حتى هزموا اليهود فتبعوهم حتى اقتحموا عليهم الحصن فوجدوا فيه غنائم كثيرة من الطعام فأمر عليه السلام مناديا يقول كلوا واعلفوا دوابكم ولا تأخذوا شيئاً ثم ان الذين انهزموا من هذا الحصن ساروا الى حصن قلة فتبعهم المسلمون وحاصروهم ثلاثة أيام حتى استصعب عليهم فتحه وفي اليوم الرابع دلهم يهودي على جداول الماء التي يستقي منها اليهود فمنعوها عنهم فخرجوا وقاتلوا قتالا شديدا انتهى بهزيمتهم الى حصون الشق فتبعهم المسلمون وبدؤا بحصن أبي فخرج أهله وقاتلوا قتالا شديدا أبلى فيه أبو دجانة الانصاري بلاءً حسناً حتى تمكن من دخول الحصن عنوة ووجد المسلمون فيه أثاثاً كثيراً ومتاعاً وغنما وطعاماً وهرب المنهزمون منه الى حصن البريء فتمنعوا به أشد التمنع وكان أهله أشد اليهود رمياً بالنبل والحجارة حتى أصاب رسول الله بعض منه فنصب المسلمون عليه المنجنيق فوقع في قلب أهله الرعب وهربوا منه من غير عناء شديد فوجد فيه المسلمون أواني لليهود من نحاس وفخار فقال عليه السلام اغسلوها واطبخوا فيها ثم تتبع المسلمون بقايا العدو الى حصون الكثيبة وبدؤا بحصن القموص فحاصروه عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد علي بن أبي طالب ومنه سبيت صفية بنت حيي بن أخطب ثم سار المسلمون لحصار

حصنى الوطيح والسلالم فلم يقاوم أهلهما بل سلموا طالبين حقن دمائهم وان يخرجوا من أرض خيبر بذراريهم لا يصطحب الواحد منهم الا ثوباً واحدا على ظهره فاجابهم رسول الله الى ذلك وغنم المسلمون من هذين الحصنين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية ووجدوا صحفاً من التوراة فسلموها لطالبيها وقد أمر عليه السلام بقتل كنانة بن أبي الحقيق لانه أنكر حلى حيي بن أخطب وقد عثر عليها المسلمون فوجدوا فيها أساور ودمالج وخلاخيل وأقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمرذ وغير ذلك

(هذا) والذين استشهدوا من المسلمين بخيبر خمسة عشر رجلا وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلا وفي هذه الغزوة أهدت احدى نساء اليهود كراع شاة مسمومة لرسول الله فأخذ منها مضغة ثم لفظها حيث علم أنها مسمومة وأكل منها بشر بن البراء فمات لوقته واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئ له بالمرأة التي فعلت هذه الفعلة فسألها عن سبب ذلك فأجابت قلت ان كان نبياً لن يضره وان كان كاذباً أراحنا الله منه فعفا عنها عليه السلام

﴿ زواج صفية ﴾

وبعد تمام الظفر والنصر تزوج عليه السلام صفية بنت حيي

سيد بني النضير وأصدقها عتقها وقد أسلمت رضي الله عنها فشرفت بأمومة المؤمنين

﴿ النهى عن نكاح المتعة ﴾

(ونهى) عليه السلام وهو بخيبر عن نكاح المتعة وهي النكاح لاجل وقد كان حلا في الجاهلية واستعمل في بدء الاسلام حتى حرمه الشرع في هذه السنة (ونهى) كذلك عن اكل لحوم الحمر الاهلية فاكفأ المسلمون قدورها بعد أن نضجت ولم يطعموها

﴿ رجوع مهاجري الحبشة ﴾

(وحين) رجوع المسلمين من خيبر قدم من الحبشة جعفر ابن أبي طالب ومعه الاشعريون أبو موسى وقومه بعد أن أقاموا بها نحوا من عشر سنين آمنين مطمئنين وفرح عليه السلام بمقدمهم فرحا عظيما وأعطي للاشعريين من مغانم الحصون المفتوحة صلحا وكان مع جعفر أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين (وقدم) في هذا الوقت على النبي عليه السلام الدوسيون اخوان أبي هريرة رضي الله عنه وهو معهم فاعطاهم أيضا رسول الله عليه الصلاة والسلام

﴿ فتح فدك ﴾

و بعد تمام الفتح أرسل عليه السلام من يطلب من يهود

فدك (١) الانقياد والطاعة فصالحوا رسول الله على أن يحقن دماءهم ويتركوا الاموال وكانت أرض فدك هذه لرسول الله خاصة ينفق منها على نفسه و يعول منها صغير بني هاشم ويزوج منها أيمهم

﴿ صلح تيماء ﴾

ولما بلغ يهود تيماء (٢) مافعله المسلمون بيهود خيبر صالحوا على دفع الجزية ومكثوا في بلادهم آمنين مطمئنين

﴿ فتح وادي القرى ﴾

ثم دعا عليه السلام يهود وادي القرى الى الاستسلام فأبوا وقاتلوا فقاتلهم المسلمون وأصابوا منهم أحد عشر رجلا وغنموا منهم مغانم كثيرة خمسها عليه السلام وترك الارض في أيدي أهلها يزرعونها بشطر مايخرج منها وكذلك صنع بأرض خيبر وكان يرسل اليهم عبدالله بن رواحة لتقدير الثمر وكان تقديره شديداً عليهم فأرادوا أن يرشوه فقال لهم يا أعداء الله تطعموني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس اليّ ولانتم أبغض اليّ من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي اياكم وحبي اياه على أن لا أعدل (هذا) و بانقياد جميع اليهود المجاورين للمدينة ارتاج المسلمون

(١) حصن قريب من خيبر على ست ليال من المدينة

(٢) قرية علي ثمان مراحل من المدينة

من شر عدو كان يتربص بهم الدوائر مهما كان بين الفريقين
من العهود والمواثيق ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين

﴿ اسلام خالد ورفيقيه ﴾

وأعقب هذه الغزوة وهذا الفتح المبين اسلام ثلاثة طالما
كانت لهم اليد الطولى في قيادة الجيوش لحرب المسلمين وهم خالد
ابن الوليد المخزومي وعمرو بن العاصي السهمي وعثمان بن أبي طلحة
العبدري فسر بهم عليه السلام سروراً عظيما وقال لخالد (الحمد لله
الذي هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك الا
الى خير) فقال يارسول الله ادع الله لي أن يغفر تلك المواطن التي
كنت أشهدها عليك فقال له عليه السلام (الاسلام يقطع ماقبله)

﴿ سرية ﴾

وفي شعبان بلغه عليه السلام أن جمعاً من هوازن بتربة (١)
يظهرون العداوة للمسلمين فأرسل لهم عمر بن الخطاب في
ثلاثين رجلا فسار اليهم ولما بلغهم الخبر تفرقوا فلم يجد بها عمر
أحداً فرجع

﴿ سرية ﴾

(ثم) أرسل بشير بن سعد الانصاري لقتال بني مرّة بناحية

(١) موضع صنعاء ومكة

فدك فلما ورد بلادهم لم ير منهم أحداً فأخذ نعمهم أما القوم فكانوا
في الوادي فجاءهم الصريخ فأدركوا بشيراً ليلا وهو راجع فتراموا
بالنبل ولما أصبح الصبح اقتتل الفريقان قتالا شديدا حتى قتل غالب
المسلمين وجرح بشير جرحاً شديداً حتى ظن أنه مات ولما انصرف عنه
العدو تحامل حتى جاء الى رسول الله وأخبره الخبر (وفي رمضان)
أرسل عليه السلام غالب بن عبيد الله الليثي الى أهل الميفعة (١)
في مائة وثلاثين رجلا فساروا حتى هجموا على القوم فقتلوا بعضاً
وأسروا آخرين وفي أثناء الحرب طارد أسامة بن زيد رجلاً من
المشركين ولما رأى المشرك الموت في يد أسامة تشهد فظن أسامة
أن عدوه انما قال ذلك تخلصا فقتله ولما رجع المسلمون الى المدينة
وأخبر عليه السلام بفعلة أسامة قال له أقتلته بعد أن قال لا اله الا
الله فكيف تصنع بلا اله الا الله قال يارسول الله انما قالها متعوذا
من القتل قال عليه السلام فهلاً شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم
كاذب فقال يارسول الله استغفر لى قال عليه السلام فكيف
بلا اله الا الله فما زال يكررها حتى تمنى أسامة انه لم يسلم قبل ذلك
اليوم وأنزل الله في ذلك في سورة النساء (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم
السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم

(١) على ثمانية برد من المدينة بناحية نجد

كثيرة) ثم أمر عليه السلام أسامة أن يعتق رقبة كفارة لانه قتل خطأ

{ سرية }

(وفي) شوال بلغه عليه السلام أن عيينة بن حصن واعد جماعة من غطفان كانوا مقيمين قريباً من خيبر بأرض اسمها يمن وجبار للاغارة علي المدينة فارسل لهم بشير بن سعد في ثلاثمائة رجل فساروا اليهم يكمنون النهار و يسيرون الليل حتي أتوا محلتهم فأصابوا نعماً كثيرا وتفرق الرعاء فاخبروا قومهم فرعبوا ولحقوا بعليا بلادهم ولم يظفر المسلمون الا برجلين أسلما ثم رجعوا با لغنائم الى المدينة

{ عمرة القضاة }

لما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه السلام بمن صد معه فيها ليقضى عمرته واستخلف على المدينة اباذرّ الغفاري وساق معه الهدى ستين بدنة وأخرج معه السلاح حذراً من غدر قريش وكان معه مائة فرس عليها بشير بن سعد وأحرم عليه السلام من باب المسجد المدني ولما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه فقيل يارسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لاتحمله فقال عليه السلام لاندخل الحرم به ولكن يكون قريبا منه فان هاجنا هائج فزعناله فلما كان بمر الظهران قابله نفر من قريش ففزعوا من هذه العدة وأسرعوا الى

قومهم فاخبروهم فجاءه فتيان منهم وقالوا والله يامحمد ماعرفت بالغدر صغيراً ولا كبيرا وانا لم نحدث حدثاً فقال انا لاندخل الحرم بالسلاح ولماحان وقت دخول مكة خرج أهلوها كارهين رؤية المسلمين يطوفون بالبيت فدخل عليه السلام وأصحابه متوشحين سيوفهم من ثنية كداء وأمامه عبد الله بن رواحة يقول لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده وطاف عليه السلام بالبيت وهو على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وأمر أصحابه أن يسرعوا ثلاثة أشواط اظهارا للقوة لان المشركين قالوا سيطوف اليوم بالكعبة قوم نهكتهم حمى يثرب فقال عليه السلام رحم الله أمرأ أراهم من نفسه قوة واضطبع عليه السلام بردائه وكشف عضده اليمنى شأن الفتوّة وفعل مثله المسلمون وقد أتم المسلمون طوافهم بالبيت آمنين محلقين رؤسهم وقصرين كما رأى عليه السلام في منامه

{ زواج ميمونة }

وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج عمه حمزة بن عبدالمطلب شهيد أحد وخالة عبدالله بن عباس وهي آخر نسائه زواجاً ولم يدخل بها الا بعد الخروج من مكة حيث كان بسرف (١) ولما خرج عليه السلام أمر الذين

(١) موضع قرب التنعيم

كان تركهم لحراسة الخيل بالذهاب ليطوفوا ففعلوا ثم رجع عليه السلام الى المدينة فرحاً مسرورا بما حباه الله به من تصديق رؤياه

﴿ السنة الثامنة ﴾

﴿ سرية ﴾

وفي صفر أرسل عليه السلام غالب بن عبدالله الليثي الى بني الملوّح وهم قوم من العرب يسكنون بالكديد (١) فسار القوم حتى اذا كانوا بقديد التقوا بالحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء وكان خصما لدودا للمسلمين فاسروه فقال لهم ماجئت الا للاسلام فقالوا له ان تكن مسلما لن يضرك رباط ليلة والا استوثقنا منك ثم ساروا حتى وصلوا محلة بني الملوح فاستاقوا النعم والشاء وخرج الصريخ الى القوم فجاءهم مالا قبل لهم به ولكن منّ الله على المسلمين فارسل سيلا شديدا حال بينهم و بين عدوهم حتى صار المشركون يرون نعمهم تساق وهم لا يقدرون على ردها

﴿ سرية ﴾

(ولما) رجع غالب الى المدينة ظافرا أرسله عليه السلام في مائتي رجل ليقتص من بني مرة بفدك وهم الذين أصابوا سرية بشير بن سعد فساروا حتى اذا كانوا قريبا من القوم خطب غالب

(١) موضع بني عسفان وقديد

فيمن معه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وحده لاشريك له وأن تطيعوني ولا تخالفوا لي أمرا فانه لارأى لمن لا يطاع) ثم آخى بين الجند فقال يافلان انت وفلان و يافلان أنت وفلان لايفارق أحدمنكم زميله واياكم أن يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك فيقول لا أدري فاذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالعدو وكبر كبروا وجردوا السيوف فلم يفلت من عدوهم أحد واستاقوا نعمهم فكان لكل واحد من الغزاة عشرة أبعرة

﴿ سرية ﴾

(وفي) ربيع الاول أرسل عليه السلام كعب بن عمير الغفاري الى ذات أطلاح من أرض الشام في خمسة عشر رجلا فوجدوا جمعاً كثيرا فدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا وقاتلوا وكانوا أكثر عدداً فاستشهد المسلمون عن آخرهم الا رئيسهم كعب بن عمير فانه نجا وأتى بالخبر الى رسول الله فشق عليه وأراد أن يبعث اليهم من يقتص منهم فبلغه انهم تحولوا من منزلهم فعدل عن ذلك

﴿ غزوة مؤتة ﴾

جهز عليه السلام في جمادي الاولى جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير الازدي رسوله الى أمير بصرى وأمر عليهم زيد

ابن حارثة وقال لهم ان أصيب فالامير جعفر بن أبي طالب فان أصيب فعبدالله بن رواحة وكان عدة الجيش ثلاثة آلاف فساروا وشيعهم عليه السلام وكان فيما وصاهم به (اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرا ولا بصيرا فانيا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء) ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا موءتة (١)

مقتل الحارث بن عمير وهناك وجدوا الروم مجمعين لهم جمعا عظيما منهم ومن العرب المتنصرة فتفاوض رجال الجيش فيما يفعلونه أيرسلون لرسول الله يطلبون منه مددا أم يقدمون على الحرب فقال عبد الله بن رواحة ياقوم والله ان الذي تكرهون هو ماخرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة ونحن مانقاتل بقوة ولا بكثرة مانقاتل الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فانما هي احدى الحسنيين اما الظهور واما الشهادة فقال الناس صدق والله ابن رواحة ومضوا للقتال فلقوا هذه الجموع المتكاثرة فقاتل زيد بن حارثة رضي الله عنه حتى استشهد فاخذ الراية جعفر بن أبي طالب وهو يقول

ياحبذا الجنة واقترابها * طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها

(١) قرية قريبة من الكرك وهي مشارف الشام

عليّ اذ لاقيتها ضرابها

ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم ثم تردد بعض التردد فقال يخاطب نفسه

أقسمت يانفس لتنزلنه * طائعة أولا لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه * مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة * هل أنت الا نطفة في شنة

ثم اقتحم بفرسه المعمعة ولم يزل يقاتل رضي الله عنه حتى استشهد فهم بعض المسلمين بالرجوع الى الوراء فقال لهم عقبة بن عامر ياقوم يقتل الانسان مقبلا خير من أن يقتل مدبرا فتراجعوا واتفقوا على تأمير الشهم الباسل خالد بن الوليد وبهمته ومهارته الحربية حمى هذا الجيش من الضياع اذ ماتفعل ثلاثة آلاف بمائة وخمسين ألفا فانه لما أخذ الراية قاتل يومه قتالا شديدا وفي غده خالف ترتيب العسكر فجعل الساقة مقدمة والمقدمة ساقة والميمنة ميسرة والميسرة ميمنة فظن الروم ان المدد جاء المسلمين فرغبوا ثم أخذ خالد الجيش وصار يرجع به الى الوراء حتى انحاز الى موءتة ثم مكث يناوش الاعداء سبعة أيام ثم تحاجز الفريقان لان الكفار ظنوا أن الامداد تتوالى للمسلمين وخافوا أن يجروهم الى وسط الصحارى

حيث لا يمكنهم التخلص و بذلك انقطع القتال وقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وكانت عينا رسول الله تذرفان ثم قال حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم وجاءه رجل فقال يارسول الله ان نساء جعفر يبكين فامره ان ينهاهن فذهب الرجل ثم أتى فقال قد نهيتهن فلم يطعن فأمره فذهب ثانيا ثم جاء فقال والله لقد غلبننا فقال له عليه السلام احث في أفواههن التراب ولما أقبل الجيش الى المدينة قابلهم المسلمون يقولون لهم يافرّار فقال عليه السلام بل هم الكرّار ظن المقيمون بالمدينة ان انحياز خالد بالجيش هزيمة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراهم ان ذلك من مكائد الحرب وأثنى على خالد في مهارته

﴿ سرية ﴾

وفي جمادي الآخرة بلغه عليه السلام ان جمعا من قضاعة يتجمعون في ديارهم وراء وادي القرى ليغيروا على المدينة فأرسل لهم عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر فلحقو عمرا قبل أن يصل الى القوم وقد أراد رجال من الجيش

ايقاد نار فمنعهم عمرو فانكر عليه عمر بن الخطاب فقال أبو بكر انما بعثه رسول الله علينا رئيسا لمعرفته بالحرب اكثر منا فلا تعصه فامتثل ولما حلوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن اكثر من ساعة حتى تفرق الاعداء منهزمين فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتباع أثرهم فمنعهم قائدهم ثم رجعوا الى المدينة ظافرين وبينماهم في الطريق ادركت عمرو بن العاص جنابة في ليلة باردة فلما أصبح قال ان أنا اغتسلت هلكت والله يقول (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) ثم تيمم وصلى ثم أمر بالسير حتى اذا وصلوا المدينة قام رسول الله عليه السلام يسأل عن أنباء سفرهم كما هي عادته فأخبروه بما نقموه على عمرو بن العاص من نهيهم عن ايقاد النار ونهيهم عن اتباع العدو وصلاته جنبا فسأله عليه السلام عن ذلك فقال منعتهم من ايقاد النار لئلا يرى العدو قلتهم فيطمع فيهم ونهيتهم عن اتباع العدو لئلا يكون له كمين وصليت جنبا لان الله يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وان انا أغتسلت هلكت فتبسم عليه السلام وأثنى على عمرو خيرا

﴿ سرية ﴾

وفي رجب أرسل عليه السلام أبا عبيدة عامر بن الجراح في ثلاثمائة فارس لغزو قبيلة جهينة التي تسكن ساحل البحر وزود عليه السلام هذا الجيش جرابا من التمر فساروا حتى اذا وصلوا الساحل

أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو وقد فنى زادهم حتى أكلوا الخبط وهو ورق السمر يبلونه بالماء ويأكلونه الى أن تقرحت أشداقهم وكان في القوم الكريم ابن الكريم قيس بن سعد بن عبادة فنحر لهم ثلاث جزر في كل يوم جزور وفي اليوم الرابع أراد أن ينحر فنهاه رئيسه أبو عبيدة لان قيساً كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه فخاف أبو عبيدة أن لا يفي له أبوه بما استدان فقال قيس أترى سعدا يقضي ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي ديناً استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله ولما يئسوا من لقاء عدوهم رجعوا الى المدينة فقال قيس بن سعد لابيه كنت في الجيش فجاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نهيت

﴿ غزوة الفتح الاعظم ﴾

اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وأزال موانعه فقد كان عليه السلام يعلم أنه لا تذل العرب حتى تذل قريش ولا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة فكان يتشوف لفتحها ولكن كان يمنعه من ذلك العهود التي أعطاها قريشا في الحديبية وهو سيد من وفي ولكن اذا اراد الله أمرا هيأ أسبابه فقد علمت أن قبيلة خزاعة دخلت في عهد رسول الله وقبيلة بكر دخلت في عهد قريش وكان بين خزاعة وبكر دماء

في الجاهلية كمنت نارها بظهور الاسلام فلما حصلت الهدنة وقف رجل من بكر يتغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على مسمع من رجل خزاعي فقام هذا وضربه فحرك ذلك كامن الاحقاد وتذكر بنو بكر ثارهم فشدوا العزيمة لحرب خصومهم واستعانوا بأوليائهم من قريش فأتاهم سرا بالعدة والرجال ثم توجهوا الى خزاعة وهم آمنون فقتلوا منهم ما يربو على العشرين ولما رأى ذلك حلفاء السيد الامين أرسلوا منهم وفدا برياسة عمرو بن سالم الخزاعي ليخبر رسول الله بما فعل بهم بنو بكر وقريش فلما حلوا بين يديه وأخبروه الخبر قال والله لامنعنكم مما أمنع منه نفسي أما قريش فانهم لما رأوا أن ما عملوه نقض للعهود التي أخذت عليهم ندموا على ما فعلوا وأرادوا مداواة هذا الجرح فأرسلوا قائدهم أبا سفيان بن حرب الى المدينة ليشد العقد ويزيد في المدة فركب راحلته وهو يظن أنه لم يسبقه أحد حتى اذا جاء المدينة نزل على أم المؤمنين أم حبيبة بنته وقد أراد أن يجلس على فراش رسول الله فطوته عنه فقال يا بنية أرغبت به عني أم رغبت بي عنه فقالت ما كان لك أن تجلس على فراش رسول الله وانت مشرك نجس فقال لها لقد أصابك بعدي شر ثم خرج من عندها وأتى النبي في المسجد وعرض عليه ما جاء له فقال عليه السلام هل كان من حدث قال لا فقال عليه

السلام فنحن على مدتنا وصلحنا ولم يزد عن ذلك فقام أبو سفيان ومشى الى اكابر المهاجرين من قريش علهم يساعدونه على مقصده فلم يجد منهم معيناً وكلهم قالوا جوارنا في جوار رسول الله فرجع الى قومه ولم يصنع شيئاً فاتهموه بانه خانهم واتبع الاسلام فتنسك عند الاوثان لينفي عن نفسه هذه التهمة (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجهز للسفر وأمر أصحابه بذلك وأخبر الصديق بالوجهة فقال له يارسول الله أو ليس بينك وبين قريش عهد قال نعم ولكن غدروا ونقضوا ثم استنفر عليه السلام الاعراب الذين حول المدينة وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وطوى عليه السلام الاخبار عن الجيش كيلا يشيع الامر فتعلم قريش فتستعد للحرب والرسول عليه السلام لايريد أن يقيم حرباً بمكة بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بحرمتها فدعا مولاه جل ذكره وقال (اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها) فقام حاطب بن أبي بلتعة أحد الذين شهدوا بدرا وكتب كتاباً لقريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسله مع جارية لتوصله الى قريش على جعل فاعلم الله رسوله ذلك فأرسل في أثرها علياً والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا

روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقوا حتى أتوا الروضة فوجدوا بها المرأة فقالوا لها أخرجي الكتاب قالت مامعي كتاب فقالوا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقصها فأتوا به رسول الله فقال عليه السلام ياحاطب ماهذا قال يارسول الله لاتعجل علي اني كنت حليفاً لقريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال عليه السلام أما انه قد صدقكم فقال عمر دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وفي ذلك أنزل الله في سورة الممتحنة (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم سار عليه السلام بهذا الجيش العظيم في منتصف رمضان بعد ان ولى على المدينة ابن أم مكتوم وكانت عدة الجيش

عشرة آلاف مجاهد ولما وصل الابواء لقيه اثنان كانا من أشد أعدائه وهما ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شقيق عبيدة بن الحارث شهيد بدر وصهره عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة شقيق زوجه أم سلمة وكانا يريدان الاسلام فقبلهما عليه السلام وفرح بهما شديد الفرح وقال (لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ولما وصل عليه السلام الكديد رأى أن الصوم شق على المسلمين فأمرهم بالفطر وأفطر هو أيضا وقد قابل عليه السلام في الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجراً بأهله وعياله فأمره بأن يعود معه الي مكة ويرسل عياله الى المدينة ولما وصل عليه السلام مرّ الظهران أمر بايقاد عشرة آلاف نار وكان قريش قد بلغهم ان محمداً زاحف بجيش عظيم لاتدري وجهته فارسلو أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرّ الظهران فاذاهم بنيران كانها نيران عرفة فقال أبوسفيان ماهذه لكأنها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله فادركوهم فاخذوهم فاتوا بهم رسول الله فاسلم أبوسفيان فلما سار قال للعباس احبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتي ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت

القبائل تمر كتيبة كتيبة على أبى سفيان وهو يسأل عنها ويقول مالي ولها حتى اذا مرت به قبيلة الانصار وحامل رايتها سعد بن عبادة فقال سعد ياأبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان ياعباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبه وهي أقل الكتائب فيها رسول الله وأصحابه وحامل الراية الزبير بن العوام فاخبر أبو سفيان رسول الله بمقالة سعد فقال عليه السلام كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسي فيه الكعبة ثم أمر عليه السلام أن تركز رايته بالحجون (١) وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة من كدى (٢) ودخل هو من أعلاها من كداء ونادى مناديه من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن واستثنى من ذلك جماعة عظمت ذنوبهم وآذوا الاسلام وأهله عظيم الاذي فاهدر دمهم وان تعلقوا باستار الكعبة منهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح الذي أسلم وكتب لرسول الله الوحي ثم ارتد وافترى الكذب على الامين المأمون فكان يقول ان محمداً كان يأمرني أن اكتب عليم حكيم فاكتب غفور رحيم فيقول كل جيد ومنهم عكرمة بن

(١) جبل بمعلاه مكة (٢) كدي كقري جبل مسفلة مكة على طريق اليمن وكداء كسحاب جبل بأعلى مكة

أبي جهل وصفوان بن أمية وهبار بن الاسود والحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية وكعب بن زهير ووحشي قاتل حمزة وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان وقليل غيرهم ونهى عن قتل أحد سوى هؤلاء الا من قاتل (فاما) جيش خالد بن الوليد فقابله الذعر من قريش يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين وقتل من جيشه اثنان ودخلها عنوة من هذه الجهة (وأما) جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصادف مانعاً وهو عليه السلام راكب راحلته منحن على الرحل تواضعاً لله وشكراً له على هذه النعمة حتى تكاد جبهته تمس الرحل وأسامة بن زيد رديفه وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان حتى وصل الى الحجون موضع رايته وقد نصبت له هناك قبة فيها أم سلمة وميمونة فاستراح قليلا ثم سار وبجانبه أبو بكر يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى البيت وطاف سبعاً على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وكان حول الكعبة اذ ذاك ثلاثمائة وستون صنما فجعل عليه السلام يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل وما يبدئ الباطل وما يعيد ثم أمر بالآلهة فأخرجت من البيت وفيها صورة اسماعيل وابراهيم في أيديهما الازلام فقال عليه السلام قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط وهذا أول يوم طهرت فيه الكعبة من هذه المعبودات الباطلة

وبطهارة الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها من هذه الادناس سقطت عبادة الاوثان من جميع بلاد العرب الا قليلا ويوشك أن نذكر للقارئ اختفاء آثارها ومحو عبادتها بالكلية

﴿ العفو عند المقدرة ﴾

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وكبر في نواحيها ثم خرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه ثم شرب من زمزم وجلس في المسجد والناس حوله والعيون شاخصة اليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش الذين آذوه وأخرجوه من بلاده وقاتلوه ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق التي يلزم ان يتعلم منها المسلم ان يكون رضاه وغضبه لله لا لهوى النفس فقال عليه السلام يامعشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم قالوا خير أخ كريم وابن أخ كريم فقال عليه السلام اذهبوا فانتم الطلقاء ويرحم الله الامام البوصيري حيث قال

واذا كان القطع والوصل لله تساوي التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فأرضى الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الاناء

ثم خطب عليه السلام خطبة أبان فيها كثيراً من الاحكام

الاسلامية منها أن لايقتل مسلم بكافر ولايتوارث أهـل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها أوخالتهـا والبينة على من ادعى واليمين علي من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذي محرم ولاصلاة بعد الصبح والعصر ولا يصام يوم الاضحى و يوم الفطر ثم قال يامعشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) ثم شرع الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وممن أسلم في هذا اليوم معاوية بن أبي سفيان وأبو قحافة والد الصديق وقدفرح الرسول كثيرا باسلامه وجاءه رجل يرتعد خوفا فقال له عليه السلام (هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)

أما الذين أهدر رسول الله دمهم فقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت فمنهم من حقت عليه كلمة العذاب فقتل ومنهم من أدركته عناية الله فأسلم فعبد الله بن سعد بن أبي سرح لجأ الى أخيه من الرضاع عثمان بن عفان وطلب منه ان يستأمن له رسول الله فغيبه عثمان حتى هدأ النـاس ثم أتي به النبي وقال يارسول الله قد أمنته

فبايعه فاعرض عنه عليه السلام مرارا ثم بايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال عليه السلام أعرضت عنه ليقوم اليه أحدكم فيضرب عنقه فقالوا هلا أشرت الينا فقال (لاينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين) (وأما) عكرمة بن أبي جهل فهرب فخرجت وراءه زوجته و بنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت قد أسلمت قبل الفتح وقد أخذت له أمانا من رسول الله فلحقته وقد أراد ان يركب البحر فقالت جئتك من عند أبر الناس وخيرهم لاتهلك نفسك واني قد استأمنته لك فرجع ولما رآه عليه السلام وثب قائما فرحا به وقال مرحبا بمن جاءنا مهاجرا مسلما ثم أسلم رضي الله عنـه وطلب من رسول الله ان يستغفر له كل عداوة عاداها اياه فاستغفر له وكان رضي الله عنه بعـد ذلك من خيرة المسلمين وأغيرهم على الاسـلام (وأما) هبار بن الاسود فهرب واختفى حتى اذا كان رسول الله بالجعرانة (١) جاءه مسلما وقال يارسول الله هربت منك وأردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك وكنا يارسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وانقذنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل فقال عليه السلام قدعفوت

(١) موضع بين مكة والطائف و بعضهم يضبطه بسكون العين وفتح الراء مخففة

عنك (وأما) الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية المخزومي فأجارتهما أم هانئ بنت أبي طالب فاجاز عليه السلام جوارها ولما قابل رسول الله الحارث بن هشام مسلماً قال له الحمد لله الذي هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام وقد كان بعد ذلك من فضلاء الصحابة (وأما) صفوان بن أمية فاختفى وأراد ان يذهب ويلقي نفسه في البحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي وقال يانبي الله ان صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه فانك قد أمنت الاحمر والاسود فقال عليه السلام أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطني علامة فأعطاه عمامته فأخذها عمير حتى اذا لقي صفوان قال له فداك أبي وأمي جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال صفوان اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك واكرم وأراه العمامة علامة الامان فرجع الى رسول الله وقال له ان هذا يزعم انك أمنتني قال صدق قال أمهلني بالخيار شهرين قال أربعة أشهر ثم أسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه (واما) هند بنت عتبه فاختفت ثم اسلمت وجاءت الى رسول فرحب بها فقالت له والله يارسول الله ما كان على ظهر الارض أهل خباء أحب الى ان يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب الى ان يعزوا من أهل خبائك

﴿ وفود كعب بن زهير ﴾

(وأما) كعب بن زهير فلما ضاقت به الارض ولم يجد له مجيراً جاء المدينة بعد أن قدمها رسول الله من مكة فأسلم وأنشد قصيدته التي يقول فيها

وقال كل صديق كنت آمله * لألهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوماً على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

وقال فيها مادحاً

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول بردته (وأما) وحشي قاتل حمزة فكذلك أسلم وحسن اسلامه وقبله عليه الصلاة والسلام وقد جاءه ابنا أبي لهب عتبة ومعتب فأسلما وفرح بهما عليه السلام

وكان من الذين اختفوا سهيل بن عمرو فاستأمن له ابنه عبد الله فأمنه عليه السلام وقال ان سهيلاً له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فلما بلغت هذه المقالة سهيلا قال كان والله برا صغيرا برا كبيرا ثم أسلم بعد ذلك

﴿ بيعة النساء ﴾

هذا ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء وكن يبايعن على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الرسول في معروف (ثم) أمر عليه السلام بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة وهذا بدء ظهور الاسلام على ظهر البيت الكريم فلا عجب أن اتخذ المسلمون هذا اليوم عيدا يحمدون فيه الله حق حمده على هذه النعمة الكبرى والنصر العظيم

وأقام عليه السلام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر فيها الصلاة وولى عليها عتاب بن أسيد وجعل رزقه كل يوم درهماً فكان عتاب رضي الله عنه يقول لا أشبع الله بطناً جاع على درهم كل يوم

﴿ هدم العزى ﴾

(وفي الخامس) من مقامه عليه السلام بمكة أرسل خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً لهدم هيكل العزى وهي اكبر صنم لقريش وكان هيكلها ببطن نخلة فتوجه اليها خالد وهدمها

﴿ هدم سواع ﴾

(وأرسل عليه السلام) عمرو بن العاص لهدم سواع وهو أعظم

صنم لهذيل وهيكله على ثلاثة أميال من مكة فذهب اليه وهدمه

﴿ هدم مناة ﴾

(وبعث) سعد بن زيد الاشهلي في عشرين فارساً لهدم مناة وهي صنم لكلب وخزاعة وهيكلها بالمشلل وهو جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد فتوجهوا اليها وهدموها

﴿ غزوة حنين ﴾

بهذا الفتح العظيم وسقوط دولة الاوثان دانت للاسلام جموع العرب ودخلوا فيه أفواجاً أما قبيلتا هوازن وثقيف فأدركتهما حمية الجاهلية واجتمع الاشراف منهم للشورى وقالوا قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل أن يغزونا فأجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النصري فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين كان رسول الله مسترضعاً فيهم وكان في القوم دريد بن الصمة المشهور بأصالة الرأي وشدة الباس في الحرب ولتقدم سنه لم يكن له في هذه الحرب الا الرأي ثم ان مالك بن عوف أمر الناس ان يأخذوا معهم نساءهم وذراريهم وأموالهم فلما علم بذلك دريد سأل مالكا عن السبب فقال سقت مع الناس أموالهم وذراريهم ونساءهم لأجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنه فقال دريد وهل يرد المنهزم شيء أن

كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك فلم يقبل مالك مشورته وجعل النساء صفوفا وراء المقاتلة ووراءهم الابل ثم البقر ثم الغنم كيلا يفر أحد من المقاتلين (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما بلغه ان هوازن وثقيف يستعدون لحربه أجمع رأيه على المسير اليهم وخرج معه اثنا عشر ألف غاز منهم الفان من أهل مكة والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة وخرج أهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون الغنائم وخرج في الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ولما قرب الجيش من معسكر العدو صف عليه السلام الغزاة وعقد الالوية فأعطى لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولوا الاوس لاسيد بن حضير وكذلك أعطى ألوية لقبائل العرب الاخرى ثم ركب عليه السلام بغلته ولبس درعين والبيضة والمغفر. هذا وقد أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئا فان مقدمة المسلمين توجهت جهة العدو فخرج لهم كمين كان مستترا في شعاب الوادي ومضايقه وقابلهم بنبل كانه الجراد المنتشر فلووا أعنة خيلهم منقهقرين ولما وصلوا الى من قبلهم تبعوهم في الهزيمة لما لحقهم من الدهشة أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت على بغلته في ميدان

القتال وثبت معه قليل من المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وعلى العباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة ابن الحارث ومعتب بن أبي لهب وكان العباس آخذا بلجام البغلة وأبو سفيان آخذ بالركاب وكان عليه السلام ينادي اليّ أيها الناس ولا يلوى عليه احد وضاقت بالمنهزمين الارض بما رحبت أما رجال مكة الذين هم حديثو عهد بالاسلام والذين لم ينزعوا عنهم ربقة الشرك فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا الادبار فقال أبو سفيان ابن حرب لاتنتهي هزيمتهم دون البحر وقال أخ لصفوان بن أمية الآن بطل السحر فقال له صفوان وهو على شركه اسكت فض الله فاك والله لان يُربني رجل من قريش خير من ان يُربني رجل من هوازن ومر عليه رجل من قريش وهو يقول أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لايجبرونها ابدا فغضب صفوان وقال ويلك أتبشرني بظهور الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لذلك الرجل كونهم لا يجبرونها أبدا ليس بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شئ أن أديل عليه اليوم فان العاقبة له غدا فقال سهيل بن عمرو والله ان عهدك بخلافه لحديث فقال له يا أبا يزيد انا كنا على غير شئ وعقولنا ذاهبة نعبد حجرا لا يضر ولا ينفع (وبلغت) هزيمة بعض الفارين مكة كل هذا ورسول الله واقف مكانه يقول انا النبي

لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس وكان جهوري الصوت ناد بالانصار ياعباس فنادى يامعشر الانصار ياأصحاب بيعة الرضوان فاسمع من في الوادي وصار الانصار يقولون لبيك لبيك ويريد كل واحد منهم ان يلوي عنان بعيره فيمنعه من ذلك كثرة الاعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه و يأخذ سيفه وترسه وينزل عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله جمع عظيم منهم وأنزل الله سكينته على رسوله وعلي المؤمنين وأنزل جنودا لم يروها فكرّ المسلمون على عدوهم يدا واحدة فانتكث فتل المشركين وتفرقوا في كل وجه لايلوون على شيء من الاموال والنساء والذراري وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فأخذوا النساء والذرارى وأسروا كثيرا من المحاربين وهرب من هرب وجرح في هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات بالغة وأسلم ناس كثيرون من مشركي مكة لما رأوه من عناية الله بالمسلمين

(هذا) والذي حصل في هذه الغزوة درس مهم من دروس الحرب فان هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من مشركين وأعراب وحديثي عهد باسلام وهؤلاء سيان عندهم نصر الاسلام وخذلانه ولذلك بادروا لاول صدمة الي الهزيمة وكادت تمحي الكلمة

علي المسلمين لولا فضل الله فلا ينبغي أن يكون في الجيش الا من يقاتل خالصا مخلصا من قلبه ليكون مدافعا حقا عن دينه فلا تميل نفسه الى الفرار خشية ماأعده الله للفارين من أليم العقاب

ثم أمر عليه السلام بجمع السبى والغنائم وكانت نحو اربعة وعشرين ألف بعير واكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فجمع ذلك كله بالجعرانة (اما) المشركون فتفرقوا ثلاث فرق فرقة لحقت بالطائف وفرقة لحقت بنخلة وفرقة عسكرت بأوطاس (١)

﴿ سرية ﴾

فأرسل عليه السلام لهذه الفرقة أبا عامر الاشعري في جماعة منهم أبو موسى الاشعري فسار اليهم وبددهم وظفر بما بقى معهم من الغنائم وقد استشهد أبو عامر في هذه الغزوة وخلف على الغزاة ابن أخيه أباموسي فرجع ظافرا منصورا

﴿ غزوة الطائف ﴾

(وسار) عليه السلام بمن معه الى الطائف ليجهز على بقية حياة ثقيف ومن تجمع معهم من هوازن وجعل على مقدمته خالد بن الوليد ومر عليه السلام بحصن لعوف بن مالك النصري فأمر بهدمه

(١) واد بديار هوازن

ومر ببستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه أن اخرج والا حرقنا عليك بستانك فامتنع الرجل فأمر عليه السلام بحرقه ولما وصل المسلمون الى الطائف وجدوا الاعداء قد تحصنوا به وادخلوا معهم قوت سنتهم فعسكر المسلمون قريب الحصن فرماهم المشركون بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات منهم عبدالله بن أبي بكر وقد طاوله جرحه حتى أماته في خلافة أبيه ومنهم أبو سفيان بن حرب فقئت عينه وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلا من المسلمين ولما رأى رسول الله أن العدو متمكن من رميهم ارتفع محل مسجد الطائف الآن وضرب لام سلمة وزينب قبتان هناك واستمر الحصار ثمانية عشر يوماً كان فيها ينادي خالد ابن الوليد بالبراز فلم يجبه أحد وناداه عبد ياليل عظيم ثقيف لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فان فيه من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يفنى هذا الطعام خرجنا اليك بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا فأمر عليه السلام بأن ينصب عليهم المنجنيق فنصب ودخل جمع من الاصحاب تحت دبابتين (١) لينقبوا الحصن فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار حتى أرجعوهم فأمر عليه السلام ان تقطع أعنابهم ونخيلهم فقطع المسلمون فيها قطعاً

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها

ذريعا فناداه أهل الحصن أن دعها لله وللرحم فقال أدعها لله وللرحم ثم أمر من ينادي بأن كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن فخرج اليه بضعة عشر رجلا (ولما) رأى عليه السلام أن تمنع ثقيف شديد وان الفتح لم يؤذن فيه استشار نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام فقال يارسول الله ثعلب في جحر ان أقمت أخذته وان تركته لم يضرك فأمر عليه السلام بالرحيل وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف فقال (اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين)

﴿ تقسيم السبي ﴾

ثم رجع عليه السلام الى الجعرانة حيث ترك السبي فأحصاه وخمسه وأعطى منه شيئاً كثيراً لاناس ضعف اسلامهم يتألفهم بذلك وأعطى أناساً لم يسلموا ليحببهم في الاسلام ومن الاولين أبو سفيان أعطاه أربعين أوقية من الذهب ومائة من الابل وكذلك ابناه معاوية ويزيد فقال له بأبي أنت وأمي لانت كريم في السلم والحرب ومنهم حكيم بن حزام أعطاه كأبي سفيان فاستزاده فأعطاه مثلها ثم استزاده فاعطاه مثلها وقال ياحكيم (ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى) فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ماعداها ثم

قال والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا فكان الخلفاء بعد رسول الله يعرضون عليه العطاء الذي يستحقه من بيت المال فلا يأخذه وأعطى عليه السلام عيينة بن حصن مائة من الابل وكذلك الاقرع بن حابس والعباس بن مرداس وأعطى صفوان بن أمية شعباً مملوءاً نعما وشاء كان رآه يرمقه فقال له هل يعجبك هذا قال نعم قال هو لك فقال صفوان ماطابت بمثل هذا نفس أحد وكان ذلك سبب اسلامه وكان عليه السلام يقصد من هذه العطايا تأليف القلوب وجمعها على الدين القويم وهذا ضرب من ضروب السياسة الدينية حتى جعل من الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم وقد عاد ذلك بفائدة عظمى فان كثيرين ممن أعطوا في هذا اليوم ولم يكونوا أشربوا في قلوبهم حب الاسلام صاروا بعد من أجلاء المسلمين واعظمهم نفعاً كصفوان بن أمية ومعاوية بن أبي سفيان والحارث بن هشام وغيرهم (ثم) أمر عليه السلام زيد بن ثابت فاحصى مابقي من الغنائم وقسمه على الغزاة بعد أن اجتمع اليه الاعراب وصاروا يقولون له اقسم علينا حتى الجؤه الى شجرة فخطفت رداءه فقال (ردوا ردائي أيها الناس فوالله ان كان لي شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا) ثم قام الى بعيره وأخذ وبرة من سنامه (وقال

أيها الناس والله مالي من غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فان الغلول (١) يكون على أهله عاراً وشناراً وناراً يوم القيامة) فصار كل من أخذ شيئاً من الغنائم خلسة يرده ولو كان زهيداً ثم ابتدأ يقسم فأصاب الراجل أربعة من الابل وأربعون شاة والفارس ثلاثة أمثال ذلك فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ماأريد بها وجه الله فغضب عليه السلام حتى احمر وجهه وقال (ويحك من يعدل اذا لم أعدل) فلم يؤده غضبه ان ينتقم لنفسه حاشاه عليه السلام من ذلك بل لم يزد على أن نصح وحذر وقال له عمر وخالد بن الوليد دعنا يارسول الله نضرب عنقه فقال لا لعله ان يكون يصلي فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه فقال عليه السلام انى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق عن بطونهم (ولما) أعطى رسول الله ماأعطى من تلك العطايا لقريش وقبائل العرب وترك الانصار غضب بعضهم حتى قالوا ان هذا لهو العجب يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فبلغه ذلك فأمر بجمعهم وليس معهم غيرهم فلما اجتمعوا قال يامعشر الانصار مامقالة بلغتني عنكم ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة (٢) فأغناكم الله بي وأعداء فألف الله بين

---

(١) الاختلاس من الغنيمة (٢) جمع عائل وهو الفقير

قلو بكم بي ان قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة واني أردت ان أجبرهم وأتألفهم أغضبتم يامعشر الانصار في أنفسكم لشيء قليل من الدنيا ألفت به قوماً ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم الثابت الذي لايزلزل ألا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحلكم فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعباً وسلك الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار) فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظاً ثم انصرف عليه السلام وتفرقوا

﴿ وفود هوازن ﴾

و بعد بضع عشرة ليلة جاءه عليه السلام وفد هوازن يرأسهم زهير بن صرد وقالوا يارسول الله ان فيمن أصبتم الامهات والعمات والخالات وهن مخازى الاقوام ونرغب الى الله واليك يارسول الله وقال زهير ان في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ثم قال أبياتاً يستعطفه بها

امنن علينا رسول الله في كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذفوك مملوءة من مخضها الدرر
انا لنشكر للنعماء ان كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

انا نؤمل عفوا منك نلبسه * هدى البرية أن تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من امهاتك ان العفو مشتهر

فقال عليه السلام ان أحب الحديث اليّ أصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال وقد كنت انتظرتكم حتى ظننت انكم لاتقدمون فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئاً اردد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب الينا ولانتكلم في شاة ولا بعير فقال عليه السلام أما مالي ولبني عبدالمطلب فهو لكم فاذا أنا صليت الظهر فقوموا وقولوا نحن نستشفع برسول الله الى المسلمين و بالمسلمين الى رسول الله بعد ان تظهروا اسلامكم وتقولوا نحن اخوانكم في الدين ففعلوا فقال عليه السلام لاصحابه (أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت ان أرد عليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول مايفئ الله علينا فليفعل فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وامتنع من ذلك جماعة من الاعراب كالاقرع ابن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس فأخذه الرسول منهم قرضا وأمر عليه السلام بأن تحبس عائلة مالك بن عوف النصري رئيس تلك الحرب بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أبي أمية فقال له الوفد أولئك ساداتنا فقال عليه السلام انما أريد بهم

الخير ثم سال عن مالك فقالوا هرب مع ثقيف فقال أخبروه أنه ان جاءني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما بلغ ذلك مالكا نزل من الحصن خفية حتى أتى رسول الله بالجعرانة فأسلم وأحرز ماله وأهله واستعمله عليه السلام علي من أسلم من هوازن

﴿عمرة الجعرانة﴾

(ثم) ان الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمر فأحرم من الجعرانة ودخل مكة بليل فطاف واستلم الحجر ثم رجع من ليلته وكانت اقامته بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ثم أمر عليه السلام بالرحيل فسار الجيش آمناً مطمئناً حتى دخل المدينة لثلاث بقين من ذي القعدة

وغزوة حنين هي التى فرق الله بها جموع الشرك وأدال دولته وأفقد سراة أهله فان هوازن لم تترك وراءها رجلا تمكنه الحرب الا ساقته ولم تترك لها بعيرا ولا شاة الا جاءت به معها فأراد الله اعزاز الاسلام بخذلان أعدائه وأخذ أموالهم فانكسرت حدة المشركين ولم يبق فيهم من يمانع أو يدافع ولذلك يمكننا أن نقول ان انكسار هوازن كان خاتمة لحروب العرب فلم يبق فيهم الا فئات قليلة يسوقهم الطيش الى اشهار السلاح ثم لا يلبثون ان يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة

﴿سرية﴾

ولما رجع عليه السلام الى المدينة أرسل قيس بن سعد في أربعمائة ليدعو صداء (قبيلة تسكن اليمن) الى الاسلام فجاء الى رسول الله رجل منهم فقال يارسول الله انى جئتك وافدا عمن ورائي فاردد الجيش وانا لك بقومي فامر عليه السلام برد الجيش

﴿وفود صداء﴾

وخرج الرجل الى قومه فقدم بخمسة عشر رجلا منهم فنزلوا ضيوفاً على سعد بن عبادة ثم بايعوا رسول الله علي الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا ولما رجعوا فشا فيهم الاسلام وقدم على رسول الله منهم مائة في حجة الوداع

﴿سرية﴾

ثم أرسل عليه السلام بشر بن سفيان العدوي الي بني كعب من خزاعة لاخذ صدقات أموالهم فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء مافرض عليهم فلما علم بذلك رسول الله أرسل اليهم عيينة بن حصن في خمسين فارساً من الاعراب فجاءهم وحاربهم وأخذ منهم أحدعشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا وتوجه بالكل

الى المدينة فأمر عليه السلام بجعلهم في دار رملة بنت الحارث

﴿ وفود تميم ﴾

فجاء في أثرهم وفد تميم فيه عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فجلسوا ينتظرون الرسول فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت جاف يامحمد اخرج الينا نفاخرك فان مدحنا زين وان ذمنا شين فخرج اليهم عليه السلام وقد تأذى من صياحهم وفيهم نزل في أوائل سورة الحجرات (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لايعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال ودخل النبي للصلاة فتعلقوا به يقولون نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال لهم عليه السلام (ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا) ثم صلى الظهر واجتمع حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم وقد مدح عمرو بن الاهتم الزبرقان بن بدر فقال انه لمطاع في أنديته سيد في عشيرته فقال الزبرقان حسدني يارسول الله لشرفي وقد علم أفضل مما قال فقال عمروانه لزمن المروءة ضيق العطن لئيم الخال فرؤي الغضب في وجه رسول الله لاختلاف قولي عمرو فقال يارسول الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ماعلمت وغضبت فقلت

أسوأ ماعلمت فقال عليه السلام (ان من البيان لسحرا) ثم اسلم القوم فرد النبي عليه السلام عليهم أسراهم وأحسن جائزتهم وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون في الدين

﴿ سرية ﴾

ثم بعث عليه السلام الوليد بن عقبة بن أبي معيط لاخذ صدقات بني المصطلق فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون رجلاً متقلدين سلاحهم احتفالا بقدومه ومعهم ابل الصدقة فلما نظرهم ظنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة في الجاهلية فرجع مسرعاً الى المدينة وأخبر الرسول ان القوم ارتدوا ومنعوا الزكاة فأرسل اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر فسار اليهم في عسكره خفية حتى اذا كان بناديهم سمع مؤذنهم يؤذن بالصبح فأتاهم خالد فلم ير منهم الاطاعة فرجع وأخبر الرسول فارسل عليه السلام لهم غير الوليد لاخذ الصدقات وفي الوليد نزل في أوائل الحجرات (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين)

﴿ سرية ﴾

ثم بلغ رسول الله ان جمعاً من الحبشة رآهم أهل جدة في مراكبهم يريدون الاغارة عليها فارسل لهم علقمة بن مجزز في

ثلاثمائة فذهب حتى وصل جدة ونزل في المراكب ليدركهم وكان الاحباش متحصنين في جزيرة هناك فلما رأوا المسلمين يريدونهم هربوا ولم يلق المسلمون كيداً فرجع علقمة بمن معه ولما كان بالطريق أذن لسرعان القوم أن يتعجلوا وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي وكان فيه دعابة فأوقد لهم في الطريق ناراً وقال لهم ألستم مأمورين بطاعتي قالوا نعم قال عزمت عليكم الا ما تواثبتم في هذه النار فقال بعضهم ما أسلمنا الا فراراً من النار وهم بذلك بعضهم فمنعهم عبد الله وقال كنت مازحاً فلما ذكروا ذلك لرسول الله قال (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)

﴿ السنة التاسعة ﴾

﴿ سرية ﴾

في ربيع الاول أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب في خمسين فارساً لهدم الفلس (صنم لطيء) فسار اليه وهدمه وأحرقه ولما حارب عباده هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم وسبيهم وكان فيه سفانة بنت حاتم طيء ولما رجع على الى المدينة طلبت سفانة من رسول الله أن يمن عليها فأجابها لانه كان من سننه أن يكرم الكرام فدعت له وكان من دعائها (شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل

لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة كريم الا وجعلك سبباً لردها عليه) وكانت هذه المعاملة من رسول الله سبباً في اسلام أخيها عدى ابن حاتم الطائي الذي كان فر الى الشام عند ما رأى الرايات الاسلامية قاصدة بلاده. وكان من حديث مجيئه أن أخته توجهت اليه بالشام وأخبرته بما عوملت به من الكرم فقال لها ماترين في أمر هذا الرجل فقالت أرى أن تلحق به سريعاً فان يكن نبياً فللسابق اليه فضل وان يكن ملكاً فأنت أنت فقال والله هذا هو الرأي

﴿ وفود عدى بن حاتم ﴾

فخرج حتى جاء المدينة ولقى رسول الله فقال عليه السلام من الرجل قال عدى بن حاتم فأخذه الى بيته وبينما هما يمشيان اذ لقيت رسول الله امرأة عجوز ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقال عدى والله ماهو بملك ثم مضى رسول الله حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليفاً فقدمها الى عدى وقال اجلس على هذه فقال بل أنت تجلس عليها فامتنع عليه السلام وأعطاها له وجلس هو على الارض ثم قال ياعدى أسلم تسلم قالها ثلاثاً فقال عدى اني على دين (وكان نصرانياً) فقال له عليه السلام أنا أعلم بدينك منك فقال عدى أأنت أعلم بديني مني قال نعم ثم عدد

له أشياء كان يفعلها اتباعا لقواعد العرب وليست من دين المسيح في شيء كأخذه المرباع وهو ربع الغنائم ثم قال ياعدى انما يمنعك من الدخول في الدين ماترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لاقدرة لهم وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لايوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة قال لم أرها وقد سمعت بها قال فوالله ليتمن هذا الامر حتي تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم فاسلم عدى رضي الله عنه وعاش حتى رأى كل ذلك

﴿ غزوة تبوك ﴾

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم جمعت الجموع تريد غزوه في بلاده وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجدب البلاد وشدة الحر حين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم فامر عليه السلام بالتجهز وكان قلما يخرج في غزوة الاوري بغيرها ليعمي الاخبار على العدو الا في هذه الغزوة فانه أخبر بمقصده لبعد الشقة وكثرة العدو ليأخذ الناس عدتهم لذلك وبعث الى مكة وقبائل

الاعراب يستنفرهم لذلك وحث الموسرين على تجهيز المعسرين فانفق عثمان بن عفان عشرة آلاف دينار وأعطي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرسا فقال عليه السلام اللهم ارض عن عثمان فاني راض عنه وجاء أبو بكر بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم فقال عليه السلام هل أبقيت لاهلك شيئا فقال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية وجاء العباس وطلحة بمال كثير وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقا من تمر وأرسلت النساء بكل مايقدرن عليه من حليهن وجاءه عليه السلام سبعة أنفس من فقهاء الصحابة يطلبون اليه ان يحملهم فقال لاأجد ماأحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لايجدوا ماينفقون فجهز عثمان ثلاثة منهم وجهز العباس اثنين وجهز يامين بن عمرو اثنين ولما اجتمع الرجال خرج بهم رسول الله وهم ثلاثون ألفا وولي على المدينة محمد بن مسلمة وعلى أهله علي ابن أبي طالب وتخلف كثير من المنافقين يرأسهم عبد الله بن أبي وقال يغزو محمد بنى الاصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد يحسب محمد أن قتال بني الاصفر معه اللعب والله لكأني أنظر الى أصحابه مقرنين في الحبال واجتمع جماعة منهم فقالوا في حق رسول الله وأصحابه مايريدون من الارجاف فبلغه ذلك فأرسل اليهم عمار بن ياسر

يسألهم عما قالوا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب وجاء اليه جماعة منهم الجد بن قيس يعتذرون عن الخروج فقالوا يارسول الله ائذن لنا ولا تفتنا لانا لانأمن نساء بنى الاصفر وجاء اليه المعذرون من الاعراب وهم أصحاب الاعذار من ضعف اوقلة ليؤذن لهم فاذن لهم وكذلك استأذن كثير من المنافقين فاذن لهم وقدعتب الله عليه في ذلك الاذن بقوله في سورة براءة (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ثم قال في حقهم (انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) ثم كذبهم الله في عذرهم فقال (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) ثم لكيلا يأسي المسلمون على قعود المنافقين عنهم قال جل ذكره (لوخرجوافيكم مازادوكم الا خبالاً ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) وتخلف جماعة من المسلمين لايتهمون في اسلامهم منهم كعب بن مالك وهلال ابن أمية ومرارة بن الربيع وأبو خيثمة ولما خلف عليه السلام علياً قال المنافقون قد استثقله فتركه فاسرع الى رسول الله وشكا له ماسمع فقال عليه السلام (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) ثم سار عليه السلام بالجيش وأعطي لواءه الاعظم أبا بكر الصديق

وفي اعطاء اللواء لابي بكر في آخر غزوة للرسول وتخليف علي على أهل البيت حكمة لطيفة يفهمها القارئ وفرق عليه السلام الرايات فأعطى الزبير راية المهاجرين وأسيد بن حضير راية الاوس والحباب بن المنذر راية الخزرج (ولما) مر الجيش بالحجر وهي ديار ثمود قال عليه السلام لاصحابه (لاتدخلوا بيوت الذين ظلموا الاوأنتم باكون) ليشعر قلوبهم رهبة الله وكان مستعملا على حرس الجيش عباد بن بشر وكان أبو بكر يصلي بالجيش ولما وصلوا الى تبوك وكانت أرضا لاعمارية فيها قال الرسول لمعاذ بن جبل (يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ماهنا ملئ بساتين)وقد كان ولما استراح الجيش لحقه أبو خيثمة وكان من خبر مجيئه أن دخل على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشتين لهما في بستان قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيأت طعاماً وكان يوماً شديد الحر فلما نظر ذلك قال يكون رسول الله في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ماهذا بالنصف ثم قال والله لاأدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فهيآ لي زاداً ففعلتا ثم ركب بعيره وأخذ سيفه ورمحه وخرج يريد رسول الله فصادفه حين نزل بتبوك

﴿وفود صاحب أيلة﴾

هذا ولم ير عليه السلام بتبوك جيشا كما كان قد سمع فاقام هناك

أياما جاءه في أثنائها يوحنا صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء (١) وأهل أذرح (٢) وأهل ميناء فصالح يوحنا رسول الله على اعطاء الجزية ولم يسلم وكتب له الرسول كتابا هذه صورته

﴿ كتاب صاحب ايلة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لايحوز ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وأنه لايحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر)

﴿ كتاب أهل أذرح وجرباء ﴾

وكتب لاهل أذرح وجرباء كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان للمسلمين) وصالح أهل ميناء على ربع ثمارهم (ثم ان) الرسول استشار أصحابه في مجاوزة تبوك الى ماهو أبعد منها من ديار الشام فقال له عمر ان كنت أمرت بالسير

(١) قرية جنوب الشام (٢) مدينة تلقاء السراة

فسر فقال عليه السلام لو كنت أمرت بالسير لم أستشر فقال يارسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا في هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا فتبع عليه السلام مشورته وأمر بالقفول فرجع الجيش الى المدينة

﴿ مسجد الضرار ﴾

ولما كان على مقربة منها بلغه خبر مسجد الضرار وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ليفرقوا جماعة المسلمين وجاء جماعة منهم الى الرسول طالبين منه أن يصلي لهم فيه فسألهم عن سبب بنائه فحلفوا بالله ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون فأمر عليه السلام جماعة من أصحابه لينطلقوا اليه ويهدموه ففعلوا (هذا) ولما استقر عليه السلام بالمدينة جاءه جماعات من الذين تخلفوا يعتذرون كذبا فقبل منهم عليه السلام علانيتهم ووكل ضمائرهم الى الله واستغفر لهم

﴿ حديث الثلاثة الذين خلفوا ﴾

وجاءه كعب بن مالك الخزرجي ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية الاوسيان مقرين بذنوبهم فلما دخل عليه كعب تبسم تبسم المغضب وقال ماخلفك فقال يارسول الله لوجلست عند غيرك من أهل

الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أوتيت جدلا ولكني والله
لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن
الله أن يسخط عليّ فيه ولئن حدثتك حديث صدق تغضب عليّ
فيه اني لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر فقال عليه
السلام أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك وقال صاحباه
مثل قوله فقال لهما عليه السلام كما قال لكعب ونهى المسلمين عن
كلامهم فاجتنبهم الناس وأمرهم ان يعتزلوا نساءهم واستأذنت
زوج هلال بن أمية في خدمة زوجها لانه شيخ ضائع ليس له خادم
فأذن لها ولم يزالوا كذلك حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت
وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب
عليهم فأرسل لهم عليه السلام من يبشرهم بهذه النعمة الكبرى فتلقاهم
الناس أفواجاً أفواجاً يهنئونهم بتوبة الله فلما دخل كعب المسجد
تلقاه رسول الله مسروراً فقال أبشر يا كعب بخير يوم يمر عليك
منذ ولدتك أمك فقال من عندك يارسول الله أم من عند الله
قال بل من عند الله فقال كعب يارسول الله ان من توبتي أن أنخلع
من مالي صدقة لله ولرسوله فقال عليه السلام أمسك عليك بعض
مالك فهو خير لك ثم قرأ عليه السلام الآيات التي فيها توبته هو
وصاحباه في سورة براءة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت

عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ
من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)

﴿ وفود ثقيف ﴾

وعقب مقدمه عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد ثقيف وكان
من خبرهم أنه لما انصرف رسول الله من محاصرتهم تبع أثره عروة
ابن مسعود الثقفي حتى أدركه قبل ان يصل الى المدينة فأسلم وسأله
أن يرجع الى قومه ويدعوهم الى الاسلام فقال له انهم قاتلوك فقال
يارسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم فخرج الى قومه يرجو منهم
طاعته لمرتبته فيهم لانه كان فيهم محبباً مطاعاً فلما جاء الطائف وأظهر
لهم ماجاء به رموه بالنبل فقتلوه وبعد شهر من مقتله ائتمروا فيما
بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا أمرهم
على أن يرسلوا لرسول الله رجلا منهم يكلمه وطلبوا من عبد ياليل
ابن عمرو أن يكون ذلك الرجل فأبى وقال لست فاعلا حتى ترسلوا
معي رجالا فبعثوا معه خمسة من أشرافهم فخرجوا متوجهين الى
المدينة ولما قابلوا رسول الله ضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا
القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله كل يوم
ويخلفون في رحالهم أصغرهم سنا عثمان بن أبي العاص فكان اذا رجعوا
ذهب للنبي واستقرأه القرآن واذا رآه نائما استقرأ أبا بكر حتى

حفظ شيئاً كثيراً من القرآن وهو يكتم ذلك عن أصحابه ثم أسلم القوم وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رآه من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين

﴿ كتاب أهل الطائف ﴾

ثم كتب لهم كتاباً من جملته (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وجّ وصيده حرام لا يعضد شجره ومن وجد يفعل شيئاً من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه) ثم سألوا رسول الله أن يؤجل هدم صنمهم شهرا حتي يدخل الاسلام قلوب القوم ولا يرتاع السفهاء من النساء من هدمه فرضي بذلك عليه السلام ولما خرجوا من عنده قال لهم رئيسهم أنا أعلمكم بثقيف اكتموا عنهم اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال واخبروهم أن محمدا طلب أمورا عظيمة أبيناها عليه سألنا ان نهدم الطاغية وان نترك الزنا وشرب الخمر والربا فلما حلوا بلادهم جاءتهم ثقيف فقال الوفد جئنا رجلا فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف ودان الناس له فعرض علينا أمورا شديدة وذكروا ما تقدم فقالوا والله لا نطيعه أبداً فقالوا لهم أصلحوا سلاحكم ورموا حصونكم واستعدوا للقتال فأجابوا واستمروا على ذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله فيها الرعب في قلوبهم فقالوا والله ما لنا بحربه من طاقة ارجعوا اليه وأعطوه ما سأل فقال الوفد قد قاضيناه

وأسلمنا فقالوا لم كتمتم علينا ذلك قالوا حتى تذهب عنكم نخوة الشيطان فاسلموا

﴿ هدم اللات ﴾

ولما بلغ رسول الله اسلام ثقيف أرسل أبا سفيان والمغيرة بن شعبة الثقفي لهدم اللات صنم ثقيف بالطائف فتوجهوا وهدموه حتى سووه بالارض

﴿ حج أبي بكر ﴾

وفي أخريات ذي القعدة أرسل عليه السلام أبا بكر ليحج بالناس فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة ومعه الهدى عشرون بدنة أهداها رسول الله وساق أبو بكر خمس بدنات ولما سافر نزل على رسول الله أوائل سورة براءة فأرسل بها علياً ليبلغها الناس في يوم الحج الاكبر وقال لا يبلغ عني الا رجل مني فلحق أبا بكر في الطريق فقال الصديق هل استعملك رسول الله على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ أو أتلو براءة على الناس فلما اجتمعوا بمنى يوم النحر قرأ عليهم عليّ ثلاث عشرة آية من أول سورة براءة تتضمن نبذ العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا عهودهم وامهالهم أربعة أشهر يسيحون فيها في الارض كيف شاؤوا واتمام عهد المشركين الذين لم يظاهروا على المسلمين ولم يغدروا بهم الى مدتهم ثم نادى

لايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكان على يصلى في هذا السفر وراء أبي بكر رضي الله عنهما

﴿ وفاة ابن أبي ﴾

وفي ذى القعدة مات عبد الله بن أبى وقد صلى عليه رسول الله صلاة لم يطل مثلها وشيع جنازته حتى وقف على قبره وانما فعل ذلك تطيبياً لقلب ولده عبدالله بن عبدالله وتأليفاً لقلوب الخزرج لمكانة عبدالله بن أبي فيهم وقد نزع ربقة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من أعمال السيد الكريم صلى الله عليه وسلم وقد نهى الله رسوله بعد ذلك عن الصلاة على المنافقين فقال جل شأنه في سورة براءة (ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)

﴿ وفاة أم كلثوم ﴾

وفي هذه السنة توفيت أم كلثوم بنت رسول الله وزوج عثمان رضى الله عنهما

﴿ السنة العاشرة ﴾

(سرية)

في ربيع الآخر أرسل عليه السلام خالد بن الوليد في جمع لبنى عبد المدان بنجران من أرض اليمن وأمره ان يدعوهم الى الاسلام ثلاث مرات فان أبوا قاتلهم فلما قدم اليهم بعث الركبان في كل وجه يدعون الى الاسلام و يقولون أسلموا تسلموا فأسلموا

ودخلوا في دين الله أفواجا فأقام خالد بينهم يعلمهم الاسلام والقرآن وكتب الى رسول الله بذلك فأرسل اليه ان يقدم بوفدهم ففعل وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين

﴿ سرية ﴾

(وفي) رمضان أرسل عليه السلام علياً في جمع الى بني مذحج (قبيلة يمانية) وعممه بيده وقال (سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم الى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ولان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك) فلما انتهى اليهم لقى جموعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل فصف على أصحابه وأمرهم بالقتال فقاتلوا حتى هزموا عدوهم فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فأجابوا و بايعه رؤساؤهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ففعل ثم رجع الى رسول الله فوافاه بمكة في حجة الوداع

﴿ بعث العمال على اليمن ﴾

ثم بعث عليه السلام الى اليمن عمالا من قبله فبعث معاذ بن جبل

على الكورة العليا من جهة عدن(١) وبعث أباموسى الاشعري على الكورة السفلى ووصاهما عليه السلام بقوله (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) وقال لمعاذ (انك ستأتي قوماً أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فان أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فان أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب) وقد مكث معاذ باليمن حتى توفى رسول الله أما أبو موسى فقدم على الرسول عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع

﴿ حجة الوداع ﴾

وفي السنة العاشرة حج عليه السلام بالناس حجة ودع فيها المسلمين ولم يحج غيرها وخرج لها يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة وولى على المدينة أبا دُجانة الانصاري وكان مع الرسول جمع عظيم يبلغ تسعين ألفا وأحرم للحج حيث انبعثت به راحلته ثم لبي فقال (لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك) ولم يزل عليه السلام سائرا

(١) ثغر في جنوب اليمن

حتى دخل مكة ضحى من الثنية العليا وهي ثنية كداء ولما رأى البيت قال اللهم زده تشريفاً وتعظيما ومهابة وبرا ثم طاف بالبيت سبعاً واستلم الحجر الاسود وصلى ركعتين عندمقام ابراهيم ثم شرب من ماء زمزم ثم سعى بين الصفا والمروة سبعاً راكبا على راحلته وكان اذا صعد الصفا يقول لا اله الا الله الله اكبر لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي الثامن من ذي الحجة توجه الى منى فبات بها

﴿ خطبة الوداع ﴾

وفي التاسع منه توجه الي عرفة وهناك خطب خطبته الشريفة التي بين فيها الدين كله أسه وفرعه وهاك نصها (الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلاهادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته واستفتح بالذي هو خير (أما بعد) أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فاني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا في موقفي هذا (أيها الناس) ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد فمن

كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان ربا الجاهلية موضوع وان أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب وان دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية (والعمد) قود وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية (أيها الناس) ان الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم (أيها الناس) ان النسيء (١) زيادة في الكفر يضل

(١) كانت العرب تستعمل في حسابها الاشهر الهلالية وكانت الاعمال التي كلفوا بها من عهد ابراهيم واسماعيل كالحج وتحريم الاشهر الحرم مرتبة بهذه الشهور ولما رأوا أن سيرهم على هذه القاعدة مما يضر بمصالحهم التجارية اذ قد يجيء الحج في فصل لا يناسبه وقد تحل الاشهر الحرم في فصل لاتناسب تجارتهم فيه عمدوا الى السنة الهلالية فأضافوا على آخرها أياماً سموها أيام النسيء لتوافق السنة الشمسية حتى يكون كل عمل ثابتاً في الفصل الذي يناسبه وكانوا يجمعون هذه الايام حتى تستكمل شهرا فيضيفونها فنتج من ذلك ان بعض السنين تكون اثنى عشر شهراً وبعضها ثلاثة عشر فتارة يجيء الحج في شهره ذي الحجة وتارة في ذي القعدة وهكذا حتى يدور الدور فيأتي في ذي الحجة ثانيا فلما كانت حجة الوداع

به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ماحرم الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذوالقعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادي وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله أذن لكم أن تعضلوهن (٢) وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان لايملكن لانفسهن شيأ أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه الا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فاني

أمر عليه السلام بابطال هذه القاعدة كما أمره الله والسير على الاشهر الهلالية وكان الدور قد دار وجاء الحج في شهره ولذلك قال (ان الزمان قد استدار الخ)

(٢) العضل هو الحبس والتضييق

قد تركت فيكم ماان أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها النـاس) ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب (أيها الناس) ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصيته ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله) وفي هـذا اليوم امتن الله على المؤمنين بقوله في سورة المائدة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فلا غرابة أن اتخذه المسلمون عيداً او يوماً سعيداً يظهرون فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى (ثم) انه عليه السلام أدى مناسك الحج من رمى الجمار والنحر والحلق والطواف وبعد أن أقام بمكة عشرة أيام قفل الى المدينة ولما رآها كبر ثلاثاً وقال (لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده)

﴿ الوفود ﴾

في هذه السنة والتي قبلها كان وفود العرب الى رسول الله ليبايعوه على الاسلام وكانوا يقدمون أفواجا ولما في أخبار هذه الوفود من التعاليم الحميدة التي يحتاج ذو الادب أن يعرفها رأينا ان نذكر لك منها ما يزيدك يقيناً وينير بصيرتك فنقول

﴿ وفود نجران ﴾

(من) الوفود وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا دخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين بالذهب ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاؤا بها هدية للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل البسط وقبل المسوح ولما جاء وقت صلاتهم صلوا في المسجد مستقبلين بيت المقدس ولما أتموا صلاتهم دعاهم عليه السلام للاسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال عليه السلام يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم أن لله ولدا قالوا فمن مثل عيسى خلق من غير أب فأنزل الله في ذلك في سورة آل عمران وكذلك الآية بعدها (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وليظهر الله لهم أنهم في شك من أمرهم أنزل (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم

نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فدعاهم عليه السلام لذلك فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية وهي ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب مع كل حلة أوقية من ذهب ثم قالوا أرسل معنا أميناً فارسل لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وكان لذلك يسمي أمين هذه الامة

﴿ وفود ضمام بن ثعلبه ﴾

(ومن الوفود) ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله بين أصحابه متكئاً جاءه رجل من أهل البادية ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه مايقول فأناخ جمله في المسجد ثم قال أيكم ابن عبد المطلب فدلوه عليه فدنا منه وقال اني سائلك فمشدد عليه المسألة فلا تجد (١) على في نفسك فقال سل مابدالك فقال أنشدك بالله آلله أرسلك الى الناس كلهم فقال نعم فقال أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة قال اللهم نعم فقال أنشدك بالله آلله أمرك ان تأخذ من أموال اغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك ان نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم قال انشدك بالله آلله أمرك ان يحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال فاني قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة ولما ولى قال عليه السلام فقه الرجل ثم ذهب ضمام الى قومه

(١) أي لاتغضب

ودعاهم الاسلام وترك عبادة الاوثان فأسلموا كلهم

﴿ وفود عبد القيس ﴾

(ومن) الوفود عبد القيس وكان من خبرهم ان الرسول كان جالساً بين أصحابه يوماً فقال لهم سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد أنضوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فلما أتوا ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم رموا بأنفسهم عن الركائب بباب المسجد وتبادروا الى رسول الله يسلمون عليه وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي هونا حتي سلم على رسول الله وكان رجلا دميا ففطن لنظر الرسول الى دمامته فقال يارسول الله انه لا يستقي في مسوك (جلود) الرجال وانما الرجل بأصغريه قلبه ولسانه فقال عليه السلام ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة وقد قال عليه السلام لهذا الوفد (مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى) فقالوا يارسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة (١) وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر

(١) لان ديارهم كانت بساحل الخليج الفارسي وهي ديار ربيعة وبينهم وبين الحجاز أرض نجد

حرام فمرنا بأمر فصل فقال آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لااله الاالله وأن محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن الدباء (١) والحنتم (٢) والنقير (٣) والمزفت (٤) والمراد بذلك ماينبذ في هذه الاواني فقال الاشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه وأشار الى يده فأومأ عليه السلام بكفيه وقال يااشج ان رخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها حتى اذا ثمل أحدكم من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وانما خص عليه السلام نهيهم بما ذكر لكثرة الاشربة بينهم

﴿ وفود بني حنيفة ﴾

(ومن) الوفود بنو حنيفة وكان معهم مسيلمة الكذاب وكان مسيلمة يقول ان جعل لي الامر من بعده اتبعته فأقبل عليه السلام ومعه قيس بن شماس وفي يد رسول الله قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال ان سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها واني

(١) القرع (٢) هو جرار مدهونة بدهان أخضر (٣) هو أصل النخلة ينقر (٤) ماطلى بالزفت

لاراك الذي منه رأيت وكان عليه السلام قد رأى في منامه أن في يده سوارين من ذهب فأهمه شأنهما فأوحي الله اليه أن انفخهما فنفخهما فطارا فأولهما عليه السلام كذابين يخرجان من بعده فكان مسيلمة أحدهما والثاني طليحة العنسي صاحب صنعاء وقد أسلم بنو حنيفة

﴿ وفود طيئ ﴾

(ومن) الوفود وفد طيئ وفيهم زيد الخيل رئيسهم وقد قال عليه السلام في حقه ما ذكر لى رجل من العرب الا رأيته دون ماقيل فيه الا زيد الخيل وسماه عليه السلام زيد الخير

﴿ وفود كندة ﴾

(ومنهم) وفد كندة وفيهم الاشعب بن قيس وكان وجيهاً مطاعاً في قومه

ولما دخلوا على رسول الله خبؤا له شيئاً وقالوا أخبرنا عما خبأناه لك فقال سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والمتكهن في النار ثم قال ان الله بعثني بالحق وأنزل على كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا عليه السلام (والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق)

ثم سكت وسكن ودموعه تجري على لحيته فقالوا انا نراك تبكي أفمن مخافة من أرسلك تبكي قال ان خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيراً) ثم قال لهم عليه السلام ألم تسلموا قالوا بلى قال ما بال هذا الحرير في أعناقكم فعند ذلك شقوه وألقوه

﴿ وفود أزدشنوءة ﴾

(ومنهم) وفد أزدشنوءة ورئيسهم صرد بن عبد الله الازدى فأسلموا وأمره عليهم وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك

﴿ وفود رسول ملوك حمير ﴾

(ومنهم) وفد رسول ملوك حمير وهم الحرث بن عبد كلال والنعمان ومعافر وهمدان وكانوا قد أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ كتاب ملوك حمير ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث ابن عبد كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فانى أحمد الله

اليكم الذي لا اله الا هو أما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم فلقيناه بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبي أرسل الى زرعة بن سيف ذي يزن اذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم وأبلغوها رسلي وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضياً أما بعد فان محمداً يشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله ثم ان مالك بن كعب بن مرارة قد حدثني انك قد أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فابشر بخير وآمرك بحمير خيراً ولا تخونوا ولا تخاذلوا فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكاً قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

﴿ وفود همدان ﴾

(ومنهما) وفد همدان وفيهم مالك بن نمط وكان شاعراً

مجيدا فلقوا رسول الله مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات اليمنية والعمائم العدنية وقد أنشد مالك لرسول الله عليه السلام

حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره عليه السلام على من أسلم من قومه وقد قال الرسول في حق همدان نعم الحي همدان ماأسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد

﴿ وفود تجيب ﴾

(ومنها) وفد تجيب قبيلة من كندة وفد على رسول الله ثلاثة عشر رجلا منهم معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم عليه السلام وأكرم مثواهم وقالوا يارسول الله انا سقنا اليك حق الله في أموالنا فقال عليه السلام (ردوها فاقسموها على فقرائكم) فقالوا يارسول الله ماقدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا قال أبو بكر يارسول الله ماقدم علينا وفد من العرب مثل هذا فقال عليه السلام ان الهدى بيد الله فمن أراد به خيرا شرح صدره للايمان وجعلوا يسألونه عن القرآن فازداد عليه السلام رغبة فيهم ثم أرادوا

الرجوع الي أهليهم فقيل لهم مايعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ولقائنا اياه وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله فدعوه فأجازهم بأفضل ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه في رحالنا وهو أحدثنا سنا قال فأرسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام وقال يارسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حاجتهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك قال تسأل الله أن يغفرلي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه

﴿ وفود ثعلبة ﴾

(ومنها) وفد ثعلبة وفد على رسول الله أربعة منهم مقرين بالاسلام فسلموا عليه وقالوا يارسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا انك تقول لا اسلام لمن لاهجرة له فقال عليه السلام (حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم) ثم قال لهم كيف بلادكم فقالوا مخصبون فقال الحمد لله ثم أقاموا في في ضيافته أياما وحين أرادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس أواق من فضة

﴿ وفود بنى سعد بن هذيم ﴾

(ومنها) وفد بني سعد بن هذيم من قضاعة قال النعمان منهم قدمت على رسول الله وافدًا في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد وأزاح العرب والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فوجدنا رسول الله يصلي على جنازة في المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتي يصلي رسول الله ونبايعه ثم انصرف رسول الله فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بني سعد بن هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم قلنا يارسول الله ظننا ان ذلك لايجوز حتى نبايعك فقال عليه السلام أينما أسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا و بايعنا رسول الله بأيدينا ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث عليه السلام في طلبنا فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا يارسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال سيد القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له ثم أجازهم وانصرفوا

﴿ وفود بنى فزارة ﴾

(ومنها) وفد بني فزازه وفد على رسول الله جماعة منهم مقرين

بالاسلام وهم مسنتون فسألهم عليه السلام عن بلادهم فقال رجل منهم يارسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك يغثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال عليه السلام سبحان الله ويلك هذا أنا أشفع الى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لااله الا هو العلي العظيم وسع كرسيه السموات والارض فهي تئط (١) من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الحديث (أي من ثقل الحمل) ثم صعد عليه السلام المنبر ودعا الله عز وجل حتى أغاث بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير والرحمة التامة

﴿ وفود بني أسد ﴾

(ومنها) وفد بني أسد وفيهم ضرار بن الأزور وطليحة بن عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك فأسلموا وقالوا يارسول الله أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء ولم تبعث الينا فانزل الله في ذلك (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون في الجاهلية من العيافة (٢)

---

(١) أي تصوت

(٢) هي زجر الطير والتخرص على الغيب

والكهانة(١) وضرب الحصباء فنهاهم عن ذلك كله ثم سألوه عن ضرب الرمل فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه فذاك والا فلا ثم اقاموا أياماً يتعلمون الفرائض و بعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد أن أجيزوا

﴿ وفود بنى عذرة ﴾

(ومنها) وفد بنى عذرة ووفد بنى بليّ ووفد بنى مرة ووفد خولان وهي قبيلة باليمن وقد أمرهم عليه السلام بالوفاء بالعهد وأداء الامانة وحسن الجوار لمن جار وأن لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة

﴿ وفود بنى محارب ﴾

(ومنها) وفد بنى محارب وكانوا من الذين ردوا الرد القبيح حينما كان رسول الله بعكاظ يدعو القبائل الى الله فما أعظم منة الله الذي أتى بهؤلاء وكانوا ألد الاعداء مسلمين منقادين

﴿ وفود غسان ﴾

(ومنها) وفد غسان ووفد سلامان ووفد بنى عبس ووفد النخع وكان عليه السلام يقابل هذه الوفود بما جبله الله عليه من البشاشة وكرم الاخلاق ويجيزهم بما يرضيهم و يعلمهم الايمان

(١) هي الاخبار عن الكائنات في المستقبل

والشرائع ليعلموا من وراءهم وكانت هذه الوفود أعظم وصلة لاظهار الدين بين الاعراب في البوادي

﴿ وفاة ابراهيم بن النبى عليه السلام ﴾

(وفي) هذه السنة توفى ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ السنة الحادية عشر ﴾

﴿ سرية ﴾

لاربع بقين من صفر جهز عليه السلام جيشاً برياسة أسامة ابن زيد الى أبنى (١) حيث قتل زيد بن حارثة والد أسامة وقال له (سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحاً على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان ظفرك الله فأقل اللبث فيهم وخذ الادلاء وقدم العيون والطلائع معك) وكان مع أسامة في هذا الجيش كبار المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد ثم عقد عليه السلام لاسامة اللواء وقال له (أغر باسم الله في سبيل الله وقاتل من كفر بالله) وقد انتقد جماعة على تأمير أسامة وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره على جيش فيه كبار المهاجرين

(١) محل قريب من مؤتة

فأبلغ الرسول هذه المقالة فغضب غضباً شديداً وخرج فقال (أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله وايم الله ان كان لخليقاً بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها وان كان لمن أحب الناس الي وانهما لمظنة لكل خير فستوصوا به خيراً فانه من خياركم) ولم يتم لهذا الجيش الخروج في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم لان المرض بدأه فاختاره الله للرفيق الاعلى وسيرى القارئ ان شاء الله خروج هذا الجيش متمماً في كتابنا (اتمام الوفاء بسيرة الخلفاء)

﴿ مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ﴾

لما تم عليه الصلاة والسلام ما كلف به وأدى ما اؤتمن عليه وهدى الله به أمته اختاره الله للرفيق الاعلى فجلس على المنبر مرة وكان فيما قال (ان عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا و بين ما عنده فاختار ما عنده) فبكى أبو بكر وقال يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا فقال عليه السلام (ان أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الاسلام لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبي بكر) وقد بدأه عليه السلام مرضه في أوائل صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة في بيت ميمونة واستمر مريضاً ثلاثة عشر يوماً كان في خلالها

ينتقل الى بيوت أزواجه ولما اشتد عليه المرض استأذن منهن أن يمرض في بيت عائشة الصديقية فأذن له ولما دخل بيتها واشتد عليه وجعه قال هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد الى الناس فأجلس في مخضب وصب عليه الماء حتى أشار بيده أن قد فعلتن وكان هذا الماء لتخفيف حرارة الحمى التي كانت تصيب من يضع يده فوق ثوبه

﴿ صلاة أبي بكر بالناس ﴾

ولما تعذر عليه الخروج الى الصلاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فرضيه عليه السلام خليفة له في حياته ولما رأت الانصار اشتداد وجع الرسول أطافوا بالمسجد فدخل العباس وأعلمه بمكانهم واشفاقهم فخرج عليه السلام متوكئاً على علي والفضل وتقدم العباس أمامهم والنبي معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس في أسفل مرقاة المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فاخلد فيكم ألا اني لاحق بربي وانكم لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول (والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وان الامور تجري باذن

الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا واني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا فان موعدكم الحوض ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي) وبينا المسلمون في صلاة الفجر من يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول وأبو بكر يصلي لهم اذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف حجرة عائشة فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر رضى الله عنه على عقبه ليصل الصف وظن أن رسول الله يريد أن يخرج الى الصلاة وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله فأشار اليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر

﴿ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ولم تأت ضحوة هذا اليوم حتي فارق رسول الله صلى الله عليه

وسلم دنياه ولحق بمولاه وكان أبو بكر غائبا بالسنح وهي منازل بني الحارث بن الخزرج عند زوجه حبيبة بنت خارجة بن زيد فسل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله وقال انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله انى لارجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم فلما أقبل أبو بكر وأخبر الخبر دخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله فجثا يقبله ويبكي ويقول توفى والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يارسول الله ماأطيبك حيا وميتا بأبي أنت وأمى لا يجمع الله عليك موتين ثم خرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (ألا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت) وتلا قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) وقوله (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) قال عمر فكأنى لم أتل هذه الآية قط ثم مكث عليه الصلاة والسلام في بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الاربعاء حتى انتهى المسلمون من اقامة خليفة عليهم فغسل ودفن وكان الذي يغسله على بن أبي طالب ويساعده العباس وابناه الفضل وقثم وأسامة ابن زيد وشقران مولى رسول الله وكفن في ثلاثة أثواب ليس

فيها قميص ولا عمامة ولما فرغوا من تجهيزه وضع على سريره في بيته ودخل الناس عليه ارسالاً متتابعين يصلون عليه ولم يؤمهم أحد ثم حفر له لحد في حجرة عائشة حيث توفى وأنزله القبر علي والعباس وولداه الفضل وقثم ورش قبره بلال بالماء ورفع قبره عن الارض قدر شبر

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك للمسلمين ما ان اتبعوه لم يضرهم شيء كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وترك أصحابه البررة الكرام يوضحون الدين ويتممون فتح البلاد و يظهرون في الدنيا شمس الدين الاسلامى القويم حتى يتم الله كلمته ويحق وعده وقد فعل فنسأل الله أن يقدرنا على أداء شكره على هذه المنة العظمى والنعمة الكبرى

﴿ شمائله عليه السلام ﴾

منح الله سبحانه نبينا صلى الله عليه وسلم من كمالات الدنيا والآخرة مالم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده ولا بد أن نأتى لك في هذا الباب (١) بنبذة يسيرة من محاسن صفاته وأحاسن آدابه

(١) جل ماذكر في هذا الباب مختصر من كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله

لتكون لك نموذجاً تسير عليه حتى تكون على قدم نبيك عليه الصلاة والسلام فتستحق الحمد في الدنيا والذخر في الاخرى. فاعلم أرشدنى الله واياك وهدانا للصراط السوى أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري ودنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة ومكتسب دينى وهو مايحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى (فأما) الضرورى فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته عليه السلام من كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل وصحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والاعضاء واعتدال الحركات وشرف النسب وعزة القوم وكرم الارض ويلحق به ماتدعو ضرورة الحياة اليه من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه (وأما) المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والآداب من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة وأخواتها وهي التى يجمعها حسن الخلق فاذا نظرت رعاك الى خصال الكمال التى هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام حائزاً لجميعها محيطاً بشتات محاسنها (فأما) الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من

أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون (١) أدعج (٢) أنجل (٣) أشكل (٤) أهدب الاشفار (٥) أبلج (٦) أزج (٧) أقنى (٨) أفلج (٩) مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سوآء البطن عظيم الصدر عظيم المنكبين (١٠) ضخم العظام عبل (١١) العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف أنور المتجرّد دقيق المسربة (١٢) ربعة القد ليس بالطويل البائن (١٣) ولا القصير المتردد (١٤) ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطول الاطاله صلى الله عليه وسلم رَجل الشعر اذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئ كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقاً ليس بمطهم (١٥) ولا مكلثم (١٦) متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب

(١) نير اللون أوحسنه (٢) شديد سواد الحدقة مع سعة فيها (٣) واسع العين مع حسن (٤) في بياض عينيه حمرة (٥) كثير شعر حروف الاجفان (٦) مضيء الوجه مشرقه (٧) دقيق الحاجبين في طول (٨) مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها (٩) مفرج بين الثنايا والرباعيات (١٠) المنكب مجمع رأس العضد والكتف (١١) ضخم (١٢) المسربة شعر دقيق من الصدر الى البطن (١٣) مفرط الطول (١٤) المتناهي في القصر (١٥) المطهم البائن الكثير اللحم (١٦) المكلثم صغير الذقن

مارأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وفي حديث ابن أبى هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم

(وأما) نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع قال عليه السلام بنى الدين على النظافة وقال أنس ماشممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله وعن جابر أنه عليه السلام مسح خده قال فوجدت ليده برداً وريحاً كانما أخرجها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها. ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها وروى البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد الاعرف انه سلكه من طيبه

(وأما) وفور عقله صلى الله عليه وسلم وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان

أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاده من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وكان عليه السلام اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه وبذلك فسر قوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) وقالت عائشة كان عليه السلام يرى في الظلمة كما يرى في الضوء وكان يعد في الثريا أحد عشر نجما وجاءت الاخبار أنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وقال أبو هريرة مارأيت أحداً أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الارض تطوي له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته عليه السلام أن ضحكه كان تبسماً اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعاً كأنما ينحط من صبب

(وأما) فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان عليه السلام من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لايجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في

منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش ككلامه مع أقيال حضرموت وملوك اليمن وعظماء نجد بل يستعمل لكل قبيلة ما استحسنته من الالفاظ وما انتهجته من طرق البلاغة ليبين للناس مانزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون

(وأما) كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها مالايوازي فصاحة وبلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولاخير في صحبة من لايرى لك ماترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقوله أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان أحبكم الى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لايعنيه أو يبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله

حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور أوسطها وقوله أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم اني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح بها رغائبي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى غير ذلك مما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لاخلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز سبقاً لا يقدر قدره وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني وانما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة أخرى بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد جمع بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر (وأما) سرونسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم ونخبة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده وقد

قدمنا لك في أول الكتاب ما فيه الكفاية في هذا المقام

(وأما) ما تدعو اليه ضرورة الحياة فمنه ما الفضل في قلته ومنه ما الفضل في كثرته ومنه ما تختلف الاحوال فيه فالاول كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء قديماً تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما أن النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب الكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته وكان عليه السلام قد أخذ من الاكل والنوم بالاقل وحض عليه قال عليه السلام (ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب وقالت عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط وانه كان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب وفي صحيح الحديث (أما أنا فلا آكل متكئاً) والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه

من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ماتحته والجالس على
هذه الهيئة يستدعى الاكل و يستكثر منه والنبى عليه السلام انما كان
جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعياً و يقول انما أنا عبد آكل كما
يأكل العبد وكذلك نومه كان قليلا ومع ذلك فقد قال ان عينيّ
تنامان ولا ينام قلبى

(وأما) ما الفضل في كثرته فكالجاه وهو محمود عند العقلاء
عادة و بقدر جاهه عظمه في القلوب وقدقال تعالى في صفة عيسى
عليه السلام (وجيهاً في الدنيا والآخرة) وكان النبى عليه السلام
قد رزق الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية
و بعدها وهم يكذبونه و يؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسهم
خفية حتى اذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته كما ذكرنا لك
ذلك مرارا وقد كان يبهت و يفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن
قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال (يامسكينة عليك السكينة)
وفي حديث أبي مسعود ان رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له عليه
السلام (هون عليك فانى لست بملك)

(وأما) عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة
رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في
الآخرة سيد ولد آدم

(وأما) ماتختلف فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه
والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة
لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكنه في أغراضه والا فليس
فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقاً له في
مهماته ومهمات من قصده وأمله مصرفه في مواضعه مشتريا به
المعالى والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند
أهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبيل الخير وقصد
بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال
ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصاً على جمعه
عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد
السلامة بل أوقعه في وهدة رذيلة البخل ومذمة النذالة فالتمدح
بالمال ليس لذاته بل للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته
ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد
وأحلت له الغنائم وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع
جزيرة العرب وما داني ذلك من الشام والعراق وجلب اليه
كثير من أخماسها وجزيتها وصدقاتها وهاداه جماعة من ملوك
الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهماً بل صرفه
مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال (مايسرني أن لى

أحداً ذهباً يبيت عندي منه دينار الا ديناراً أرصده لديني)
وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم
يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه
مرهونة في نفقة عياله واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه على ماتدعو
ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ماوجده فيلبس في
الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره
أقبية الديباج المخصوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر فأنت
ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاز فضيلة المال بالزهد فيه
وانفاقه على مستحقيه

(وأما) الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب
الشريفة وهي المسماة بحسن الخلق فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى
الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى أثنى
الله تعالى عليه بذلك فقال (وانك لعلى خلق عظيم) قالت عائشة
كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام
(بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وقال أنس كان عليه السلام
أحسن الناس خلقاً وكانت له هذه الآداب الكريمة كما كانت
لاخوانه من الانبياء جبلة خلقوا عليها ثم يتمكن الامر لهم وتترادف

نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا
الغاية ويبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال
الشريفة دون نهاية ولا ممارسة وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الجبلية كثيرة ولكننا نذكر أصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه
عليه السلام بها ان شاء الله

(فأصل) فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها العقل الذي
منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة
الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس
ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب
الرذائل وقد بلغ عليه السلام منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر
سواه يعلم ذلك من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع
كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة
والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وأيامها
وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل
الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ أهلها
كلامه فيها قدوة واشاراته حجة كالطب والحساب والفرائض
والنسب وغير ذلك دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من
تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي أمي لا يعرف شيئاً من ذلك

حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وبحسب عقله كانت معارفه عليه السلام الى سائر ماعلمه الله وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى (وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)

(وأما) الحلم والاحتمال والعفو والقدرة والصبر على مايكرهه فمما أدب الله به نبيه فقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقد سأل عليه السلام جبريل عن تأويلها فقال يامحمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له (واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الامور) وقال وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) وقال (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) وقد تضافرت الاخبار على اتصافه عليه السلام بنهاية هذه الاوصاف فما من حليم الا عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة ونبينا لايزيد مع كثرة الايذاء الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلماً قالت عائشة رضى الله عنها ماخير عليه السلام في أمرين قط الا اختار أيسرهما مالم يكن اثماً فان كان اثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله ولما فعل به المشركون مافعلوا في أحد وطلب منه أن يدعو عليهم قال اللهم اغفر لقومى

فانهم لا يعلمون وحسبك في هذا الباب مافعله مع مشركى قريش الذين آذوه واستهزؤا به وأخرجوه من دياره هو وأصحابه ثم قاتلوه وحرضوا عليه غيرهم من مشركي العرب حتى تمالأ عليه جمعهم ثم لما فتح الله عليه مكة مازاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خير أخ كريم وابن أخ كريم فقال (اذهبوا فأنتم الطلقاء) وعن أنس كنت مع النبي عليه السلام وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابى بردائه جبذة شديدة حتي أثرت حاشية البرد في صفحة عنقه ثم قال يامحمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لاتحمل لي من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي مافعلت بي قال لا قال لم قال لانك لاتكافئ بالسيئة السيئة فضحك عليه السلام ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة فصلى الله تعالى عليه وأقر عينه باتباع المسلمين سنته

(وأما) الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان عليه السلام لايوازي في هذه الاخلاق الكريمة ولا يباري وصفه بهذا كل من

عرفه. قال جابر رضي الله عنه ماسئل عليه السلام عن شيء فقال لا وقال ابن عباس كان عليه السلام أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وقالت خديجة في صفته عليه السلام مخاطبة له انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وحسبك شاهدًا في هذا الباب مافعله مع هوازن من رد السبي اليها وما فعله يوم تقسيم السبى من اعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الاعطية وقد استوفينا ذلك في موضعه وحمل اليه عليه السلام تسعون ألفًا فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ماعندي شيء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله مالا تقدر عليه فكره ذلك عليه السلام فقال له رجل من الانصار يارسول الله أنفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم عليه السلام وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت والاخبار بجوده وكرمه عليه السلام كثيرة يكفي منها لتعليمك ماذكرناه

(وأما) الشجاعة والنجدة فكان عليه السلام منهما بالمكان الذى لايجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح . ومقبل لايدبر ولا يتزحزح. وما من شجاع الا أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه وحسبك مافعله

في حنين وأحد مما ذكرناه مستوفى قال ابن عمر مارأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليّ انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وقال أنس كان عليه السلام أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم عليه السلام راجعًا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عرى والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا

(وأما) الحياء والاغضاء فكان عليه السلام أشد الناس حياء وا كثرهم عن العورات اغضاء قال أبو سعيد الخدري كان عليه السلام أشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئًا عرفناه في وجهه وكان عليه السلام لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدًا بما يكرهه حياء وكرم نفس قالت عائشة كان عليه السلام اذا بلغه عن أحد مايكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا بل يقول مابال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهي عنه ولا يسمى فاعله وقالت رضي الله عنها لم يكن عليه السلام فاحشًا

ولا متفحشاً ولا سخاباً بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح

(وأما) حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فمما انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه كان عليه السلام أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة وكان عليه السلام يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لايحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الخلق سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لايشتهي ولا يؤيس منه قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وكان عليه السلام يجيب من دعاه

ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً ويكافئ عليها وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال أنس ماالتقم أحد أذن النبي يحادثه فنحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتي يرسلها الآخر وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم يرقط ماداً رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام وكا أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا مالم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب

(وأما) الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله بها في قوله (عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) روى ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال أأحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه وزاده شيئا ثم قال أأحسنت اليك قال نعم فجزاك

الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام انك قلت ماقلت وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء فان أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدى حتى يذهب مافي صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال عليه السلام ان هذا الاعرابي قال ماقال فزدناه فزعم انه رضي أ كذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتي جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ماقال فقتلتموه دخل النار وقال عليه السلام لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وكان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته وعن ابن مسعود كان عليه السلام يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا

(وأما) خلقه عليه السلام في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فروى عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي عليه السلام ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يافتى

لقد شققت علي أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك وكان اذا أتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة. وكان عليه السلام يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ووفد عليه وفد فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني أحب أن أكافئهم وفي حديث خديجة أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

(وأما) تواضعه عليه السلام على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعاً وأقلهم كبراً وحسبك أنه خير بين أن يكون نبياً ملكا أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً وخرج عليه السلام مرة على أصحابه متوكئاً على عصا فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضاً وقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حيثما انتهي به المجلس جلس وقال عليه السلام (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) وحج عليه السلام على رحل رث وعليه

قطيفة ماتساوى أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة. هذا وقد فتحت عليه الارض وأهدى في حجه هذا مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى. وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبى صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن زن وأرجح ثم قال فوثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله

(وأما) عدله عليه السلام وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان آمن الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وأعداؤه وكان يسمى قبل نبوته الامين وقد قدمنا ذلك في سيرته عليه السلام قبل النبوة. وفي الحديث عنه عليه السلام ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يوم الريح يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ويوم الشمس للحوائج ولكن نبينا عليه السلام جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول (أبلغوا حاجة من

لا يستطيع ابلاغي فان من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها أمنه الله يوم الفزع الاكبر) وكان عليه السلام لا يأخذ أحدا بذنب أحد ولا يصدق أحدا على أحد

(وأما) وقاره عليه السلام وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فكان عليه السلام أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه وكان اذا جلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه محتبيا وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجالسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير. وقال ابن أبي هالة كان سكوته عليه السلام على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر. وقالت عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ومن مروءته عليه السلام نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب (مواصل الاصابع من ظاهر الكف وباطنها)

(وأما) زهده عليه السلام فقد قدمنا لك فيه مافيه الكفاية وحسبك شاهداً على تقلله من الدنيا واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى أن توفى (١) عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو و يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وقالت عائشة رضي الله عنها ماشبع عليه السلام ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضي لسبيله وقالت ماترك عليه السلام ديناراً ولا درهماً ولاشاة ولا بعيرا ولقد مات ومافي بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال اني عرض عليّ أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك وقالت عائشة ان كنا آل محمد لنمكث شهراً مانستوقد ناراً ان هو الا التمر والماء وعن أنس ما أكل عليه السلام على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأي شاة سميطاً قط وفي حديث عائشة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدما حشوه

(١) قوله الى ان توفى كذا في نسخة من الشفاء وفي أخرى أن توفى بحذف الى وهو خبر قوله وحسبك والخبر على مافي الاولى محذوف فتأمل اه

ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحاً نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه ليلة بأربع فلما أصبح قال مافرشتموني الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطأته منعتنى الليلة صلاتى وقالت عائشة لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط ولم يبث شكوى الى أحد وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعاً يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي رحمة له مما أرى به وأمسح بيدى على بطنه مما أرى به من الجوع وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا مايقوتك فيقول ياعائشة مالي وللدنيا اخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ماهو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي ان ترفهت في معيشتي أن يقصر بى غدا دونهم وما من شيء أحب اليّ من اللحوق باخواني وأخلائي قالت فما أقام بعد الا أشهراً حتى توفى صلوات الله عليه وسلامه

(وأما) خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه ولذلك قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أري مالاترون وأسمع مالاتسمعون أطت (صوتت) السماء وحق لها ان تئط مافيها

موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش
ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لوددت انى شجرة
تعضد وكان عليه السلام يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال (أفلا أكون
عبدا شكورا) وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان
يصوم حتي نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وقال عوف
ابن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم
توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا
وقف فسأل ولا مر بآية عذاب الا وقف وتعوّذ ثم ركع فمكث
بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد
وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وقال
بعضهم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه
أزيز كأزيز المرجل وفي وصف ابن أبي هالة كان متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له راحة وعن علي رضي الله عنه قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال (المعرفة رأس مالي
والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي

والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى
غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي
والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وثمرة فؤادي
في ذكره وغمي لاجل أمتي وشوقي الى ربي) فجزاه الله من نبيّ
عن أمته خيرًا ورحم الله عبدا تأمل في هذه الشمائل الكريمة
والخصال الجميلة فتمسك بها واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليحوز شفاعته يوم الفزع الاكبر ويرضى الله عنه فنسألك اللهم
التوفيق لما فيه الخير بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين

﴿معجزاته عليه السلام﴾

اذا تأمل المتأمل ماقدمناه من جميل أثر هذا السيد الكريم
وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله
وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته
وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به كعبد الله بن سلام
فانه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه
فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب . وروى مسلم
ان ضمادا لما وفد عليه قال له صلى الله عليه وسلم (ان الحمد لله نحمده
ونستعينه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد
أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله)

فقال له ضماد أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك ولما بلغ ملك عمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال والله لقد دلني على هذا النبي الامى أنه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان أول تارك له وانه يغلب فلا يبطر و يغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبي وقال ابن رواحة

لولم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

كيف وقد أظهر الله على يده تصديقا لدعوته من المعجزات مالا يفي به العد فهو أكثر الانبياء آية وأظهرهم برهانا وسنذكر لك في هذا الفصل من الآيات ماتقر به عينك ويزداد به يقينك مما رواه الجم الغفير من الصحابة رضوان الله عليهم وأثبته المحدثون في صحاحهم ونبدأ منها بأظهرها شأنا وأوضحها بيانا وهو القرآن الشريف واعجازه (اعلم) أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة (أولها) حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه و بلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم. بما لم يخص به غيرهم من الامم. وأوتوا من ذرابة اللسان . مالم يؤت انسان . ومن فصل الخطاب.

ما يقيد الالباب. جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب و يدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب . ويرتجزون به بين الطعن والضرب . ويقدحون و يتوسلون و يتوصلون و يرفعون و يضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال . و يطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل. فيخدعون الالباب . و يذللون الصعاب . و يذهبون الاحن. و يهيجون الدمن . ويجرؤن الجبان. و يصيرون الناقص كاملا و يتركون النبيه خاملا . منهم البدوي ذو اللفظ الجزل . والقول الفصل . والكلام الفخم والطبع الجوهري . والمنزع القوي . ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة . والالفاظ الناصعة . والكلمات الجامعة . والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلاهما له في البلاغة الحجة البالغة . والقوة الدامغة . والقدح الفالج . والمهيج الناهج . لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم . والبلاغة ملك قيادهم . قد حووا فنونها . واستنبطوا عيونها. ودخلوا من كل باب من أبوابها . وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها . فقالوا في الخطير والمهين . وتفننوا في الغث والثمين . وتقاولوا في القل والكثر . وتساجلوا في النظم والنثر . فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته . وفصلت كلماته . وبهرت بلاغته العقول . وظهرت فصاحته على كل مقول . وتضافر ايجازه واعجازه . وتظاهرت حقيقته ومجازه . وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه . وحوت كل البيان مجامعه وبدائعه . واعتدل مع ايجازه حسن نظمه . وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه . وهم أفصح ما كانوا في هذا الباب مجالا . وأشهر في الخطابة رجالا . وأكثر في الشعر والسجع ارتجالا . وأوسع في الغريب واللغة مقالا . بلغتهم التي بها يتحاورون . ومنازعهم التي عنها يتناضلون . صارخا بها في كل حين . ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملأ أجمعين (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم أشد التوبيخ ويسفه أحلامهم . ويحط أعلامهم . ويشتت نظامهم . ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته . محجمون عن مماثلته يخادعون

أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغتراء بالافتراء وقولهم (ان هذا الا سحر يؤثر . وسحر مستمر . وافك افتراه . وأساطير الاولين) والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم (قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) والادعاء مع العجز كقولهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقد قال لهم (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخافهم كمسيلمة كشف عوراه لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم والا لم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين . وأتوا اليه مذعنين . وأنت اذا تأملت قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) وقوله (ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) وقوله (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقوله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) وقوله (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز ألفاظها وكثرة معانيها

وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها . وكثرت المقالات في المستنبطات عنها . ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها

(الوجه الثاني) من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها أو الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين

لفصاحتها وكلامها (الوجه الثالث) من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقوله عن الروم (وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين)وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) وقوله (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) فكان جميع هذا كما أخبر فغلبت الروم فارس ودخلت الناس في الدين أفواجا واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم في وقت من أقصى بلاد الاندلس غربا الى أقاصي الهند شرقا ومن بلاد الاناضول شمالا الى أقاصي السودان جنوبا وقوله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فكان كذلك الى الآن والحمد لله وقوله (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكان كذلك في بدر والآية نزلت بمكة وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فكان كذلك مما اطلع عليه قارئ هذه السيرة وما فيه من كشف سرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم كقوله (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) وقوله (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون

لك) وقوله (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) الى غير ذلك من الآيات البينات (الوجه الرابع) ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده عليه السلام على وجهه ويأتي به على نصه فيقر العالم بذلك على صحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه عليه السلام أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مجالسة لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وكثيرا ما كان يسأله كثير من أهل الكتاب عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً كقصص الانبياء وبدء الخلق وما في الكتب السابقة مما صدقه فيها العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها ولم يؤثر أن واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدي صحيحاً ولا سقيما من صحفه بعد ان قرعهم ووبخهم بقوله (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) ومما يدل على أن أهل الكتاب يعلمون صدقه ما تحداهم فيه الله بقوله (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم عدم اجابتهم بقوله (وان يتمنوه أبداً بما

قدمت أيديهم) فما سمع عن أحد منهم أنه تمنى ذلك ولو بلسانه مع انهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه ومثل ذلك ما فعله أهل نجران حينما دعاهم للمباهلة فأبوا وقد قدمنا ذلك في فصل وفودهم ومما يدل على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه اقبالا وتكسبه هشاشة كميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) ومن وجوه اعجاز القرآن كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وسائر معجزات الانبياء لم يبق الا خبرها والقرآن الى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضة ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعاند للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في

مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح. ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا زند شحيح . بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه . والنكوص على عقبيه . ولنختم لك هذا الباب بحديثه عليه السلام في القرآن قال (ان الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن حكم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب)

(ومن) معجزاته عليه السلام انشقاق القمر وقد قدمنا حديثه مستوفى

(ومن) معجزاته عليه السلام نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته وقد روي هذا الجم الغفير من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود قال أنس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى النبي صلى الله

عليه وسلم بوضوء فوضع في الاناء يده وأمر الناس أن يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا عن آخرهم فقيل كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وقال ابن مسعود بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وقال جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قيل كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة. وروى هذه القصة جمع عظيم من الصحابة ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا أسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه نفوسهم من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر عليهم أحد من الناس ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم

(ومما) يشبه هذا تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته كما ورد عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين

وهي تلمع بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه السلام فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقي الناس وفي رواية ابن اسحق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يامعاذ ان طالت بك حياة ان ترى ماهنا قد ملئ جنانا وقد قدمنا ذلك في غزوة تبوك. وروى عن البراء وسلمة بن الاكوع تكثير عين الحديبية بدعوته عليه السلام وروى أبو قتادة ان الناس شكوا الى رسول الله العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في صبنه (مابين الكشح الى الابط) ثم التقم فمها فالله أعلم أنفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل لي أنها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا. ورويت قصص مشابهة لهذه عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم في محال مختلفة بحيث لا يشك أحد في صدقها بعد تضافر الثقات على روايتها

(ومن) ذلك تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم روي طلحة أنه عليه السلام أطعم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت ابطه فأمر بها عليه السلام ففتتت وقال فيها ماشاء الله أن يقول. وروى جابر أنه عليه السلام أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر

فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان عليه السلام قد بصق في العجين والبرمة وبارك وروى أبو أيوب أنه صنع لرسول الله وأبي بكر طعاما يكفيهما فأطعم منه عليه السلام مئة وثمانين رجلا. وروى مثل ذلك كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن أبي بكر وسلمة بن الاكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وأنس بن مالك رضوان الله عليهم أجمعين

(ومن) معجزاته عليه السلام قصة حنين الجذع قال جابر بن عبدالله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان عليه السلام اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوه به وفي رواية المطلب وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال عليه السلام ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لولم ألتزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله فأمر به فدفن تحت المنبر وهذا الحديث خرجه أهل الصحة ورواه من الصحابة كثيرون ورواه عنهم من التابعين ضعفهم وبمن دون عدتهم يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب. والله المثبت على الصواب

(ومن) معجزاته عليه السلام ابراء المرضى وذوي العاهات فقد أصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها عليه السلام فكانت أحسن عينيه وأحدّهما وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح وأصاب ابن ملاعب الاسنة استسقاء فبعث الى النبي عليه السلام فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فاخذها يرى انه قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وتقدم حديث عليّ ورمده في غزوة خيبر وغير ذلك كثير مما يعجز قلمنا عن عده ورواه ثقات المسلمين الاعلام

(أما) مامنحه الله اياه من اجابة دعواته فروى عن أنس بن مالك قال قالت أمي أم سليم يارسول الله خادمك أنس ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال أنس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم نحو المائة ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فكان نصيب كل زوجة من زوجاته الاربع من تركته ثمانون الفا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها

(ودعا) لمعاوية بالتمكين في الارض فنال الخلافة ودعا لسعد

باجابة الدعوة فما دعا على أحد الا استجيب له وتقدم دعاؤه لعمر ابن الخطاب ان يعز الاسلام به وقال لابي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة ودعواته عليه السلام المستجابة أكثر من ان تحصى يطلع عليها قارئ سيرتنا هذه

(أما) ما أطلعه الله عليه من علم مالم يكن فما سارت به الركبان فمن حذيفة رضي الله عنه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الاحدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه وما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ماترك عليه السلام من قائد فتنة الى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته وقد خرج أهل الصحيح والائمة ما أعلم به أصحابه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لاتخاف الا الله وأن المدينة ستغزي وبفتح خيبر على يد علي في غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز

كسرى وقيصر وقد قدمنا كثيرا من ذلك في هذه السيرة وقدمنا مافي القرآن من ذلك وهذا يغنينا عن الاطالة في هذا المقام فحسبك ما سمعت

(ومما) ينير بصيرتك أيها القارئ مامن الله به على رسوله من عصمته له من الناس وكفايته من آذاه قال تعالى (والله يعصمك من الناس) وقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وقال (أليس الله بكاف عبده) وقال (انا كفيناك المستهزئين) ولما نزل (والله يعصمك من الناس) صرف حجابه وقال انصرفوا فقد عصمني الله وقد قدمنا حديث دعثور وارادته قتل النبي عليه الصلاة والسلام وعصمة الله لنبينا وذكرنا كثيرا مما حصل من أبي جهل لما أراد بالرسول المكايد فكفاه الله شره وما من الله به عليه ليلة الهجرة وحديث سراقة في الطريق وعلى الجملة فيكفينا من هذا الباب أنه عليه السلام مكث بين أعداء ألداء بمكة ثلاث عشرة سنة وبين مشابهيهم من المنافقين واليهود عشر سنين فما تمكن أحد من ايصال أذى اليه صلى الله عليه وسلم بل كفاه مولاه شر أعدائه حتى أظهر الدين وتممه والحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده ونسأله ان يوفق قارئي هذه السيرة الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأنصاره

﴿ تقريظ ﴾

قد اطلع على كتابنا هذا حضرة الكاتب الاديب والشاعر البليغ الشيخ عبد العزيز جاويش المدرس بالمدرسة الناصرية فقال مقرظا له

حمد الله تعالى حياطة آلائه . وشكره اجلال سيد انبيائه وما طويت صحائف الصدور على أحسن حديثا من كتاب الله القويم . ولا طرقت المسامع بأجمل من سيرة نبيه الكريم . ولقد أطنب بعض واضعي السير. وأتى من الاوضاع مالا يحتمله الخبر. ظنا منه ان الفرية تفيد من تكفل الحق تعالى باطرائه. واعلائه فوق سمائه. وقلما اسلم راوية من قيل عليل. أو من نسب من دعي دخيل ونبي بلغ شأو العلو. غني وربك عن الغلو. فما حاجة الاسد الى السلاح المدجج . أو الغانية الى اللباس المدبج . وما الغلو بناهض ولا جابر. ولا خاذل ولا ناصر . ان كان باريه هو يده التي يبطش بها وعينه التي يبصر بها خلقه فأحسن خلقه وأدبه فأحسن تأديبه ثم تولى حياطته وتقبل يوم الفزع شفاعته. ولا ريب ان ميدان السير كثر جواله فما جلى ولا صلى . ولكن جهد وتولى . وبحر الرواية كثر خائضه فما قطع ولا رجع وكثير من رواة العجم ذهبوا عباديد . وجاسوا خلال ديارهم عرابيد . حتى وطنوا العاقل على الريب من أنبائهم

وخدعوا الجاهل بصبغة طلائهم. وبديهي ان قصارى الشبع الكظة وأوشكت الشهامة ان تكون غلظة. وما زالت الاحقاب تدل على ذلك سياجها . وتغلق دون طالبه رتاجها. حتى قيض الله قيد أوابدها وماتح مواردها . حضرة الفاضل الشيخ محمد الخضري فقد خاض عبابها . واقتحم قفرها ويبابها . لم يلنه عن وجهته روع ولم تثنه عتمة ذلك السبيل حتى تنور (بنور اليقين) غيابة ذلك الجب . وتوكا على تكأة عناية الله في تذليل هذا الامر الصعب. ففل بشحوذ غراره كل حديد. وأجلب في تلك الملاحم حتى وهن عن كفاحه كل جليد . وسعى في أثر تلك الشوارد حتى شكر الله سعيه . واعتمد صحاح الاخبار وأنعم فيها رأيه. فتجلت بتنقيبه خفايا الحقائق حاسرة . ووجوه الدقائق ناضرة . ونقض بمعول فكره ما اصطنعته السحرة الاولون. والقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون وقد تصفحت كتابه الجليل . فذا هو خلو من الدعيّ والدخيل. جمع الى تحري الصدق صدق التحري. والى جزالة المعنى وجازة الالفاظ والى الافتنان في أساليبه سلاسة العبارة ومن عرف جامع شتاته ومبدع آياته وأبصر منه تلك الذلاقة والحذاقة والبراعة والبلاغة ركنت نفسه لما نسجته قريحته الوقادة . وفكرته النقادة . وفقه الله تعالى الى ما فيه خير العمل . وافسح له في رقعة الاجل . حتى يصون العلم

يبذله. ويمتع الناس بفضله آمين

ولما تم طبعه أرخه حضرة الفاضل الاديب الشيخ محمد حامد فقال

يامعشر الاسلام هذى سيرة * لبست بذكر محمد ثوب البها
لما بدت بالطبع قلت مؤرخا * بالسيرة النبوية الدين ازدهي

سنة ١٣١٥



﴿ فهرست كتاب نور اليقين . في سيرة سيد المرسلين ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفه

﴿ تم ﴾





ان اجمل قول نظمه لسان وخطه بنان حمد من قام على وحدانيته البرهان
في السر والاعلان والصلاة والسلام على انبيائه ذوي العرفان وبعد فانه لما
[...]ن هذا الكتاب (غاية الارب فى صناعات شعر العرب) طريقا سهلا لمن
يريد ان يسلك مسلك الشعراء وقد نفدت الطبعة الأولى منه وتوالت الطلبات
من كثيرين يريدون اقتناءه احببت أن اعيد طبعه اجابة لرغباتهم ولكن
لا يفوت حضرات الذن اقتنوه قبلا وكانوا في انتظار طبع جزئه الثاني ان
الحال وهي لا شيء سوى خلو اليدين وكساد سوق الادب حتمت على ان
اضيف الى الجزء الاول بعض اضافات خفيفة زادت في فائدته وان اجعله
كتابا مستقلا حتى يسمح الله تعالى بضم جزئه الثاني اليه

وليسمح لي جمهور الادباء ان استلفت انظار أولي الامر الى الحال الفوضوية
التى غدت فيها المطبوعات فقد رأيت جملة وريقات جرد فيها صاحبها من
كتابي هذا جدولا عاما للبحور بعين الطريقة التي اتممت عليها كتابي هذا
غير انه لم يذكر شيئا من التعاريف والامثلة الا النذر اليسير ولوأن حكومتنا
السنية حتمت على قلم المطبوعات المراقبه الشديدة على الكتب التي يريد اربابها
نشرها لما كان لمثل وريقاته سبيلا للانتشار بل ولا لغيرها من الكتب المشينة
بالآداب وما كان احد نظار المدارس الاميرية الف كتابا في تعليم البنات
لم يخرج فيه عن افكاري المحصورة في كتابي (البراهين البينات على وجوب
تعليم البنات) فانه رغما عن محاولته تغيير التعبير فان من يطلع على كتابي
المطبوع في سنة ١٣٠٩ وكتابه المطبوع في سنة ١٣١٦ لايشك في انه ناقل
[...]ني ولم يزد علي الا كونى وضعت كتابى لحث آباء البنات على تعليمهن وهو
جعله لمطالعتهن فيه وزاد عليه قسما سماه بالقسم العلمي تكلم فيه عن بعض
تعاليم في التطريز وغيره مما يكون ناقلا له عن بعض النسوة المتعلمات ومالدي

برهان اقوى من اطلاع الجمهور على الكتابين . واني لاشكره على عنايته بهذا الموضوع واحث غيره على العناية به لعلنا نتنبه الى وجوب تعليم بناتنا وتهذيبهن واسأل الله تعالى ان يوفقنا جميعا الى مافيه الفلاح بمنه وكرمه



حياتي لها حال الممات ختام * فليس لحال في الوجود تمام
ورسمي من بعدي سيبقى وانما * سيبدو لها بعد البقاء حمام

اهداء الكتاب

لصاحب الدولة والاقبال محب العلم والعلماء الامير الخطير والعلم الشهير « دولتلو افندم »

مصطفى رياض باشا

الافخم

كتابي الى علياك اسندته فما
سواك الى اهل المعارف بالسند
ولو انني خيرته في بني العلا
لما اختار يا مولاي غيركمو احد

عبدكم
محمد طلعت

كتاب
غاية الارب في صناعات شعر العرب

(تأليف)

العبد المفتقر الى الله تعالى
محمد طلعت
الكاتب بمديرية القليوبية ببنها (مصر)

الطبعة الثانية

(بمطبعة هنديه بغيط النوبي بدرب الجنينه بمصر)

سنة ١٣١٦
١٨٩٨

(تنبيه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة

نحمدك اللهم على عروض ضروب نعمك * فقد سلمت بحورها من التغيير الا بالمزيد * ونحن بها ناجون من خذل نقمك * باسطون الايدي شكرا كما ينبغي للعبيد * حمدا دائما نستمنحك بترادفه على اللسان * فضلا مجردا عن زحاف وعلة * ونستوهبك به الكامل والوافر من الثبات للجنان * ياموجود الا عن سلف وواحد الا من قله * فأنت الذي ارسلت محمداً بالحق * وأنزلت كتابا تاما يخلو عن الخذو والايطاء والدخيل * أعجز كل منطو على غير الصدق * وقابض على سبب الشرك من خفيف وثقيل * فصار بين الحق وغيره فاصلة كبرى * الزمهم الخروج من دائرة الجهل * الى بحبوحة بسيط هدايته رفعة وقدرا * فتجردوا من عيوبهم كما تجرد من الغمد النصل * نسألك صلاة على نوره الوافي * وسلاما يجري مجرى الشرف على علمه الكافي * وعلى آل بيته اوتاد الهدى * واصحابه الذين كف كفهم عن الدين العدا ﴿وبعد﴾ فاني لما رأيت مختلف طباع الاخوان * مؤتلفا على حب الشعر واخذهم منه بالميزان * وكنت لا أرى الا كتابا لا ينفع المبتدئين اختصاره * او مجموعا لا يفي بالغرض لغير المنتهين تطويله واستكثاره * عنّ لي وان كنت مقصورا على القصور * وليس لديّ من البضاعة ما يسام في منظوم او منثور * أن لا اضع رأسي على سناد وساده * بل أزود

بسريع الاجتهاد عن عينيّ الكرى * حتى أكون تبعا لتابع المؤلفين السادة بوضع كتاب * في فن الشعر المستطاب * غير مفتخر وان لاق به ان يباع بالنفيس ويشترى * ومازلت أداب حتى تم بفضله تعالى ماعنيت * بعد ان عاينت انواع المشاق وعانيت * (ليس من ترتيبه وتصنيفه بل من صروف الزمن وتعنيفه) وقد سمّيته ﴿بغاية الارب فى صناعات شعر العرب﴾

كتبت وما لى للتفاخر مقصد * كتابي ولم أسأل على نفعه أجرا
ولم ارج الا وجه ربي الذي له * صنوف كمالات اطعنا بها الامرا
وان يذكر الاحباب صنعي في غد * متى صرت في قبري عسى تنفع الذكرى

﴿الرد على من يقدح﴾

ما ابتدأت في تحريك اليراع الا وخالج فكري ما له القلب يراع من قادح يصوب نحوي نبال التنديد ويبدى الآراء في غير تسديد كأني اخطأت في الاقدام على الكتابه وكأنما قصرت على قلم ذاك القادح افواه الاصابه فاقدم وأحجم واحجم واقدم يبعثني على الاقدام كون نفخ القادح في غير ضرم ويلجئني الى الاحجام ما اعتاده الناس من القدم من مدح الاوائل وذم الاواخر وقولهم ما ترك الاول للآخر فلم يرتضوا ان يحلوا معاصرهم محله وعابوا على المعري قوله

واني وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

على انه صادق فيما ادعاه وعندنا من تآليفه ما يؤيد مدعاه ككتابه اللزوميات الذى لم ينسج على منواله احد في ماض او آت ولئن كان غير ذلك فمقام تلك القصيده يقضي اكثر من ذلك من الصفات البعيده وان هي الا مبالغات عليها في طريق الحماس يعتمد بعثته على أن قال ذلك البيت المنتقد كقوله قبل هذا البيت

يهم الليالي بعض ما انا مضمر * ويثقل رضوى دون ما انا حامل

﴿ وبعده بابيات ﴾

ولى منطق لم يرض لي كنه منزلي * على انني بين السماكين نازل

وقد قالوا (معاصرك محاصرك) يعنون بذلك فيما اظن كونه له فيما ألف بالمرصاد فهذا وذاك كل في تأليف معاصره يطعن ولكن في غير طائل ولده الحسد والعناد ولله در القائل

ولع الناس بامتداح القديم * وبذم الحديث غير الذميم

ليس الا لانهم حسدوا الحيّ فرقوا على العظام الرميم

وخصوصا الكثير من العصريين لايعد نفسه فى الطراز الاول الا ان يكون من المنتقدين كأنهم عملوا بهذا المثل المعرب (مغنى الحي لايطرب) وكأن من تصدى للتأليف عرض نفسه للتأنيب والتعنيف علاوة على ما في الباب مما يناله في طبع الكتاب وفي كلامهم من الف فقد استهدف اي جعل نفسه هدفا لرمي سهام الانتقاد في غير ما جدوى تفيد السداد وكان اللائق بهم ان يقولوا من الف فللفقر والافلاس بين الناس استهدف

فيا أيها القادح ليس في العنق لسيفك محز ويا أيها المادح قليل من نسماتك يصادف المهز على اني لست ممتطيا متن الافتخار لآتيه على ادباء الزمان ولا مدعيا شمم الاقتدار فأقول عند الامتحان ولكني لامحاله مقر بالعجز في كل حاله (وما ابرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء وفوق كل ذي علم عليم)

﴿ المقدمة ﴾

الانسان من البديهي المقرر للاذهان بهيمة مهملة لولا النطق والبيان باللسان فهو من حيث التغذية والنسل نبات لابد ان يمسي هشيما بعد زمان ومن حيث الحس والحركة فحيوان مجرد عن الفضل حكمه في ذلك حكم سائر الحيوان ومن حيث الهيكل فكصورة في جدار اوجماد تديره الايدي كيف دار وعليه فينبغى له ان يجني ما طاب من روض المعارف المستطاب فذلك

مظهر لحقيقة انسانيته مفيد لمنفعته في دنياه وآخرته والعلوم كثيره بحارها غزيره فمنها ما هو في الدرجة العليا نافع للدين والدنيا كالعلوم الشرعيه الاصلية منها والفرعيه اما منفعتها للدين فمن حيث دلالتها لجهة حضرة الاله على حق اليقين واما للدنيا فلأنها تريه كيف تكون المعامله مع نفسه وجنسه مما توجبه احوال هذه الدار العاجله ومنها ما هو نافع للدين فقط ككل ما تعلق بمعرفة الذات العلية وارتبط ومنها ما هو نافع للدنيا وحدها كالرياضيات والطبيعيات التي بين في غير هذا الكتاب حدها وكعلوم الادب الاثنى عشر التي سنتكلم على احدها وهو فن الشعر في هذا المختصر ومنها ما هو لا للدنيا ولا للدين بل للضرر والخسران المبين كعلم الكيميا التي استنزفت الاموال من خزائن اربابها وكثر في غير طائل عدد طلابها فكم افقرت وما اغنت حتى رآها العاقل كما قيل ولله در القائل

قد نكس الرأس اهل الكيميا خجلا * وقطروا ادمعا من بعد ما سهروا

ان طالعوا كتبا في العلم عندهمو * اضحوا ملوكا وان هم جربوا افتقروا

فكم اضاعوا الابيض والاصفر من المال على قتل العبد وصنوف المحال حتى غدا جمعهم بالفقر كسير في طلب كتلة الاكسير وكم نفخ في انبوبة غناهم الشيطان حتى صعدوا الزفرات بدل التصعيد في البهتان ولولا ان طول المقال يخرج بنا عن المقصود لذكرت كثيرا ممن حال بينه وبين ما له هذا الحال فصار نحس الطالع منكود

ولئن قيل ان الشعر ليس لقدره سعر فكيف تعده وقد مات في علوم الاحيا اقول ان الشعر ديوان العرب وهو الذي حفظ لهم الاخلاق والعوائد والنسب ولو كان الشعر مما يعاب لما اشتغل به علماء الآداب ولما كان في كل لسان على اختلاف مبانى اللغات شعر ذو اوزان وان احتج على انعدام الفائدة منه بقول الامام الشافعي رضى الله عنه

ولولا الشعر بالعلماء يزري * لكنت اليوم اشعر من لبيد

فلا يعتد به الا فيما عناه ذلك الامام من انه لو اشتغل به لمنعه عن توضيحه الحلال والحرام من امور دينيه هي لا شك اعلى وارفع واخلاق سنية سنيه هي في الحقيقة اغلى وانفع اما بعد الذي عناه ذلك الامام فهو لازم لكل متأدب وغير لائق به ان يكون عنه محتجب ولذا ترى لكل اديب شاعر ديوان يؤيد لنا ان الشعر لايزال يعتنى به في كل اوان ولا سيما زماننا الحاضر فقد راج فيه عكاظ الشعر بعد الكساد وان قل وجود الاجواد كالزمن الغابر ونضب ماء المودة والمروءة اوكاد فانه لايزال وصلة بين الادباء وديوانا يتمدح به الوزراء والامراء ولا يزال يستعطف برقائقه ويستمنح بمقاطيع دقائقه فلا تعدم الديار عظيما ولا حرا من الرجال كريما ولا يزال به يبث الوجد واله مفتون ليسترضي به المحبوب حيث يكون ولا يزال للغريب نفثة مصدور اذا ارسل عنان نجائبه نحو الديار وللكئيب ضربة موتور حيث تفرج عن حزنه تسلية الاشعار وكم ضبط به الشاعر فائدة مستفادة ونظم به علما فأجاده وبالجملة فهو علم في عداد العلوم معتبر وان قالوا انه لم ينفع فلا يضر فضلا عما يجب للعاقل من انه لا يستهين بشيء من العلوم فربما اخرجه حقيرها من المعاقل ومن الجزئيات يتكون الكل المعلوم هذا ومن العلماء من لم يقل الشعر ولكن ليس للعجز عن ان يقوله وانما اكتفى بالنثر متى عني شروح العلم ونقوله اوكان كابن المقفع فعن قول الشعر ترفع وكان من البلاغة في قلمه ولسانه ما لا يبلغه احد من اهل زمانه (قيل له لماذا لا تقول الشعر قال الذي ارضه لا يجيء والذي يجيء لا ارضاه) وليس كل من قال تضرب بشعره الامثال قال المفضل

يموت رديء الشعر من قبل ربه * وجيده يبقى وان مات قائله

وليس تعلم الفن وحده كافياً لنظم الشعر اذ لوكان ذلك لاشتغل اهل البسيطة بالنظم دون النثر ولكنما ذلك كله بالسجيه وليس قاصراً على ان يعرف المرء قافيته ورويه فمن قال الشعر لمجرد التعليم ولم يساعده على تهذيبه الذوق السليم

كان شعره متلوّا بلسان الهزء والسخرية في جميع الاندية العلمية والادبية فلا ينبغي للعاقل ان يعرض في سوق الادب قصيدة ما لم تكن في بابها هي الوحيدة الفريدة فقد قيل

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدّوه منك وساوساً تهذي بها

وقد قال آخر وهو الاشجعي

وانما الشعر لب المرء يعرضه * على الرواة وان كيسا وان حمقا
وان أصدق بيت انت قائله * بيت يقال اذا انشدته صدقا

وقلت انا في قصيدة لمقتضى الحال رداً على معارض تائية ابن الفارض رضي الله عنه

فأوصيك ان تنظم من الشعر قطعة * فتحذر لوم الغير في كل لفظة
وتجعلها تحكي الزلال سلاسة * وتنظمها تزري بكل خريدة
لانك لو أظهرت شعرك فاسداً * تكون عرضت العقل منك للومة

وقلت من شعري هذه الابيات في هذا الباب وان كانت لعدم فصاحتها لا تعد في الالباب مع ما يأتي منه في غيره لان المرء يفخر بابنه وبشعره واني لم اضع هذا المؤلف ليقال صنف وألف مع ما اقررت به فيما مضى من قلة البضاعه ولا سيما في هذه الصناعه واني ما اتيت فى هذا الكتاب بشيء اخترعته ولا عظيما من المعاني ابتكرته واني كالمعنى بقولهم (خذ من هنا وضع ههنا وقل مؤلفه انا) وهى الكلمة الصادقة على كل المؤلفين الا القليل كصاحب هذا الفن الجليل فانه يعد في المخترعين غير اني احسن التبويب وآتي للمبتدي بالسهل القريب بحيث انه وحده يهتدى اليه فلا حاجة له باستاذ نبيه الا غبياً غير نبيل فعلى ذهنه ليس كتابي بوكيل فاني بعد ان اسهب في شرح العباره واوضح في محل تجب فيه الاشاره اضع لها جدولا مختصراً في مؤداها يجمل ما حوته ويعطى معناها واورد عند كل وزن مثالا واقطع كل بيت بما يحسن

معه منالا ولم اجعل العروض والقافية قسمين وانما جعلتهما ممتزجين حتى لا يشق على المبتدي تناولهما ولا يصعب عليه تمييزهما وبعد ما آتي بالمفيد للمستفيد على نهج قريب المأخذ جديد أعقب ذلك بذكر التاريخ والتشطير والتطريز والتخميس والتشجير وكثير من الصناعيات التى منها جميع التآليف خاليات ثم اتكلم على الفنون ذوات الافنان كالدوبيت والزجل والمواليا المعتاد منها والاحمر والاخضر والواو وهذا أوان الشروع في المقصود فأقول مستعيناً بالفتاح العليم الملك المعبود

﴿ المبادي ﴾

ان المبادي عدها بعضهم عشرة ولكنها ترجع الى خمسة منها هى اسمه وتعريفه وواضعه وموضوعه وفائدته

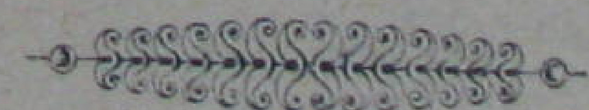
فـ(اسم) هذا الفن فن الشعر وانما سماه مؤلفه بالعروض لانه ألهم وضعه بالمحل المسمى بهذا الاسم الكائن بين مكة والطائف

و(تعريفه) انه معرفة اوزان الشعر الصحيحة ومتعلقاتها

و(واضعه) الخليل بن احمد الفراهيدي

و(موضوعه) الشعر العربي الذي نطق به فصحاء العرب غير المحدثين والمولدين

و(فوائده) كثيرة منها تمييز الشعر من غيره فيعلم ان القرآن وجميع الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل ليست شعراً والامن عليه من الكسر والفساد وسهولة حفظ المنظوم دون المنثور ولذا حفظ الشعر تواريخ العرب وانسابهم وعوائدهم وحتى ان كثيراً من العلماء اعتنى بنظم المتون في علوم وفنون شتى



﴿ جدول المبادي ﴾

نمرة	اسماء المبادي	﴿ تعريفات ﴾
١	اسم	فن الشعر او العروض والقوافي
٢	تعريف	فن معرفة اوزان الشعر الصحيحة ومتعلقاتها
٣	واضع	الخليل بن احمد الفراهيدي
٤	موضوع	الشعر العربي من حيث هو موزون باوزان مخصوصة
٥	فائدة	تمييز الشعر من غيره والامن عليه من الكسر والدخيل وسهولة حفظ المنظوم

باب

في التكلم على اوليات هذا الفن

﴿ تمهيد ﴾

كل حرف في اي كلمة لا يخلو من أن يكون متحركا او ساكناً فالمتحرك ما كان مرفوعاً او منصوبا او مجرورا والساكن كلما تجرد من هذه الحركات الثلاث مثال ذلك شعروا فالشين مفتوحة والعين مكسورة والراء مضمومة والواو ساكنة

ومن الحروف المتحركات والسواكن تتكون الاحرف المسماة باحرف التقطيع وهي عشرة مجموعة في قول القائل (لمعت سيوفنا) او (انس علم فتوى) فهي الالف النون والسين الخ

ومن احرف التقطيع المتقدمة هذه يتكون ما يقال له (اسباب) وما يقال له (اوتاد) وما يقال له (فواصل)



فصل

في الاسباب

كلما يتركب من متحرك يليه ساكن بغير فاصل بينهما مثل (من) او (عن) حرفي الجر او (نا) يقال له سبب خفيف وكلما يتركب من متحركين معا مثل (بك) المركبة من باء الجر وكاف الخطاب او (لي) المركبة من لام الجر وياء المتكلم المتحركة يقال له سبب ثقيل

في الاوتاد

تقدم ان كلما يتركب من متحرك يليه ساكن يسمى سبباً خفيفاً فان سبقهما حرف متحرك او فصل بينهما يكون الناتج وتداً مجموعا وذلك مثل (نا) السبب الخفيف اذا سبقها (هاء متحركة) تصير (هنا) وتدا مجموعا او فصل بين النون والالف حرف كالدال المتحركة صار الناتج (ندا) وهو وتد مجموع ايضا مثل (الى) و (على) حرفي الجر

وتقدم ان كلما يتركب من متحركين لا فاصل بينهما يسمى سببا ثقيلا فاذا فصل بينهما حرف ساكن كان الناتج وتدا مفروقا فالسبب الثقيل مثل لك اذا فصل بين حرفيه لام الجر وكاف الخطاب حرف كالالف فان الناتج يكون لاك بتحريك الكاف وهو وتد مفروق واذا أتى بعد السبب الخفيف ايضاً حرف متحرك كان الناتج وتدا مفروقا ايضا مثل (نا) السبب الخفيف اذا اتى بعده حرف متحرك مثل الميم كان الناتج (نام) وهو وتد مفروق مثل (عنك) و (فيك)

الفواصل

السبب الثقيل مثل (فر) المركب من متحركين اذا اتى بعده سبب خفيف مثل (حى) المركبة من حاء متحركة وياء ساكنة كان الناتج (فرحى) ويقال له فاصلة صغرى

والسبب الثقيل المتقدم وهو (فر) بحركتين اذا اتى بعده وتد مجموع مثل

(حكم) كان الناتج (فرحكم) وهو فاصلة كبرى

جدول الأسباب والاوتاد والفواصل

عدد	اسماء	تعاريف	مثال
١	سبب خفيف	ما تركب من متحرك بعده ساكن	من . عن
٢	سبب ثقيل	ما تركب من متحركين معا	بك . لك
٣	وتد مجموع	ما تركب من متحركين يليهما ساكن	الى . بكم
٤	وتد مفروق	ما تركب من متحركين بينهما ساكن	قام . عنك
٥	فاصلة صغرى	ماتركبت من ثلاث متحركات بعدها ساكن	كتبا
٦	فاصلة كبرى	ماتركب من اربع متحركات بعدها ساكن	كتبتا

التفاعيل

من الاسباب والاوتاد المتقدمة تنتج التفاعيل التى يقال لها الموازين أو الاجزاء وهي عشرة الاصول منها اربعة يتفرع عنها ستة فروع وذلك بان تقدم في كل تفعيلة السبب أو السببين على وتدها كما ستعرفه

فالاصل الاول (فعولن) المركب من وتد مجموع وهو (فعو) وسبب خفيف وهو (لن) اذا قدمت سببه على وتده يصير (لن فعو) على وزن (فاعلن) الذي اوله سبب خفيف وهو (فا) وثانيه وتد مجموع وهو (علن)

والاصل الثانى وهو (مفاعيلن) المركب من وتد مجموع وهو (مفا) وسببين خفيفين وهما (عى) (لن) اذا قدمت سببيه معا على وتده صار (عيلن مفا) على وزن (مستفعلن) الذي اوله سببان خفيفان وهما (مس تف) وثانيه وتد مجموع وهو (علن) واذا قدمت احد السببين وهو (عى) على الوتد وهو (مفا) صار (عى مفالن) على وزن (فاعلاتن) الذي اوله سبب خفيف وهو (فا) ثم وتد مجموع وهو (علا) ثم سبب خفيف وهو (تن)

﴿ والاصل الثالث ﴾ وهو (مفاعلتن) المركب من وتد مجموع وهو (مفا) وسبب ثقيـل وهو (عل) بحركتين وسبب خفيف وهو (تن) اذا قدمت سببيه وهما (علتن) بتحريك اللام على وتده وهو(مفا)يصير (علتن مفا) على وزن (متفـاعلن) الذي اوله سبب ثقيل وهو (مت) بحركتين ثم سبب خفيف وهو (فا) ثم وتد مجموع وهو (علن)

﴿ والاصل الرابع ﴾ وهو (فاع لاتن) المركب من وتد مفروق وسببين خفيفين اذا قدمت سببيه وهما (لاتن) على وتده المفروق وهو (فاع) صار (لاتن فاع) على وزن (مفعولات) الذي اوله سببان خفيفان وهما (مفـعو) وثانيه وتد مفروق وهو (لات) بضم التاء من غير تنوين واذا قدمت احد سببيه وهو (تن) على وتده المفروق وهو (فاع) وابقيت السبب الآخر في محله صار (تن فاع لا) على وزن (مس تفع لن) الذي اوله سبب خفيف وهو (مس) ثم وتد مفروق وهو (تفع) ثم سبب خفيف وهو (لن)

وبالجمله فهي قسمان (تفاعيل اصلية) وهي ماكانت مبدوءة بوتد مجموعا كان او مفروقا و (تفاعيل فرعية) وهي ماكانت مبدوءة بسبب خفيفا كان او ثقيلا وهي نوعان ايضاً فنها ما هو على خمسة احرف وهو الخماسي ومنها ماهو على سبعة احرف وهو السباعى فهي خماسية وسباعية

﴿ جدول التفاعيل ﴾

عدد	اصول	ما يتفرع عنها	ملحوظات
١	فعولن	فاعلن	فاعلن عكس فعولن
٢	مفاعيلن	مستفعلن ٠ فاعلاتن	مستفعلن عكس مفاعيلن
٣	مفاعلتن	متفاعلن	متفاعلن عكس مفاعلتن
٤	فاع لاتن	مفعولات مستفع لن	مفعولاتِ عكس فاع لاتن

باب

﴿ في الزحاف والعلة ﴾

التفاعيل المتقدمة في الجدول السابق هي اثناء حلولها في بحور الشعر التى سيأتي التكلم عليهـا معرضة لامور من التغييرات التي بعضها يسمى زحافا وبعضها يسمى علة وتلك التغييرات في التفعيلة تكون في بعض حروفهادون البعض الآخر وذلك اما بتغيير حال الحرف من حركه الى سكون واما بحذفه

﴿ فصـل ﴾

﴿ في الزحاف ﴾

كل تغيير يدخل ثواني الاسباب هو الزحاف بكسر الزاي وهذا التغييراما أن يكون في حرف واحد من التفعيلة مع سلامة باقي حروفها فيقال له زحاف بسيط اي مفرد واما أن يكون في حرفين منها فيقال له زحاف مركب اي مزدوج

﴿ في الزحاف البسيط ﴾

ثمانية أمور من التغييرات هى تغييرات مفردة اي في حرف واحـد من التفعيلة كما تقدم يقال لها زحاف بسيط وهي (الاضمار) و(الخبن) و(الطى) و(الوقص) و(العصب) و(القبض) و(العقل) و(الكـف)

فالاضمار هو اسكان ثانى التفعيلة المبدؤة بسبب ثقيل باذهاب حركته وحيث لا توجد تفعيلة اولهـا سبب ثقيل غير (متفاعلن) بتحريك التاء فلا يدخل غيرها وبه تصير (متفاعلن) ساكنة التاء على وزن مستفعلن

والخبن هو حذف ثاني كل تفعيلة مبدوءة بسبب خفيف وحيث ان الاربع تفاعيل الاصلية ليست مبدوءة الا باوتاد فلا يدخل الا التفـاعيل الفرعية بحذف ثانيها متى كان ساكناً اي ثاني سبب خفيف مثل حذف الالف من (فاعلن) فيصير (فعلن) بثلاث حركات بعدها ساكن وكحذف سين (مستفعلن)

فيصير (متفعلن) بسكون الفاء والنون وتحريك ماعداهما على وزن (مفاعلن) بسكون الالف والنون وكحذف الف (فاعلاتن) فيصير (فعلاتن) بسكون الالف والنون وكحذف فاء (مفعولات) فتصير (معولات) بسكون الواو والالف وتحريك ماعداهما على وزن (مفاعيل) بسكون الالف والياء وتحريك ما عداهما

والطيّ هو حذف رابع كل تفعيلة ان كان ساكناً وثاني سبب فحينئذ لايدخل الا كل تفعيلة مبدوءة بسببين خفيفين او مبدوءة بسبب ثقيل بعده سبب خفيف فيكون قاصراً على حذف رابع (مستفعلن) وهو الفاء فتصير (مستعلن) بسكون السين والنون وتحريك ماعداهما وعلى حذف رابع (متفاعلن) وهو الالف فتصير (متفعلن) بخمس متحركات بعدها نون ساكنة ولما كان لايحسن اجتماع ذلك في تفعيلة واحدة ولم يرد عن العرب فيشترط اسكان التاء بالاضمار المتقدم ذكره عند حذف رابعها بالطيّ فتصير (متفعلن) بسكون التاء والنون وتحريك ما عداهما وعلى حذف رابع (مفعولات) وهو الواو فتصير (مفعلات) بسكون الفاء والالف وتحريك ماعداهما على وزن (فاعلات) بسكون الالف الاولى والثانية

والوقص هو حذف ثاني كل تفعيلة مبدوءة بسبب ثقيل وهذا لا يكون الا في (متفاعلن) فتحذف تاءها فتصير (مفاعلن) بسكون الالف والنون وتحريك ماعداهما

والعصب هو اسكان خامس كل تفعيلة مبدوءة بوتد مجموع بعده سبب ثقيل حتى يكون خامسها متحركا وثاني سبب وعلى هذا فلا يكون الا في (مفاعلتن) فتسكن لامها فتصير (مفاعلتن) بسكون اللام على وزن (مفاعيلن) بسكون الالف والياء والنون وتحريك ما عداهما.

والقبض هو حذف خامس كل تفعيلة ان كان ساكناً وثاني سبب وذلك يكون في (فعولن) فيحذف خامسها وهو النون فتصير (فعول) بسكون الواو

وتحريك ماعداها ويكون في مفاعيلن فتحذف ياءها فتصير (مفاعلن) بسكون الالف والنون وتحريك ماعداهما ولا يدخل (فاع لاتن) التي اولها وتد مفروق وان كان خامسها في الحقيقة ساكناً وثاني سبب فانه لم يرد عن العرب وكذا لايدخل (فاعلاتن) التى طرفاها سببان خفيفان بينهما وتد مجموع لان خامسها ليس ثانى سبب

والعقل هو حذف خامس كل تفعيلة ان كان متحركا وثانى سبب وعلى هذا فلا يدخل الا في (مفاعلتن) فتحذف لامها فتصير (مفاعتن) بسكون الالف والنون وتحريك ما عداهما على وزن (مفاعلن)

والكف هو حذف سابع كل تفعيلة ان كان ساكنا وثانى سبب وحينئذ يكون في (مفاعيلن) المبدوءة بوتد مجموع بعده سببان خفيفان فيحذف سابعها وهو النون فتصير (مفاعيل) وفي (مستفع لن) التى طرفاها سببان خفيفان بينهما وتد مفروق فيحذف سابعها وهو النون ايضاً فتصير (مستفعل) وفي (فاعلاتن) التى لها وتد مجموع بين سببين خفيفين وفي (فاع لاتن) التى اولها وتد مفروق بعده سببان خفيفان فتصير الاولى (فاعلات) بسكون الالف الاولى والثانية وتحريك ماعداهما وتصير الثانية (فاع لات) بسكون الفيها وتحريك ما عداهما ايضا



﴿ جدول الزحاف البسيط ﴾

عدد	اسم	تعريف	تفاعيل يدخلها الانواع المقابلة	ما تصير اليه التفاعيل بعد دخول الزحاف فيها	ما يقابلها من التفاعيل المستعملة
١	الاضمار	اسكان الثاني متى كان متحركا وثاني سبب	متفاعلن بتحريك التاء	متفاعلن باسكان التاء	مستفعلن
٢	الخبن	حذف الثاني متى كان ساكنا وثاني سبب	١ مستفعلن ٢ فاعلن ٣ مفعولات ٤ فاعلاتن	١ متفعلن ٢ فعلن ٣ فعولات ٤ فعلات	١ مفاعلن ٢ —— ٣ فعولات ٤ ——
٣	الطى	حذف رابع التفعيلة متى كان ساكنا وثانى سبب	١ مستفعلن ٢ متفاعلن ٣ مفعولات	١ مستعلن ٢ متفعلن ٣ مفعلات	١ مفتعلن ٢ مفتعلن ٣ فاعلات
٤	الوقص	حذف ثاني التفعيلة متى كان متحركا وثانى سبب	متفاعلن	مفاعلن	———
٥	العصب	اسكان خامس التفعيلة متى كان متحركا وثانى سبب	مفاعلتن بتحريك اللام	مفاعلتن بسكون اللام	مفاعيلن
٦	القبض	حذف خامس التفعيلة متى كان ساكنا وثاني سبب	١ فعولن ٢ مفاعيلن	١ فعول ٢ مفاعلن	—— ——
٧	العقل	حذف خامس التفعيلة متى كان متحركا وثانى سبب	مفاعلتن	مفاعتن	مفاعلن
٨	الكف	حذف سابع التفعيلة متى كان ساكنا وثانى سبب	١ مستفع لن ٢ فاعلاتن ٣ فاع لاتن ٤ مفاعيلن	١ مستفعل ٢ فاعلات ٣ فاع لات ٤ مفاعيل	- - - - - - - - - - - -

﴿ الزحاف المركب ﴾

اربعة امور من التغييرات هي تغييرات مركبة اي تدخل في حرفين من التفعيلة وهي الخبل والخزل والنقص والشكل

فالخبل هو حذف حرفين ساكنين من تفعيلة بحيث يكون اولهما ثانيا فيها والآخر يكون رابعاً كحذف السين والفاء من (مستفعلن) فتصير (متعلن) باربع متحركات بعدها ساكن وكحذف الفاء والواو من (مفعولات) فتصير (معلات) بسكون الالف وتحريك ماعداها وهذا انما هو اجتماع زحافين مفردين احدهما الخبن وثانيهما الطي في تفعيلة

والخزل هو اسكان ثاني التفعيلة بعد ان يكون متحركا ثم حذف رابعها الساكن وذلك كاسكان التاء المتحركة وحذف الالف الساكنة من (متفاعلن) فتصير (متفعلن) بسكون التاء والنون وتحريك ماعداهما وهذا انما هو اجتماع زحافين مفردين احدهما الاضمار وثانيهما الطي في تفعيلة واحدة

والشكل هو حذف الثاني الساكن والسابع الساكن من تفعيلة واحدة كحذف الالف والنون من (فاعلاتن) فتصير (فعلات) بسكون الالف وتحريك ماعداها وكحذف السين والنون من (مستفع لن) التي فيها وتد مفروق وهو (تفع) محصور بين سببين خفيفين فتصير (متفع ل) بسكون الفاء وتحريك ماعداها وهذا انما هو اجتماع زحافين مفردين احدهما الخبن وثانيهما الكف في تفعيلة

والنقص هو اسكان خامس التفعيلة بعد ان يكون متحركا ثم حذف سابعها كاسكان اللام مع حذف النون من (مفاعلتن) فتصير (مفاعلت) بسكون الالف واللام وتحريك ماعداهما وهذا انما هو اجتماع زحافين مفردين احدهما العصب وثانيهما الكف في تفعيلة

(تنبيه) يلزم التفطن الى ان الزحاف المركب انما هو راجع لاجتماع زحافين مفردين مع بعضهما في تفعيلة فلا يكون الا في ثواني الاسباب والى ان الزحاف

بقسمية بسيطا كان او مركبا لايدخل الحرف الاول ولا الثالث ولا السادس من التفعيلة لانها لا تكون الا اول سبب او ثاني وتد وهو مخالف لشروط الزحاف وكذا الي انه اي الزحاف المذكور لايدخل الثاني من التفاعيل الاصول الاربعة حيث انها مبدوءة باوتاد

﴿ جدول الزحاف المركب ﴾

عدد الزحاف المركب	عدد ترتيبه في الجدول السابق	اجتماع زحافات مفردة في	زحافات مركبة ناتجة عن زحافات مفردة	التفاعيل التي يدخلها الزحاف المركب	ما تؤول اليه التفاعيل بعد دخول الزحاف المركب	ما يقابلها من التفاعيل المستعملة
١	٢	الخبن	خبل	١ مستفعلن	١ متعلن	١ فعلتن
	٣	الطى		٢ مفعولات	٢ معلات	٢ فعلات
٢	١	الاضمار	خزل	متفاعلن	متفعلن	مفتعلن
	٣	الطي		تحريك التاء	باسكان التاء	
٣	٢	الخبن	شكل	١ فاعلات	١ فعلات	«
	٨	الكف		٢ مستفعلن	٢ متع ل	«
٤	٥	العصب	نقص	مفاعلتن	مفاعلت	مفاعيل
	٨	الكف		تحريك اللام	باسكان اللام	

﴿ فصل ﴾

في العلة

﴿ تمهيد ﴾

فيما يلزم قبل التكلم على العلة

واضع هذا الفن وهو الخليل بن احمد لما اوضعه جعل بيت الشعر بكسر الشين

مقابلا لبيت الشعر بفتحها وهو الذي تسكنه العرب ولما كان مركبا من اسباب وهي الحبال التى تربط بها الاوتاد ومن فواصل وهي الحبال التى امام البيت وورائه لتمسكه من الريح ومن ادوات غير ذلك جعل لبيت الشعر اوتادا واسبابا وفواصل كما مر عليك وجعل له عروضا وضربا سيأتي ذكرهما

فالبيت من الشعر هو عدة كلمات ارتبطت ببعضها لمعنى مقصود على اوزان مخصوصة تقابلها حركة بحركة وسكونا بسكون كما ستعرفه عند ذكر التقطيع وملحقاته وكلمات البيت تنقسم الى قسمين كل منهما يسمى شطرا كقول الشاعر

اذ انت اعطتك المقادير حكمها * فاضيع شيء ما تقول العواذل

فالشطر الاول هومن ابتداء البيت الى قوله (حكمها) ويقال له صدر والشطر الثاني هو من قوله (فاضيع) الى آخر البيت ويقال له عجز

وآخر الصدر يقال له عروض وآخر العجز يقال له ضرب وما بين طرفي كل شطر يسمى حشوا وقد يقال لكل من الشطرين مصراع ايضاً

﴿ في العلة ﴾

العلة تغيير من جنس التغيير الذي سبق في قسمي الزحاف ولكنه مخالف له حيث لايدخل هذا الا في العروض والضرب واما الزحاف فيدخل في سائر تفاعيل البيت ثم ان التغيير بالزحاف يكون اما بنقص بعض الحروف او بخلوها من الحركة وانتقالها الى السكون كما سبق واما التغيير بالعلة فلا يكون الا بالزيادة او بالنقص فهى على هذا قسمان علل زيادة وعلل نقص

﴿ العلل التي تكون بالزيادة ﴾

علل الزيادة ثلاث هي الترفيل والتذييل والتسبيغ

فالترفيل الحاق سبب خفيف بآخر ما هو مختوم بوتد مجموع كزيادة سبب خفيف على (فاعلن) فتصير (فاعلاتن) وكزيادة سبب خفيف ايضاً على (متفاعلن) فتصير (متفاعلاتن)

والتذييل الحاق حرف ساكن بآخر ما هو مختوم بوتد مجموع بشرط ان يكون

آخر ذلك الوتد المجموع حرف لين كالالف غير المهموزة والواو والياء الساكنتين كزيادة حرف ساكن على آخر (مستفعلن) فتصير (مستفعلان) بسكون النون والتسبيغ الحاق حرف ساكن بآخر ما هو مختوم بسبب خفيف كزيادة حرف ساكن على آخر (فاعلاتن) فتصير (فاعلاتان) ويشترط ايضاً ان يكون قبل الحرف الساكن الذي يزاد حرف لين

﴿ جدول علل الزيادة ﴾

نمرة	أسماء	تعريفات		بعض التفاعيل التي تدخلها علل الزيادة		ما تؤول اليه التفاعيل بعد دخول علل الزيادة
١	الترفيل	زيادة سبب خفيف على ما آخر وتد مجموع	١ ٢	فاعلن متفاعلن	١ ٢	فاعلاتن متفاعلاتن
٢	التذييل	زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع	١ ٢ ٣	متفاعلن مستفعلن فاعلن	١ ٢ ٣	متفاعلان مستفعلان فاعلان
٣	التسبيغ	زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف	١	فاعلاتن	١	فاعلاتان

﴿ العلل التى تكون بالنقص ﴾

علل النقص تسع هي الحذف والقطف والقطع والقصر والبتر والحذذ والصلم والوقف والكشف

فالحذف هو انتقاص سبب خفيف من آخر العروض او الضرب مما يكون آخره سببا خفيفا او سببين خفيفين مثل حذف (لن) من مفاعيلن فتصير (مفاعى) على وزن (فعولن)

والقطف هو اجتماع الحذف مع العصب في تفعيلة العروض او الضرب اعنى انتقاص سبب خفيف من آخرها واسكان الحرف المتحرك السابق عليه بلا

فاصل بينهما كحذف (تن) السبب الخفيف من (مفاعلتن) مع تسكين اللام السابقة عليه فتصير (مفاعل) بتسكين الالف واللام وتحريك ماعداهما على وزن (فعولن)

والقطع هو حذف أحد الحرفين المتحركين من الوتد المجموع الكائن في آخر تفعيلة العروض أو الضرب مثل حذف اللام أو العين من (فاعلن) فتصير (فاعن) بسكون الالف والنون وتحريك ماعداهما او تصير (فاعل) باسكان الالف واللام وتحريك ماعداها ايضًا وهذا الاخير هو كحذف ساكن الوتد المجموع وهو النون واسكان سابقها وهو اللام بلا فرق

والقصر هو حذف الحرف المتحرك من السبب الخفيف وابقاء ساكنه من آخر تفعيلة العروض او الضرب مثل حذف التاء من السبب الخفيف وهو (تن) الكائن في آخر (فاعلاتن) فتصير فاعلان بسكون النون والالف وتحريك ماعداهما وهذا هو كحذف النون الساكنة من آخر فاعلاتن واسكان التاء السابقة عليها بلا فرق

والبتر هو اجتماع الحذف مع القطع في تفعيلة العروض او الضرب وذلك باسقاط سبب خفيف من آخرها واجراء القطع في الوتد المجموع السابق على السبب الخفيف المذكور كحذف (لن) وهو السبب الخفيف من آخر (فعولن) فتصير (فعو) بسكون الواو مع حذف هذه الواو من الوتد المجموع واسكان ماقبلها وهو العين فتصير (فع) بتحريك الفاء وسكون العين وهذا انما هو كحذف الوتد المجموع من فعولن وابقاء سببه وهو (لن) على وزن فع

والحذذ هو حذف وتد مجموع من آخر تفعيلة العروض او الضرب كحذف الوتد المجموع وهو (علن) من (متفاعلن) فيبقى (متفا) بسكون الالف وحدها على وزن (فعلن) بسكون النون وحدها ايضاً

والصلم هو حذف وتد مفروق من آخر تفعيلة العروض او الضرب مثل حذف الوتد المفروق وهو (لات) من آخر (مفعولات) فتصير (مفعو)

بسكون الفاء والواو على وزن (فعلان) بسكون العين والنون

والوقف هد اسكان آخر الوتد المفروق من آخر تفعيلة العروض اوالضرب مثل اسكان التاء من (مفعولات) بتحريك التاء فتصير (مفعولات) بسكونها مع سكون الفاء والواو

والكشف هو حذف آخر الوتد المفروق من آخر تفعيلة العروض اوالضرب مثل حذف التاء من (مفعولات) فتصير (مفعولا) على وزن (مفعولن) بسكون الفاء والواو والنون



﴿ جدول علل النقص ﴾

عدد	اسماء علل النقص	تعاريف	تفاعيل تدخلها علل النقص القابلة لها	ما تؤول اليه التفاعيل بعد دخول علل النقص فيها	ما يقابلها من التفاعيل المستعملة
١	الحذف	اسقاط سبب خفيف من آخر تفعيلة العروض أو الضرب	مفاعيلن	مفاعى	فعولن
٢	القطف: الحذف العصب	اسقاط سبب خفيف من آخر التفعيلة واسكان ما قبله	مفاعلتن بتحريك اللام	مفاعل بسكون اللام	فعولن
٣	القطع	حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله	١ متفاعلن ٢ فاعلن ٣ مستفعلن	١ متفاعل ٢ فاعل ٣ مستفعل	١ فعلاتن ٢ فعلن ٣ مفعولن
٤	القصر	حذف ساكن السبب الخفيف واسكان متحركه	١ فاعلاتن ٢ فعولن	١ فاعلات ٢ فعول	---- ----
٥	البتر: القطع الحذف	حذف سبب خفيف مع اجراء القطع على الوتد المجموع قبله	١ فعولن ٢ فاعلاتن	١ فع ٢ فاعل	لن فعلن
٦	الحذذ	هو حذف وتد مجموع من آخر التفعيلة	متفاعلن	متفا	فعلن
٧	الصلم	حذف وتد مفروق من آخر التفعيلة العروض او الضرب	مفعولات	مفعو	فعلن
٨	الوقف	اسكان آخر الوتد المفروق من آخر تفعيلة العروض او الضرب	مفعولات	مفعولات	----
٩	الكشف	حذف آخر الوتد المفروق من آخر تفعيلة العروض او الضرب	مفعولات	مفعولا	مفعولن

﴿ تنبيه ﴾

جميع العلل التي تجري مجرى الزحاف وكذا المعاقبة والمراقبة والمكانفة وكثير من المسامحات الشعرية التي جوزوا الاتيان بها اضربت عن ذكرها صفحا في هذا الكتاب وذلك لثلاثة امور

أولا لانها لم تقع في شعر العرب الا على النادر والنادر لاحكم له كما قيل

ثانيا لانها تبعث الخلط على المبتدي مع استغنائه عنها ولان ذلك لايطلبه الا المنتهى وقد ذكر في كتب كثيرة غير هذا فمن شاء فليطلبه فيها

ثالثا لانها تدل على عدم اقتدار مستعملها (مع ان وفرة مادة اللغة العربية واتساع دائرتها يبيح للشاعر انه اذا وجد كلمة لم توافق الميزان أتى بغيرها مما يؤدي معناها) عدا عن كونها تخدش وجه طلاوة الشعر الذي توجد فيه وقد صرفنا النظر ايضاً عن ذكر القاب الابيات الا القليل منها مما لامندوحة عنه فيما سيأتى

﴿ باب ﴾

﴿ في بحور الشعر ﴾

البحور جمع بحر وهو في اصطلاح علماء هذا الفن اجتماع جملة تفاعيل مع بعضها على طريق ميزان شعر العرب بحيث يجري عليها حركة بحركة وسكونا بسكون عند التقطيع

﴿ فصل ﴾

﴿ في التقطيع ﴾

تقطيع البيت هو تقسيم كلماته الى اجزاء كل واحد منها يكون مطابقا للتفعيلة المقابلة له في الميزان الشعري حرفا بحرف وحركة بحركة وسكونا بسكون كما سترى حتى يعرف من اي الابحر هو وينبغي ان يراعى في التقطيع جملة امور هي

أولا كل ما لايتلفظ به لايعتبر بشيء عند الوزن والتقطيع ولو كان مرسوما في الخط كالالف التى امام الواو في (قالوا) وكألف الوصل التى بين الميم واللام في (بسم الله) وكالواو التي امام (عمرو) وكالواو التى بين الالف واللام في اولئك

ثانياً كل ما يتلفظ به تجب مقابلته بحرف من الميزان وان لم يرسم في الخط كالف الرحمن التى بين الميم والنون وكالواو التى يلفظ بها بين الواو والدال في داود وكالالف التى يلفظ بها بين الهاء والذال في اسم الاشارة (هذا)

ثالثا ان يحتسب الحرف المشدد بحرفين اولهما ساكن وثانيهما متحرك كما يحتسب الحرف المنون بحرفين ايضا اولهما متحرك وثانيهما ساكن وذلك كما في قولك محمد فانك تكتبها هكذا (محممدن)

رابعاً ان تقابل الحركة من الشعر بالحركة من الميزان بصرف النظر عن ان تكون فتحة مقابلة كسرة وان يقابل السكون بالسكون مثال ذلك اذا اردت ان تعرف ميزان هذا البيت وهو

عن فضل ربى لا حرج * والصبر مفتاح الفرج

فانه يلزمك ان تجتهد في التمييز بين الاسباب الخفيف منها والثقيل والاوتاد المجموع منها والمفروق ثم تتفكر فترى ان هذا البيت مبدوء بحركة على العين ثم سكون على النون ومعلوم لك فيما تقدم ان ذلك يتولد عنه سبب خفيف وايضا الفاء والضاد من كلمة فضل يتولد عنهما بهذه المثابة سبب خفيف وان اللام من كلمة فضل والراء من كلمة ربى المتحركتين مع الباء الاولى الساكنة منها ايضا يتولد من مجموعها وتد مجموع كما تقدم لك ذلك ثم تتأمل للمجموع من اول العين الى الباء الاولى الساكنة من كلمة (ربى) فتعرف انه من حيث تركبه من سبعة احرف ملفوظ بها فهو في مقابلة تفعيله سباعية ومن حيث بدئه بسبب خفيف تعرف انها من تفاعيل الفروع ومن حيث تكونه من سببين خفيفين بعدهما وتد مجموع فهي (مستفعلن) وان اختلفت الحركات بينهما

وبين ما يقابلها من البيت وبهذه الكيفية مع التأمل ايضا ترى انه بجمع الباء الثانية المتحركة من الباء المشددة في كلمة (ربى) على الباء الساكنة منها ينتج عنهما سبب خفيف وكذلك من اجتماع اللام المتحركة والالف الساكنة في لفظ (لا) ينتج عنهما سبب خفيف ومن اجتماع الحاء والراء المتحركتين والجيم الساكنة من لفظ (حرج) ينتج وتد مجموع وكما تكلمنا على التفعيلة الاولى نجد ان المجموع من ابتداء الباء الثانية من لفظ (ربي) الى انتهاء جيم حرج هو مقابل (مستفعلن) حرفا بحرف وحركة بحركة وسكونا بسكون وكذلك المجموع من اول الشطر الثاني وهو الواو الى الفاء من كلمة (مفتاح) هو مقابل للتفعيلة(مستفعلن) ايضا لكن مع عدم احتساب الالف واللام لانه لا يلفظ بهما فلا يعتبران في الوزن مع احتساب الصاد بحرفين لكونها مشددة كما تقدم لك آنفاً وكذلك المجموع من اول التاء من لفظ مفتاح الى آخر البيت وهو جيم الفرج يقابل (مستفعلن) ايضاً وهلم جراً وحيث ان كل شطر تركب مما يقابل مستفعلن مرتين فهو من مجزوء الرجز الذي ستعرفه ويمكن ان تعتبر حروفه في مقابل (متفاعلن) التى دخلها احد انواع الزحاف المفرد وهو الاضمار فصارت ساكنة التاء على وزن (مستفعلن) مكررة مرتين في كل شطر وبهذا تعلم انه من مجزوء الكامل كما ستعرفه ايضاً ان شاء الله فاذا غيرت صورة الشطر الاول وابقيت الشطر الثانى على اصله فصار

عن النجاح لا حرج * والصبر مفتاح الفرج

ترى ان اجتماع العين والنون المتحركتين مع النون الاولى الساكنة من النون المشددة بعد اسقاط الالف واللام منها لعدم التلفظ بهما مع اجتماع النون الثانية المتحركة من تلك النون المشددة والجيم والالف هو مقابل (مستفعلن) التى تغيرت الى (متفعلن) على وزن (مفاعلن) لحذف سينها بدخول احد الزحافات المفردة عليها وهو الخبن وكذا المجتمع من حاء النجاح الى جيم لا حرج هو مقابل للتفعيلة المذكورة ومنه تعلم انه من بحر الرجز وستراه

مستوفي في مواضعه وانما اوردت لك هذا على سبيل التمثيل حتى تعرف كيف يكون التقطيع

﴿ عود الى البحور ﴾

والبحور عددها ستةعشر بحرا لا تخرج موازينها عن التفاعيل المتقدمة الا ان منها ماهو ناتج عن تكرار تفعيلة سباعية الحروف مع تفعيلة خماسية الحروف ومنها ماهو ناتج عن تكرار تفعيلة سباعية ومنهاماهو ناتج عن تكرار تفعيلة خماسية

﴿ في البحور ذات الموازين المتكونة من تكرار تفاعيل سباعية مع خماسية ﴾

الابحر ذات الموازين المتكونة من تفاعيل بعضها سباعية وبعضها خماسية ثلاثة هي الطويل والمديد والبسيط

﴿ البحر الاول الطويل ﴾

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار (فعولن مفاعيلن) مرتين في كل شطر ويدخل عروضه احد التغييرات المتقدمة فتكون على صورة واحدة وهى ان تكون مقبوضة اي يدخلها احد الزحافات المفردة وهو القبض الذي به (مفاعيلن) تصير (مفاعلن) ويكون ملازماً لها في كل ابيات هذا البحر وفي هذه الصورة يلزم ان يكون الضرب على احد ثلاث صور

﴿الاولى﴾ ان يكون صحيحا اعني سالماً من التغيير والبيت المقابل لهذا الوزن هو

جمعنا لكم هذا كتابا مهذبا * ونرجو قبولا فيه حسنى معادينا

فالعروض هي لفظ (مهذبا) والضرب هو لفظ (معادينا)

﴿ الثانية ﴾ ان يكون الضرب محذوفا اي يدخله احد علل النقص وهو الحذف وبه (مفاعيلن) تصير (مفاعى) على وزن (فعولن) فيكون الضرب (معادي) بدلا من لفظ (معادينا) ويشترط في صورة الضرب هذه ان يدخل القبض في فعولن التى قبله فتصير فعول كما ستراه عند تقطيع البيت في الجدول الآتى

﴿الثالثة﴾ ان يكون الضرب مماثلا لها اعني مقبوضا ايضا فيصير (معادنا) بدلا من (معادينا)

﴿جدول هذا البحر﴾

عدد الصور	صور الشطر الاول وتفاعيله	اسماء الاعاريض	صور الشطر الثاني وتفاعيله	اسماء الاضرب	اسماء القافية	الملحوظات
الاولى	جمعنا · لكم هذا · كتابا · مهذبا فعولن · مفاعيلن · فعولن · مفاعلن	مقبوضه	ونرجو · قبولا · فيه · حسنى · معادينا فعولن · مفاعيلن · فعولن · مفاعيلن	صحيح	متواتر	لا يحسن في هذا البحر غير دخول القبض في فعولن وهو لازم في فعولن التي قبل الضرب الثاني المحذوف في هذا الجدول وغيرما ذكر فهو معيب
الثانية	جمعنا · لكم هذا · كتابا · مهذبا فعولن · مفاعيلن · فعولن · مفاعلن	مقبوضه	ونرجو · قبولا فيه · حسن · معادي فعولن مفاعيلن · فعول · فعولن	محذوف	متواتر	
الثالثة	جمعنا · لكم هذا · كتابا · مهذبا فعولن · مفاعيلن · فعولن · مفاعلن	مقبوضه	ونرجو · قبولا فيه · حسنى · معادنا فعولن · مفاعيلن · فعولن · مفاعلن	مقبوض	متدارك	

والقافية هي من آخر كل بيت الى اول ساكن مع الحرف المتحرك الذي قبله وفي صورة الضرب الاول والثاني قافية البيت تسمى المتواتر وهي كل قافية فيها متحرك بين ساكنين وكل بيت آخره سبب خفيف بعد ساكن تكون هذه قافيته وفي صورة الضرب الثالث قافية البيت تسمى المتدارك وهي كل قافية فيها متحركان بين ساكنين وكل بيت آخره وتد مجموع بعد ساكن تكون هذه قافيته

﴿من العروض المقبوض والضرب السالم قافية المتواتر﴾

وروضة ورد حف بالسوسن الغض * تحلت بلون السام والذهب المحض
رايت بها بدراً على الارض ماشياً * ولم ار بدرا قط يمشي على الارض
الى مثله فلتصب ان كنت صابياً * فقد كاد منه البعض يصبو الى البعض
وكل ورد خديه ورمان صدره * بمص على مص وعض على عض
وقل للذي افنى الفؤاد بحبه * على انه يجزي المحبة بالبعض
ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر اهون من بعض

﴿العروض المقبوض والضرب المحذوف قافية المتواتر﴾

ايقتلني دائي وانت طبيبي * قريب وهل من لايرى بقريب
لئن خنت عهدي انني غير خائن * واي محب خان عهد حبيب
وساحبة فضل الذيول كأنها * قضيب من الريحان فوق كثيب
اذا مابدت من خدرها قال صاحبي * اطمعني وخذ من وصلها بنصيب
وماكل ذي لب بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

﴿العروض المقبوض والضرب المماثل لها قافية المتدارك﴾

وحاملة راحا على راحة اليد * موردة تسقى بلون مورد
متى ماترى الابريق للكاس راكعاً * تصلى له من غير طهر وتسجد
على ياسمين كاللجين ونرجس * كأقراط در في قضيب زبرجد
بتلك وهذي فاله ليلك كله * وعنها فسل لاتسأل الناس عن غد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

هنا ملحوظة يلزمك ان تعرفها وهي انك ترى العروضة في ابيات الضرب السالم وفي ابيات الضرب المحذوف مماثلة للضرب في كليهما بما ان العروض في هذا البحر لا تأتي الا مقبوضة وهذا انما هو لتصريع البيت اي لجعل عروضه موافقة لضربه في رويها وقد اعتادوا على ذلك في اوائل القصائد وبعد البيت الاول تعود الى اصلها كما رايت فاذا لم يكن البيت الاول مصرعا لزمت العلة في سائر عروض ابيات القصيدة

البحر الثاني المديد

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار فاعلاتن السباعى مع فاعلن الخماسي مرتين في كل شطر الا انه واجب جزؤه فيكون مركباً من (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) في كل شطر ويدخل عروضه بعض التغييرات المتقدمة فتأتي على ثلاث صور

الصورة الاولى ان تكون صحيحة اي سالمة من التغيير وفي هذه الحالة يكون ضربها مماثلا لها اي صحيحاً والبيت المقابل لهذا الوزن هو

قد رأيتم في الهوى عاذلينا * فاقصروا في حبه عاذلاتي

فالعروضة هي (عاذلينا) على وزن فاعلاتن والضرب هو (عاذلاتي) على وزنها ايضا

الصورة الثانية للعروضة ان تكون محذوفة اي دخلها احد علل النقص وهو الحذف الذى به (فاعلاتن) تصير (فاعلن) وفي هذه الحالة اما ان يكون الضرب مقصورا اي دخله احد علل النقص وهو القصر وذلك بنقل (عاذلاتى) الى (عاذلات) بسكون التاء

واما ان يكون الضرب مماثلا لها اي محذوفا ايضاً وذلك بنقل لفظ (عاذلينا) الى (عاذلي) و (عاذلاتى) الى (عاذلا)

واما ان يكون الضرب ابتر اي دخله احد علل النقص وهو البتر وذلك

بنقل (عاذلاتى) الى عاذل بسكون اللام

الصورة الثالثة للعروضة ان تكون محذوفة اي دخلها الحذف كما تقدم ومخبونة اي دخلها احد الزحافات المفردة وهو الخبن فتنقل (فاعلاتن) الى (فعلن) بتحريك العين فتكون العروضة هي بنقل (عاذلينا) الى (عذلا) بتحريك الذال وفي هذه الحالة اما ان يكون الضرب مماثلا لها اي محذوفاً مخبونا ويكون بنقل (عاذلاتي) الى (عذلا) بسكون الالف وتحريك ماعداها

واما ان يكون ابتر اي بنقل (عاذلاتي) الى (عاذل) بسكون اللام





جدول هذا البحر

عدد الصور	صور الشطر الاول وتفاعيله	اسماء الاعاريض	صور الشطر الثاني وتفاعيله	اسماء الأضرب	اسماء القافية	ملحوظات
الاولى	قد رأيتم . في الهوى . عاذليا فاعلاتن . فاعلن . فاعلاتن	صحيحة	فاقصروا في . حبه . عاذلاتي فاعلاتن . فاعلن . فاعلاتن	صحيح	متواتر	فاعلن في هـذا البحر لا يدخلها التغيير مطلقا بالاحسن والا فقد يدخلها الخبن وفاعلاتن الاولى في كل شطر يدخلها الخبن فتصير (فعلاتن) و (فاعلاتن) الاخيرة في كل شطر تؤول الى ما تر
الثانية	قد رأيتم . في الهوي . عاذلي فاعلاتن . فاعلن . فاعلن	محذوفة	فاقصروا في . حبه . عاذلات فاعلاتن . فاعلن . فاعلات	مقصور	مترادف	
الثالثة	قد رأيتم . في الهوى . عاذلي فاعلاتن . فاعلن . فاعلن	محذوفة	فاقصروا . في حبه . عاذلا فاعلاتن . فاعلن . فاعلن	محذوف	متدارك	
الرابعة	قد رأيتم . في الهوي عاذلي فاعلاتن . فاعلن . فاعلن	محذوفة	فاقصروا في . حبه . عاذل فاعلاتن . فاعلن . فعلن	أبتر	متواتر	
الخامسة	قد رأيتم . والهوى . عذلا فاعلاتن . فاعلن . فعلن	محذوفة مخبونة	فاقصروا في . حبه . عذلا فاعلاتن . فاعلن . فعلن	محذوف مخبون	متراكب	
السادسة	قد رأيتم . في الهوي . عذلا فاعلاتن . فاعلن . فعلن	محذوفة مخبونة	فاقصروا في . حبه . عاذل فاعلاتن . فاعلن . فعلن	أبتر	متواتر	

ففي صورة كل من الضرب الاول والرابع والسادس قافية البيت تسمى المتواتر وقد تقدم تعريفها في البحر الاول

وفي صورة الضرب الثاني قافية البيت تسمى المترادف وهي كل بيت التقى في آخره ساكنان

وفي صورة الضرب الثالث قافية البيت تسمى المتدارك وقد تقدم تعريفها

وفي صورة الضرب الخامس قافية البيت تسمى المتراكب وهي كل ثلاث متحركات بين ساكنين وكل بيت آخره فاصلة صغرى بعد ساكن تكون هذه قافيته

﴿ العروضة الاولى الصحيحة والضرب المماثل لها قافية المتواتر ﴾

يا كثير الهجر لا تنس وصلي * واشتغالي بك عن كل شغل
يا هلالا فوق جيد غزال * وقضيبا تحته دعص رمل
لا سلت عاذلتي عنه نفسي * اكثري في حبه او اقلي
شادن يزدهي بخد وجيد * مائس فاتن حسن ودل

﴿ العروضة الثانية المحذوفة والضرب المقصور قافية المترادف ﴾

يا وميض البرق بين الغمام * لا عليها بل عليك السلام
ان في الاحداق متصورة * وجهها يهتك ستر الظلام
تحسب الهجر حلالا لها * وترى الوصل عليها حرام
ما تأسيك لدار خلت * ولشعب شت بعد التئام
انما ذكرك ما قد مضى * ضلة مثل حديث المنام

﴿ الضرب المحذوف مع العروضة الثانية قافية المتدارك ﴾

عاتب ظلت له عاتبا * رب مطلوب غدا طالبا
من يتب عن حب معشوقه * لست عن حبي له تائبا
فالهوى لي قدر غالب * كيف اعصى القدر الغالبا
ساكن القصر ومن حله * اصبح القلب بكم ذاهبا

اعلموا اني لكم حافظ * شاهدا ما عشت او غائبا

﴿ الضرب الابتر مع العروضة الثانية قافية المتواتر ﴾

اي تفاح ورمان * يجتني من خوط ريحان
اي ورد فوق خد بدا * مستنيرا بين سوسان
وثن يعبد في روضة * صيغ من در ومرجان
من رأى الزلفاء في خلوة * لم ير الحد على الزاني
انما الزلفاء ياقوتة * اخرجت من كيس دهقان

﴿ العروضة الثالثة المحذوفة المخبونة مع الضرب المماثل لها قافية المتراكب ﴾

من محب شفه سقمه * وتلاشى لحمه ودمه
كاتب حنت صحيفته * وبكى من رحمة قلمه
يرفع الشكوى الى قمر * تجلي عن وجهه ظلمه
من لقرص الشمس جبهته * وللمع البرق مبتسمه
خل عقلي يا مسفهه * ان عقلي لست اتهمه
للفتى عقل يعيش به * حيثما قد ساقه قدمه

﴿ العروضة الثالثة مع الضرب الابتر قافية المتواتر ﴾

زادني لومك اضرارا * ان لي في الحب انصارا
طار قلبي من هوى رشا * لو دنا للقلب ما طارا
خذ بكفي لا امت غرقا * ان بحر الحب قد فارا
انضجت نار الهوى كبدي * ودموعي تطفئ النارا
رب نار بت ارمقها * تقضم الهندي والغارا

﴿ البحر الثالث البسيط ﴾

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار (مستفعلن فاعلن) مرتين في كل شطر ويدخل عروضه بعض التغييرات المتقدمة فتأتي علي ثلاث صور

الصورة الاولى ان تكون مخبونة اي دخلها احد الزحافات المفردة وهو الخبن الذى به (فاعلن) تصير (فعلن) بتحريك العين وفي هذه الحالة اما ان يكون الضرب مماثلا لها اي مخبونا والبيت المقابل لهذا الوزن هو

من هجركم تصطلى نار الهوى كبدي * مافي سوى وصلكم يحيي اخ وجدا

فالعروض هو (كبدى) بتحريك الباء والضرب (وجدا) بتحريك الجيم

واما ان يكون الضرب مقطوعا اي دخله احد علل النقص وهو القطع الذي به (فاعلن) تصير (فاعل) على وزن (فعلن) بسكون العين وذلك بنقل (وجدا) بتحريك الجيم الى وجد بسكون الجيم ويكون الشطر الثاني هو

(ما في سوى وصلكم يحيي اخو وجد)

الصورة الثانية ان تكون العروضة مجزوءة اي بحذف (فاعلن) الاخيرة من الشطر الاول صحيحة اي بسلامة (مستفعلن) من التغيير فيصير الشطر الاول (من هجركم تصطلى نار الهوى) وفي هذه الحالة اما ان يكون الضرب مجزوأ مذيلا فيكون هو لفظ (يحيي اخوك) بسكون الكاف بحذف لفظ (وجد) والاتيان بكاف الخطاب بدلا عنها

واما ان يكون مماثلا لها فيكون هو لفظ (يحيي اخ) بضمتين على الخاء

واما ان يكون الضرب مجزوأ مقطوعا اي (مستفعلن) تصير (مفعولن) ويكون هو لفظ (احياء) بضم الهمزة بدلا من لفظ (اخوك)

الصورة الثالثة ان تكون العروضة مجزوءة مقطوعة اي يدخلها القطع بعد ان كانت مجزوءة صحيحة فتكون هى لفظ (ضرام) بدلا من لفظ (نار الهوى) وفي هذه الحاله يكون الضرب مماثلا لها ويكون هو لفظ (احياء) او (حياء)

﴿ جدول هذا البحر ﴾

عدد الصور	صور الشطر الاول وتفاعيله	اسماء الاعاريض	صور الشطر الثاني وتفاعيله	اسماء الاضرب	اسماء القافية	ملحوظات
الاولى	من هجركم . تصطلي . نار الهوى . كبدي مستفعلن . فاعلن . مستفعلن . فعلن	مخبونة	مافي سوي . وصلكم . يحيي اخ . وجدا مستفعلن . فاعلن . مستفعلن . فعلن	مخبون	متراكب	مستفعلن الثانية من كل شطر في هذا البحر لابد ان تكون صحيحة لم يدخلها تغيير مطلقا ومستفعلن الاولى من كل شطر لا يدخلها غير الخبن والضربان الاخيران لا يدخل في تفعيلتيهما الطي (وفي العروض الاخيرة وضربها يقال للبيت مخلع البسيط)
الثانية	من هجركم . تصطلي . نار الهوى . كبدي مستفعلن . فاعلن . مستفعلن . فعلن	مخبونة	مافي سوي . وصلكم . يحيي اخو وجد مستفعلن . فاعلن . مستفعلن . فعلن	مقطوع	متواتر	
الثالثة	من هجركم . تصطلي . نار الهوى مستفعلن . فاعلن . مستفعلن	مجزوءة صحيحة	ما في سوي . وصلكم . يحيي أخوك مستفعلن . فاعلن . مستفعلان	مجزوء مذيل	مترادف	
الرابعة	من هجركم . تصطلي . نار الهوى مستفعلن . فاعلن . مستفعلن	مجزوءة صحيحة	مافي سوي . وصلكم . يحيي أخ مستفعلن . فاعلن . مستفعلن	مجزوء صحيح	متدارك	
الخامسة	من هجركم . تصطلي . نار الهوي مستفعلن . فاعلن . مستفعلن	مجزوءة صحيحة	مافي سوي . وصلكم . احياء مستفعلن . فاعلن . مفعولن	مجزوء مقطوع	متواتر	
السادسة	من هجركم . يصطلي . ضرام مستفعلن . فاعلن . فعولن	مجزوءة مقطوعة	ما في سوي . وصلكم . حياء مستفعلن . فاعلن . فعولن	مجزوء مقطوع	متواتر	

جميع قوافي هذا البحر تقدم تعريفها في البحرين السابقين الاول والثاني

❁ العروضة المخبونة مع الضرب المخبون قافية المتراكب ❁

بين الاهلة بدر ماله فلك * قلبي له سلم والوجه مشترك
اذا بدا انتهبت عيني محاسنه * وذل قلبي لعينيه فينهتك
ابتعت بالدين والدنيا مودته * فخانني فعلي من يرجع الدرك
كفوا بني حارث ألحاظ ربعكمو * فكلها لفؤادي كله شرك
ياحار لا ارمين منكم بداهية * لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

❁ العروضة المخبونة مع الضرب المقطوع قافية المتواتر ❁

يا ليلة ليس في ظلمائها نور * الا وجوها تضاهيها الدنانير
حور سقتني كأس الموت اعينها * ماذا سقتنيه تلك الاعين الحور
اذا ابتسمن فدرّ الثغر منتظم * وان نطقن فدرّ اللفظ منثور
خل الصبا عنك واختم بالنهي عملا * فان خاتمة الاعمال تكفير
والخير والشر مقرونان في قرن * فالخير متبع والشرّ محذور

❁ العروضة المجزوءة مع الضرب المجزوء المذيل قافية المترادف ❁

ياطالبا في الهوى ما لا ينال * وسائلا لم يعف ذل السؤال
ولت ليالي الصبا محمودة * لو أنها رجعت تلك الليال
أعقبتها لاتي واصلتها * بالهجر لما رأيت شيب القذال
لا تلتمس وصلة من مخالف * ولا تكن طالبا ما لا ينال
يا صاح قد اخلفت اسماء ما * كانت تمنيك بحسن الوصال

❁ العروضة المجزوءة مع الضرب المقطوع الممنوع من الطيّ قافية المتواتر ❁

يامن دمى دونه مسفوك * وكل حرّ له مملوك
كأنه فضة مسبوكة * او ذهب خالص مسبوك
ما أطيب العيش الا أنه * عن عاجل كله متروك
والخير مسدودة أبوابه * ولا طريق له مسلوك

﴿ العروضة المجزوءة المقطوعة مع الضرب المماثل لها قافية المتواتر وهو المخلع ﴾

كآبة الذل في كتابي * ونخوة العز في جوابي
قتلت نفسا بغير نفس * فكيف تنجو من العذاب
خلقت من بهجة وطيب * اذ خلق الناس من تراب
ولت حميا الشباب عني * فلهف نفسي على الشباب
اصبحت والشيب قدعلاني * يدعو حثيثا الى الخضاب

﴿ في الابحر ذات التفاعيل السباعية ﴾

الابحر ذات التفاعيل السباعية احد عشر هي الوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث

﴿ البحر الاول الوافر ﴾

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار (مفاعلتن) ثلاث مرات في كل شطر ويدخل عروضه بعض التغييرات المتقدمة فتأتى على صورتين

الصورة الاولى ان تكون العروضة مقطوفة اى دخلها احد علل النقص وهو القطف الذي به (متفاعلتن) تصير (مفاعل) على وزن (فعولن) وفي هذه الحالة يلزم ان يكون الضرب مماثلا لها والبيت المقابل لهذا الوزن هو

تلاحظنى وتهجرنى دلالا * وأسألها مواصلتى فتأبى

فالعروض هي (دلالا) والضرب (فتأبى)

والصورة الثانية للعروضة ان يكون الشطر الاول محذوفا ثلثه اي تفعيلة واحدة فيكون مركبا من تكرار (مفاعلتن) مرتين ويقال للعروضة حينئذ مجزوءة صحيحة اي لم يدخلها تغيير وفى هذه الحالة يلزم ان يكون الضرب اما مماثلا لها فيقال له مجزوء صحيح أيضا وذلك بان يحذف من الشطر الاول لفظ (دلالا) ومن الشطر الثاني (فتأبى) فتكون العروضة (فتهجرنى) والضرب (مواصلتى) واما ان يكون الضرب مجزوأ معصوبا أي دخله احد الزحافات البسيطة وهو العصب وذلك بان تضع لفظ (توافينى) بدلا من لفظ (مواصلتى)

﴿ جدول هذا البحر ﴾

عدد الصور	صورة الشطر الاول وتفاعيله	اسماء الاعاريض	صور الشطر الثاني وتفاعيله	اسماء الاضرب	اسماء القافية	ملحوظات
الاولى	تلاحظني . وتهجرنى . دلالا مفاعلتن . مفاعلتن . فعولن	مقطوفة	واسألها . مواصلتي فتابى مفاعلتن . مفاعلتن . فعولن	مقطوف	المتواتر	كثيرا مايدخل العصب مفاعيلن فى هذا البحر وتمنع عروضه المجزوءة من العقل
الثانية	تلاحظني . وتهجرنى مفاعلتن . مفاعلتن	مجزوءة صحيحة	واسألها . مواصلتي مفاعلتن . مفاعلتن	مجزوء صحيح	المتراكب	
الثالثة	تلاحظني . وتهجرنى مفاعلتن . مفاعلتن	مجزوءة صحيحة	واسألها . توافيني مفاعلتن . مفاعيلن	مجزوء معصوب	المتواتر	

وفي صورة الضرب الاول والثالث قافية البيت تسمى المتواتر وفي صورة الضرب الثالث تسمى المتراكب وقد تقدم تعريفهما في البحرين الاول والثاني

﴿ العروضة المقطوفة مع الضرب المقطوف المماثل لها قافية المتواتر ﴾

تجافي النوم بعدك عن جفوني * ولكن ليس يجفوها الدموع
يذكرني تبسمك الاقاحي * ويحكى لى توردك الربيع
يطير اليك من شوق فؤادي * ولكن ليس تتركه الضلوع
كأن الشمس لما غبت عنها * فليس لها على الدنيا طلوع
فمالي عن تذكرك امتناع * ودون لقائك الحصن المنيع
اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

﴿ العروضة المجزوءة الصحيحة مع الضرب المجزوء الصحيح أيضاً قافية المتراكب ﴾

غزال زانه الحور * وساعد طرفه القدر
يريك اذا بدا وجها * حكاه الشمس والقمر
براه الله من نور * فلا جن ولا بشر
فذاك الهم لا طلل * وقفت عليه تعتبر
أهاجك منزل اقوى * وغير آيه الغير

﴿ العروضة المجزوءة الصحيحة مع الضرب المجزوء المعصوب قافية المتواتر ﴾

وبدر غير ممحوق * من العقيان مخلوق
اذا أسقيت فضلته * مزجت بريقه ريقي
فيالك عاشقا يسقى * بقية كأس معشوق
بكيت لنأيه عنى * ولا ابكى بتشهيق
لمنزلة بها الافلا * ك امثال المهاريق

﴿ البحث الثاني الكامل ﴾

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار (متفاعلن) ثلاث مرات في كل شطر

ويدخل عروضه بعض التغييرات المتقدمة فيكون لها ثلاث صور

الصورة الاولى للعروضة ان تكون صحيحة أي لم يدخلها علة وفي هذه الحالة يلزم ان يكون الضرب على احد ثلاث صور أيضا

فاما ان يكون مماثلا لها فيكون العروض كالضرب والشطر الاول كالثاني والبيت المقابل لهذا الوزن هو

جمعت له رتب العلا وسمت به * فرأيت في فرجي وفا وصفاليا

فالعروض هي (وسمت به) والضرب هو (وصفاليا) وهي الصورة الاولى لضرب العروضة الاولى

واما ان يكون مقطوعا أي دخله احد علل النقص وهو القطع الذي به (متفاعلن) تصير (متفاعل) بسكون اللام فيكون بنقل (وصفاليا) الى (وصفالي) وهي الصورة الثانية لضرب العروضة الاولى

واما أن يكون احذ مضمرا اي دخله احد علل النقص وهو الحذذ واحد الزحافات المفردة وهو الاضمار اللذين بهما (متفاعلن) تصير (متفا) بسكون التاء والالف فيكون بنقل (وصفالي) الى وصفا بسكون الصاد والالف وهي الصورة الثالثة لضرب العروضة الاولى

الصورة الثانية للعروضة أن تكون حذاء اي دخلها احد علل النقص وهو الحذذ الذي به (متفاعلن) تصير (متفا) على وزن (فعلن) بسكون النون وتحريك ماعداها فتكون العروضة هي (وسمت) بعد حذف لفظ (بكم) وفي هذه الحال يكون الضرب على احد صورتين

فاما أن يكون مماثلا لها ويصير (وصفا) بتحريك الصاد وهى الصورة الاولى لضرب العروضة الثانية

واما أن يكون احذ مضمرا فيصير (وصفا) بسكون الصاد (كما في الصورة الثالثة لضرب العروضة الاولى) وهذه هي الصورة الثانية لضرب العروضة الثانية

الصورة الثالثة للعروضة ان تكون مجزوءة صحيحة فيكون الشطر الاول

مركبا من تكرار (متفاعلن) مرتين بمعنى ان العروضة تكون هي (رتب العلا) وفي هذه الحال يأتى الضرب على احد ثلاث صور

فاما ان يكون مماثلا لها ويصير هو لفظ (فرحى وفا) وهي الصورة الاولى لضرب العروضة الثالثة

واما ان يكون مجزوأ مذيلا اي دخلهأحد علل الزيادة وهو التذييل الذي به (متفاعلن) تصير (متفاعلان) بسكون النون ويكون هو لفظ (فرحى وفاه) بسكون الهاء وهي الصورة الثانية لضرب العروضة الثالثة

واما أن يكون مجزوأ مرفلا أي دخله احدعلل الزيادةوهو الترفيل الذي به (متفاعلن) تصير (متفاعلاتن) فيكون الضرب هو لفظ (فرحىوفاه) بضم الهاء واشباعها حتى ينتج عنها واو في الوزن وهى الصورة الثالثة لضرب العروضة الثالثة

جدول هذا البحر

عدد الصور	صور الشطر الاول وتفاعيله	اسماء الاعاريض	صور الشطر الثاني وتفاعيله	اسماء الاضرب	اسماء القوافي
الاولى	جمعت له . رتب العلا . وسمت به متفاعلن متفاعلن متفاعلن	صحيحة	فرأيت في . فرحي وفا . وصفا لنا متفاعلن متفاعلن متفاعلن	صحيح	متدارك
الثانية	جمعت له . رتب العلا . وسمت به متفاعلن متفاعلن متفاعلن	صحيحة	فرأيت في . فرحي وفا . وصفالي متفاعلن متفاعلن فعلاتن	مقطوع	متواتر
الثالثة	جمعت له . رتب العلا . وسمت به متفاعلن متفاعلن متفاعلن	صحيحة	فرأيت في . فرحي وفا . وصفا متفاعلن متفاعلن فعلن	احذ مضمر	متراكب
الرابعة	جمعت له . رتب العلا . وسمت متفاعلن متفاعلن فعلن	حذاء	فرأيت في . فرحي وفا . وصفا متفاعلن متفاعلن فعلن	احذ	متواتر
الخامسة	جمعت له . رتب العلا . وسمت متفاعلن متفاعلن فعلن	حذاء	فرأيت في . فرحي وفا . وصفا متفاعلن متفاعلن فعلن	احذ مضمر	متواتر
السادسة	جمعت له . رتب العلا متفاعلن متفاعلن	مجزوءة صحيحة	فرأيت في . فرحي وفا متفاعلن متفاعلن	مجزوء صحيح	متدارك
السابعة	جمعت له . رتب العلا متفاعلن متفاعلن	مجزوءة صحيحة	فرأيت في . فرحي وفاه متفاعلن متفاعلان	مجزوء مذيل	مترادف
الثامنة	جمعت له . رتب العلا متفاعلن متفاعلن	مجزوءة صحيحة	فرأيت في . فرحي وفاهو متفاعلن متفاعلاتن	مجزوء مرفل	متواتر
ملحوظات	متفاعلن في هذا البحر تاتى على اصلها وتاتي بتسكين التاء على وزن مستفعلن وما عدا ذلك فهو معيب				

وفي صورة كل من الضرب الاول والسادس قافية البيت تسمى المتدارك وهي كل قافية فيها متحركان بين ساكنين وكل ما آخره وتد مجموع بعد ساكن تكون هذه قافيته

وفي صورة كل من الضرب الثاني والثالث والخامس والثامن تسمى المتواتر وقد تقدم تعريفها في البحر الاول وفي صورة الضرب الرابع تسمى قافية المتراكب وقد تقدم تعريفها أيضا

وفي صورة الضرب السابع تسمى قافية المترادف وهي كل قافية توالى فيها ساكنان

(العروضة الصحيحة مع الضرب المماثل لها قافية المتدارك)

يا وجه معتذر ومقلة ظالم * كم من دم ظلما سفكت بلادم
اوجدت وصلي في الكتاب محرما * ووجدت قتلي فيه غير محرم
كم جنة لك قد سكنت ظلالها * متفكها في لذة وتنعم
وشربت من خمر العيون تعللا * فاذا انتشيت اجود جود المزرم
فاذا صحوت فما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي وتكرمي

(العروضة الصحيحة مع الضرب المقطوع الذي لايدخله سوى الاضمار قافية المتواتر)

حال الزمان فبدل الآمالا * وكسى المشيب مفارقا وقذالا
غنيت غواني الحي عنك وربما * طلعت اليك اهلة وجمالا
اضحى عليك حلالهن محرما * ولقد يكون حرامهن حلالا
ان الكواعب ان راينك طاويا * وصل الشباب طوين عنك وصالا
واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا

(العروضة الصحيحة مع الضرب الاحذ المضمر قافية المتواتر)

يوم المحب لطوله شهر * والشهر يحسب انه دهر
بأبي وامي غادة في خدها * سحر وبين جفونها سحر

الشمس تحسب انها شمس الضحى * والبدر يحسب انها البدر
فسل الهوى عنها يجبك وان نأت * فسل القفار يجبك الفقر
لمن الديار برامتين فعاقل * درست وغير آيها القطر

(العروضة الحذا مع الضرب الاحذ المماثل لها قافية المتراكب)

أما الخليط فشد ماذهبوا * بانوا ولم يقضوا الذي يجب
فالدار بعدهمو كوشم يد * يا دار فيك وفيهم العجب
أين التي صيغت محاسنها * من فضة شيبت بها ذهب
ولى الشباب فقلت أندبه * لامثل ما قالوا ولا ندبوا
دمت عفت ومحا معالمها * هطل أجش وبارح ترب

(العروضة الحذا مع الضرب الاحذ المضمر قافية المتواتر)

عينيّ كيف غررتما قلبي * وأبحتماه لوعة الحب
يانظرة أزكت على كبدي * نارا قضيت بحرها نحبي
خلوا جوى قلبي اكابده * حسبي مكابدة الهوى حسبي
عيني جنت من شؤم نظرتها * ما لا دواء له على قلبي
جانيك من يجني عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب

(العروضة الصحيحة مع الضرب المماثل لها قافية المتدارك)

قل ما بدا لك وافعل * واقطع حبالك اوصل
هذا الربيع فحيه * وانزل بأكرم منزل
وصل الذي هو واصل * فاذا كرهت فبدّل
واذا نبا بك منزل * او مسكن فتحوّل
واذا افتقرت فلا تكن * متجشما وتجمل

(العروضة المجزوءة الصحيحة مع الضرب المذيل قافية المترادف)

يامقلة الرشا الغرير * وشقة القمر المنير
ما رنقت عيناك لي * بين الاكلة والستور

الا وضعت يدي على * قلبي مخافة ان يطير
هبني كبعض حمام مكـ * ـة واستمع قول النذير
ابني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

(العروضة المجزوءة الصحيحة مع الضرب المرفل قافية المتواتر)

هتك الحجاب عن الضمائر * طرف به تبلى السرائر
يرنو فيمتحن القـلو * ب كأنه في القلب ناظر
ياساحرا ماكنت اعـ * ـرف قبله في الناس ساحر
اقصيتني من بعد ما * أدنيتني فالقلب طائر
وغررتني وزعمت انـ * ـنك لابن في الصيف تامر

(تنبيه)

في بحر الكامل هذا يأتي مع العروضة الثالثة المجزوءة الصحيحة ضرب آخر مقطوع فيه (متفاعلن) تصير (متفاعي) بسكون التاء مع الاضمار وتحريكها مع عدمه وبيته

واذا هموذكروا الاسا * ءة أكثروا الحسنات

ولكن لعدم استعماله لم نتعرض لذكره

﴿ البحر الثالث الهزج ﴾

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار (مفاعيلن) ثلاث مرات في كل شطر بحسب الاصل ولكنه لا يستعمل الا مجزوأ أي محذوفا منه ثلثه فيكون مركبا من (مفاعيلن) مرتين في كل شطر بحسب الاستعمال ولايدخل عروضه شيء من التغييرات فتكون على صورة واحدة ويأتي معها الضرب على صورتين

فاما ان يكون كل من العروضة والضرب متماثلين ويكون كلا الشطرين كذلك والبيت المقابل لهذا الوزن هو

جمعنا ذا وألفنا * فعفوا ياأحبانا

فتكون العروضة هي (وألفنا) ويكون الضرب هو (أحبانا)

واما ان يكون الضرب محذوفا و (مفاعيلن) الاخيرة تصير (مفاعي) على وزن (فعولن) وذلك بأن تحذف الضمير وهو (نا) من لفظ (احبانا) فتكون العروضة باقية على ماهى عليه والضرب هو لفظ (احبا) بدون همز الالف الاخيرة وهذا الضرب الاخير غير حسن الاستعمال

(جدول هذا البحر)

عدد الصور	صور الشطر الاول وتفاعيله	اسماء الاعاريض	صور الشطر الثانى وتفاعيله	اسماء الاضرب	اسماء القافية	ملحوظات
الاولى	جمعناذا . والفنا مفاعيلن . مفاعيلن	مجزوءة صحيحة	فعفوا يا . احبانا مفاعيلن . مفاعيلن	مجزوء صحيح	متواتر	(مفاعيلن) في هذا البحر لا تأتى الا سالمة من التغيير والضرب الثانى قليل الاستعمال
الثانية	جمعناذا . والفنا مفاعيلن . مفاعيلن	مجزوءة صحيحة	فعفوا يا . احبا مفاعيلن . فعولن	مجزوء محذوف	متواتر	

وفي كل من صورتي الضرب الاول والثاني قافية البيت تسمى المتواتر وقدتقدم تعريفها في الابحر المتقدمة

(العروضة المجزوءة الصحيحة والضرب المماثل لها قافية المتواتر)

أيا من لام في الحب * ولم يعلم جوى قلبي
ملام الصب يغويه * ولااغوى من الصب
فأنى مت في هند * محبا صادق الحب
وما يالفى لها شبه * بشرق لا ولا غرب
الى هند صبا قلبي * وهند مثلها يصبي

(العروضة المجزوءة الصحيحة والضرب المجزوء المحذوف قافية المتواتر)

متى اشفى غليلي * بنيل من بخيل
غزال ليس لي منه * سوى الحزن الطويل
جميل الوجه اخلاني * من الصبر الجميل
حملت الضيم فيه من * حسود او عذول
وماظهري لباغى الضيـ * ـم بالظهر الذلول

البحر الرابع الرجز

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار (مستفعلن) ثلاث مرات في كل شطر ويدخل عروضه بعض التغييرات المتقدمة فتأتى على صورتين

الصورة الاولى ان تكون صحيحة اي لم يدخلها شيء من التغييرات وفي هذه الحال اما ان يكون الضرب مماثلا لها فيكون كل من الشطرين مساويا للآخر والبيت المقابل لهذا الوزن

بدر بدالي مقبلا مذ اسفرا * قد صدته لما صفادهري ليا

فتكون العروضة هى لفظ (مذ اسفرا) والضرب هو لفظ (دهري ليا)

واما ان يكون الضرب مقطوعا اي دخله احد علل النقص وهو القطع الذي به (مستفعلن) تصير (مستفعل) بسكون اللام فتكون العروضة باقية على حالها والضرب هو لفظ (دهري لى) بسكون الياء

الصورة الثانية للعروضة تكون مجزوءة صحيحة وفي هذه الحال يكون الضرب مساويا لها فيكون كل شطر مركبا من (مستفعلن) مكررة مرتين في كلا الشطرين فتكون العروضة هي لفظ (لى مقبلا) والضرب هو لفظ (لماصفا)

(جدول هذا البحر)

عدد الصور	الاولى	الثانيه	الثالثه
صور الشطر الاول وتفاعيله	بدر بدا . لى مقبلا . مذ أسفرا مستفعلن مستفعلن مستفعلن	بدر بدا . لى مقبلا . مذ أسفرا مستفعلن مستفعلن مستفعلن	بدرا بدا . لى مقبلا مستفعلن . مستفعلن
اسماء الاعاريض	صحيحة	صحيحة	مجزوءة صحيحة
صور الشطر الثانى وتفاعيله	قد صدته . لما صفا . دهري ليا مستفعلن مستفعلن مستفعلن	قد صدته . لما صفا . دهري لى مستفعلن . مستفعلن مفعولن	قد صدته . لما صفا مستفعلن . مستفعلن
اسماء الاضرب	صحيح	مقطوع	مجزوء صحيح
اسماء القافية	متدارك	متواتر	متدارك
ملحوظات	مستفعلن فى هذا البحر لها اربع صور ١ (مستفعلن) ٢ (مفاعلن) ٣ (مفتعلن) بسكون الفاء والنون ٤ فعلن بسكون النون وحدها وغير حسن استعمال الرابعة		

جميع قوافي هذا البحر تقدم تعريفها في الابحر المتقدمة

(العروضة الصحيحة والضرب المماثل لها قافية المتدارك)

لم أدر هل جنى سباني أم بشر * أم شمس ظهر أشرقت لي أم قمر
أم ناظر يهدي المنايا طرفه * حتى كأن الموت منه في النظر
يحيي قتيلا ماله من قاتل * الا سهام الطرف ريشت بالحور
ما بال ربع الوصل أضحى دائرا * حتى لقد أذكرتني مما دثر
دار لسلمى اذ سليمى جارة * قفري ترى آياتها مثل الزبر

(العروضة الصحيحة والضرب المقطوع (الممنوع من الطي) قافية المتواتر)

قلب بلوعات الهوى معمود * حتى سقتنيه الظباء الغيد
من ذا يداوي القلب من داء الهوى * اذ لا دواء للهوى موجود
أم كيف أسلو غادة ما حبها * الا قضاء ماله مردود
الجسم منها مستريح سالم * والقلب منها جاهد مجهود

(العروضة المجزوءة الصحيحة والضرب المماثل لها قافية المتدارك)

أعطيته ما سألا * حكمته لو عدلا
وهبته روحي فما * أدري به ما فعلا
اسلمته في يده * نعمه ام قتلا
قلبي به في شغل * لامل ذاك الشغلا
قيده الحب كما * قيد راع جملا

وقد يأتي وزن هذا البحر مشطورا فيكون كلا الشطرين مركبان من (مستفعلن) مكررة ثلاث مرات ومثاله

انك لاتجني من الشوك العنب

ويأتي ايضا منهوكا فيكون كلا الشطرين مركبا من (مستفعلن) مرتين ومثاله

ياليتني فيها جذع

وتكون العروضة هي نفس الضرب في هذين الحالتين

وهنا يلزمنا أن نعرف ما هو المجزوء وما هو المشطور وما هو المنهوك

فالمجزوء هو ماحذف ثلث ميزانه وبقي ثلثاه الآخران وقد تقدم تعرفه في بحر الهزج والمشطور ماحذف أحد نصفي ميزانه وبقي النصف الآخر والمنهوك ما حذف ثلثا ميزانه وبقي الثلث الآخر

﴿ البحر الخامس الرمل ﴾

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار (فاعلاتن) ثلاث مرات في كل شطر ويدخل عروضه بعض التغييرات المتقدمة فتأتي علي صورتين

الصورة الاولى للعروضة ان تكون محذوفة أي يدخلها احد علل النقص وهو الحذف الذي به (فاعلاتن) تصير فاعلن وفي هذه الحال يكون الضرب على أحد ثلاث صور

فاما ان يكون صحيحا لم يتغير فيكون الشطر الاول مركبا من (فاعلاتن) مرتين و (فاعلن) والشطر الثاني من فاعلاتن ثلاث مرات والبيت المقابل لهذا الوزن هو

ذا كتاب قد حلالي وضعه * وارتضاه من لقيناه جليلا

فتكون العروضة هي (وضعه) والضرب هو (ه جليلا)

واما ان يكون الضرب مقصورا أي دخله أحد علل النقص وهو القصر الذي به (فاعلاتن) تصير (فاعلان) بسكون النون وذلك يكون بنقل (جليلا) الى (جليل) بسكون اللام

واما أن يكون الضرب مماثلا للعروضة أي محذوفا وذلك بنقل (جليل) الى (جلي) الصورة الثانية للعروضة ان تكون مجزوءة صحيحة بحذف ثالث تفاعيل الشطر الاول مع عدم دخول تغيير في التفعيلة التى قبلها وذلك بحذف لفظ (وضعه) وتكون هي لفظ (حلالي) وفي هذه الحال يكون الضرب على أحد ثلاث صور

فاما ان يكون مجزوأ صحيحا أيضا اي بحذف التفعيلة الثالثة من الشطر الثاني وعدم دخول التغيير في التفعيلة التى قبلها فيكون الضرب هو لفظ (من لقينا)

واما ان يكون مسبغا أي دخله احد علل الزيادة وهو التسبيغ الذي به (فاعلاتن) تصير (فاعلاتان) بسكون النون فيكون الضرب هو لفظ (من لقيناه) بزيادة الهاء الساكنة واما ان يكون محذوفا أي بنقل لفظ (من لقينا) الى (من لقى) بحذف الضمير وهو (نا)





جدول هذا البحر

عدد الصور	صور الشطر الاول وتفاعيله	أسماء الاعاريض	صور الشطر الثاني وتفاعيله	اسماء الاضرب	اسماء القافية
الاولى	ذا كتاب . قد حلالى . وضعه فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلن	محذوفة	وارتضاه . من لقيناه . جليلا فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن	صحيح	متواتر
الثانية	ذا كتات . قد حلالى . وضعه فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلن	محذوفة	وارتضاه . من لقينا ° جليل فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلن	مقصور	مترادف
الثالثة	ذا كتاب . قد حلالى . وضعه فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلن	محذوفة	وارتضا ° من لقينا ° مجلى فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلن	محذوف	متدارك
الرابعة	ذا كتاب . قد حلالى فاعلاتن . فاعلاتن	مجزوءة صحيحة	وارتضاه . من لقينا فاعلاتن . فاعلاتن	مجزوء صحيح	متواتر
الخامسة	ذا كتاب . قد حلالى فاعلاتن . فاعلاتن	مجزوءة صحيحة	وارتضا ° من لقينا فاعلاتن . فاعلاتان	مجزوء مسبغ	مترادف
السادسة	ذا كتاب . قد حلالى فاعلاتن . فاعلاتن	مجزوءة صحيحة	وارتضاه . من لقى فاعلاتن . فاعلن	مجزوء محذوف	متدارك
ملحوظات	فاعلاتن في هذا البحر لا يدخلها شيء غير الخبن واما الكف فغير حسن فيها				

جميع قوافي هذا البحر تقدمت في الابحر السابقة

﴿ العروضة المحذوفة والضرب الصحيح قافية المتواتر ﴾

انا في اللذات مخلوع العذار * هائم في حب ظبي ذي احورار
صفرة في حمرة في خده * جمعت روضة ورد وبهار
قادني طرفي وقلبي للهوى * كيف من قلبي ومن طرفي حذاري
لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

﴿ العروضة المحذوفة والضرب المقصور قافية المترادف ﴾

يامدير الصدغ في الكف الأسيل * ومحيل السحر بالطرف الكحيل
هل لمحزون كئيب قبلة * منك يشفي بردها حر الغليل
وقليل ذاك الا انه * ليس من مثلك عندي بالقليل
بأبي أحور غنى موهنا * بغناء قصر الليل الطويل
يابني الصيداء ردوا فرسي * انما يفعل هذا بالذليل

﴿ العروضة المحذوفة والضرب المماثل لها قافية المتدارك ﴾

شادن يسحب أذيال الطرب * يتثنى بين لهو ولعب
بجبين مفرغ من فضة * فوق خد مشرف لون الذهب
كتب الدمع بخدّي عهده * للهوى والشوق يملي ما كتب
ما لجهلي ما أراه ذاهبا * وسواد الرأس مني قد ذهب
قالت الخنساء لما جئتها * شاب بعدي رأس هذا واشتهب

﴿ العروضة المجزوءة الصحيحة والضرب المماثل لها قافية المتواتر ﴾

يا هلالا قد تجلى * في ثياب من حرير
وأميرا بهواه * قاهرا كل امير
ما لخديك استعارا * حمرة الورد النضير
ورسوم الوصل قد * ألبستها ثوب دثور
مقفرات دارسات * مثل آيات الزبور

﴿ العروضة المجزوءة الصحيحة والضرب المجزوء المسبغ قافية المترادف ﴾

ياهلالا في تجنيه * وقضيبا في تثنيه
والذي لست أسمـ * ـيه ولكني اكنيه
شادن ما تقدر العيـ * ـن تراه من تلاليه
كلما قابله شخـ * ـص رأى صورته فيه
لان حتى لو مشى الذر عليه كاد يرميه

﴿ العروضة المجزوءة الصحيحة والضرب المجزوء المحذوف قافية المتدارك وهو مما قلته مضمنا البيت الاخير من شعر العرب ﴾

مذ بدا زاد الشجن * من به قلبي افتتن
رب هجران طويل * أودع القلب الحزن
قيل لما قد رأوه * وهو في الدنيا الحسن
مالما قرت به العيـ * ـنان من هذا ثمن

وقد يجوز الخبن في هذا الضرب كقول القائل

قلبه عند الثريا * بأن عن جسده

وهذا البيت قافيته تسمى المتراكب وقد تقدم تعريفها

﴿ البحر السادس السريع ﴾

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار (مستفعلن) مرتين بعدها (مفعولات) في كل شطر ويدخل عروضه بعض التغييرات المتقدمة فتكون على صورتين

الصورة الاولى للعروضة ان تكون مطوية مكشوفة اي يدخلها احد الزحافات المفردة وهو الطي وأحد علل النقص وهو الكشف الذي بهما (مفعولات) تصير (مفعلا) اي فاعلن وفي هذه الحال يكون الضرب على احد ثلاث صور فاما ان يكون مطويا موقوفا اي دخله أحد الزحافات المفردة وهو الطي وأحد علل النقص وهو الوقف الذي بهما (مفعولات) تصير (مفعلات) على وزن

(فاعلات) بسكون التاء والبيت المقابل لهذا الوزن هو

لاتبتغي غير العلا طالبا * في كلما تقوى له عازمات

فتكون العروضة هي (طالبا) والضرب هو (عازمات) بسكون التاء

واما أن يكون الضرب مطويا مكشوفا مثل العروض فيكون هو بنقل (عازمات) الى (عازما) واما ان يكون الضرب أصلم اي دخله الصلم الذي به (مفعولات) تصير (مفعو) اي (فعلن) بسكون العين والنون وذلك بحذف الالف الاولى من (عازما) وجعلها (عزما) بسكون الزاى

الصورة الثانية للعروضة ان تكون مخبولة مكشوفة اي دخلها الخبل أحد الزحافات المركبة والكشف أحد علل النقص الذي بهما (مفعولات) تصير (فعلن) بسكون النون وتحريك ما عداها فتكون هي بنقل لفظ طالبا الى طلبا وفي هذه الحال لا يكون الضرب الا مماثلا لها اي مخبولا مكشوفا فيكون بحذف (عزما) وابدالها بلفظ هما على وزن (فعلن) بتحريك العين



جدول هذا البحر

عدد الصور	صور الشطر الاول وتفاعيله	اسماء الاعاريض	صور الشطر الثاني وتفاعيله	اسماء الاضرب	اسماء القافية	ملحوظات
الاولى	لا تبتغي . غير العلا . طالبا مستفعلن . مستفعلن . فاعلن	مطوية مكشوفة	في كلما . تقوى له . عازمات مستفعلن . مستفعلن . فاعلات	مطوي موقوف	مترادف	(مستفعلن) فى هذا البحر يدخلها الخبن والطي و (مفعولات) تتغير كما ترى في هذا الجدول
الثانية	لا تبتغي . غير العلا . طالبا مستفعلن . مستفعلن . فاعلن	مطوية مكشوفة	في كلما . تقوى له . عازما مستفعلن . مستفعلن . فاعلن	مطوي موقوف	متدارك	
الثالثة	لا تبتغي . غير العلا . طالبا مستفعلن . مستفعلن . فاعلن	مطوية مكشوفة	في كلما . تقوى له . عزما مستفعلن . مستفعلن . فعلن	اصلم	متواتر	
الرابعة	لا تبتغي . غير العلا . طلبا مستفعلن . مستفعلن . فعلن	مطوية مكشوفة	في كلما . تقوى له . هما مستفعلن . مستفعلن . فعلن	مخبول مكشوف	متراكب	

جميع قوافي هذا البحر تقدم تعريفها

﴿ العروضة المطوية المكشوفة والضرب المطوي الموقوف قافية المترادف ﴾

بكيت حتى لم ادع عبرة * اذ حملوا الهودج فوق القلوص
بكاء يعقوب على يوسف * حتى شفى علته بالقميص
لا تأسف الدهر على ما مضى * والق الذي ما دونه من محيص
قد يدرك المبطئ من حظه * والخير قد يسبق جهد الحريص

﴿ العريضه المطوية المكشوفة والضرت المماثل لها قافية المتدارك ﴾

لله در البين ما يفعل * يقتل من شاء ولا يقتل
باتوا بمن اهواه في ليلة * رد على آخرها الاول
يا طول نيل المبتلي بالهوى * وصبحه من ليله اطول
فالدار قد ذكرني رسمها * ما كدت عن تذكاره اذهل
هاج الهوى رسم بذات الغضا * مخلولق مستعجم محول

﴿ العروضة المطوية المكشوفة والضرب الاصلم قافية المتراكب ﴾

قلبي رهين بين اضلاعي * من بين ايناس واطماع
من حيث تدعوه دواعي الهوى * اجابها لبيك من داعي
من لسقيم ماله عائد * وميت ليس له ناعي
لما رأت عاذلتي ما رأت * وكان لي من اسمها واعي
قالت ولم تقصد لقيل الخنى * مهلا لقد ابلغت اسماعي

(العروضة المخبولة المكشوفة والضرب المماثل لها قافية المتراكب)

شمس تجلت تحت ثوب ظلم * سقيمة الطرف بغير سقم
ضاقت علي الارض مذ صرمت * حبلي فما كان مكان قدم
شمس واقمار يطوف بها * طوف النصارى حول بيت صنم
النشر مسك والوجوه دنا * نير والاطراف الاكف عنم

(تنبيه) هذا البحر يأتي مشطوراً فاما ان تكون عروض البيت وضربها

موقوفان اي دخلهما الوقف الذي به (مفعولات) تصير ساكنة التاء ويمنعان حينئذ من الطي

واما ان تكون العروضة والضرب مكشوفين اي يدخلهما الكشف الذي به (مفعولات) تصير (مفعولن) ويمنعان من الطي ايضاً وفي هذين الحالين تكون العروضة هي نفس الضرب مثال الاول

يا صاح ما هاجك من ربع خال — بسكون اللام

ومثال الثاني — يا صاحبي رحلي اقلا عذلي — بسكون الذال

وذلك عديم الاستعمال الآن

﴿ البحر السابع المنسرح ﴾

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار (مستفعلن) مرتين بينهما (مفعولات) في كل شطر ويدخل عروضه بعض التغييرات المتقدمة فتأتي على صورتين

الصورة الاولى للعروضة ان تكون صحيحة لم يدخلها تغيير وفي هذه الحال يدخل ضربها الطي والبيت المقابل لهذا الوزن هو

ان العلا والعلاء في راشد * يهواهما للكمال ذو كرم

فالعروضة هي لفظ (في راشد) والضرب هو لفظ (ذو كرم)

الصورة الثانية للعروضة أن تكون مطوية وضربها مماثل لها فتكون العروضة هي لفظ (في رشد) بحذف الالف التى بين الراء والشين والضرب باق على حاله

﴿ جدول هذا البحر ﴾

صور الشطر الاول وتفاعيله	ان الملا . والملا . في راشد مستفعلن . فاعلات . مستفعلن	ان الملا . والملا . فيرشد مستفعلن . فاعلات . مفتعلن
[illegible]	[illegible]	[illegible]
صور الشطر الثاني وتفاعيله	جوادها الكمال ذو كرم مستفعلن فاعلات مفتعلن	جوادها الكمال ابن ذو كرم مستفعلن فاعلات مستفعلن
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
ملحوظات	[illegible]	

وفي هذه الصورتين قافية البيت تسمى المتراكب وقد تقدم تعريفها

(العروضة الصحيحة القليلة الاستعمال والضرب الصحيح المطوي قافية المتراكب)

ان ابن زيد لا زال مستعملا * للخير يفشي في مصره العرفا

(العروضة الصحيحة المطوية الضرب المماثل لها قافية المتراكب)

بيضاء مضمومة مقرقطة ٥ ينقد عن نهدها قراطقها

كأنما بات ناعما جزلا * في جنة الخلد من يعانقها

واي شئ ألذ من أمل * نالته معشوقة وعاشقها

دعني أمت في هوى مخدرة * تعلق نفسي بها علائقها

من لم يمت غبطة يمت هرما * الموت كأس والمرء ذائقها

(تنبيه) لهذا البحر عروضان احداهما منهوكة موقوفة والثانية منهوكة مكشوفة ولكل واحدة منها ضرب يماثلها وهما عديمتا الاستعمال الآن

مثال الاولى — صبرا بنى عبد الدار

ومثال الثانية — ويل ام سعد سعدي

البحر الثامن الخفيف

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار فاعلاتن مكررة مرتين بينهما (مستفع لن) في كل شطر ويدخل عروضه بعض التغييرات المتقدمة فتأتي على ثلاث صور

الصورة الاولى للعروضة ان تكون صحيحة وضربها مماثل لها والبيت المقابل لهذا الوزن هو

ما الجدوى قد لامني فى هواها * عاذلوها فقد سمت في حلاها

فالعروضة هى (في هواها) والضرب هو (في حلاها)

الصورة الثانية للعروضة ان تكون محذوفة اي دخلها احد علل النقص وهو الحذف الذي به (فاعلاتن) تصير (فاعلن) وضربها يكون مماثلا لها أيضا فتكون العروضة هي لفظ (في الهوى) بدلا من لفظ (فى هواها) وكذلك الضرب يكون هو لفظ (في الحلى) بدلا من لفظ (في حلاها)

الصورة الثالثة للعروضة ان تكون مجزوءة ويكون ضربها مماثلا لها فيكون كل شطر مركبا من (فاعلاتن مستفع لن) وذلك بحذف لفظ (في الهوى) من الشطر الاول و (في الحلى) من الشطر الثاني فتكون العروضة هى (قد لامنى) والضرب هو (فقد سمت)

جدول هذا البحر

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

البيت الآخر دخل ضربه التشعيث وهو حذف احد متحركي الوتد المجموع فيصير كالسبب الخفيف فصارت به (فاعلاتن) (فاعاتن) على وزن (مفعولن)

(العروضة المحذوفة الجائز فيها الخبن والضرب المماثل لها قافية المتدارك)

ليت من شفني هواه رأى * زفرات الهوى على كبدي

غادة نازح محلتها * وكلتني بلوعة الكمد

رب خرق من دونها قذق * ما به غير الجن من احد

(العروضة المجزوءة والضرب المماثل لها قافية المتدارك)

ما لليلى تبدلت * بعدنا ود غيرنا

ارهقتنا ملامة * بعد ايضاح عذرنا

فسلونا عن ذكرنا * وتسلت عن ذكرنا

لم نقل اذ تحرمت * واستهمت بهجرنا

ليت شعري ماذا ترى * ام عمرو فى امرنا

(تنبيه) للعروضة المجزوءة ضرب مقصور ايضا ولكنه عديم الاستعمال فلم نذكره

(البحر التاسع المضارع)

هذا البحر ميزانه ناتج من (مفاعيل فاع لاتن) مرة فى كل شطر ولا يدخل عروضه شيء من التغييرات فلا تأتي الا على صورة واحدة وليس لها الا ضرب مماثل لها كما فى هذا البيت

قضى الله · ان سنمضي * على أثر · من تقضى

مفاعيل · فاع لاتن * مفاعيل · فاع لاتن

فالعروضة هي لفظ (ان سنمضي) والضرب هو لفظ (من تقضي)

وهذا البحر لم يكن له قافية غير المتواتر وقد تقدم تعريفها

ملحوظات	[illegible]		
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
صور الشطر الثاني وتفاعيله	عاذلوها · فقد سمت · وحلاها فاعلاتن مستفع لن · فاعلاتن	عاذلوها · فقد سمت · فالحلى فاعلاتن · مستفع لن · فاعلن	عاذلوها · فقد سمت فاعلاتن · مستفع لن
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
صور الشطر الاول وتفاعيله	ماجدوي · قد لامني · في هواها فاعلاتن · مستفع لن · فاعلاتن	ماجدوي · قد لامني · في الهوى فاعلاتن · مستفع لن · فاعلن	ماجدوي - قد لامني فاعلاتن - مستفع لن
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

جميع قوافي هذا البحر تقدمت في الابحر المتقدمة

(العروضة الصحيحة والضرب المماثل لها قافية المتواتر)

انت دائي وفي يديك دوائي * ياشفائي من الجوى وبلائي

ان قلبي بحب من لا أسمى * في عناء أعظم به من عناء

أيها اللائمون ما ذا عليكم * ان تعيشوا وان أموت بدائي

ومن الملحوظات عليه ان الكف لازم في (مفاعيلن) وقد يأتي في (فاع لاتن) ولا يتأتى ومثال عروضه وضربه وقافيته هذه الابيات

أرى للصبا وداعا * وما يذكر اجتماعا
كأن لم يكن جديرا * بحفظ الذي أضاعا
فجدد وصال صب * متى تعصه أطاعا
وان تدن منه شبرا * يقربك منه باعا

البحر العاشر المقتضب

هذا البحر ميزانه ناتج من (مفعولات) مرة واحدة (ومستفعلن) مرتين في كل شطر ولكنه لا يستعمل الا مجزوأ اي محذوفا ثلثه كما تقدم فيكون مركبا من (مفعولات مستفعلن) مرة في كل شطر ولا يدخل عروضه شيء من التغييرات غير الطي فلا تكون الا على صورة واحدة مطوية وضربها مماثل لها كما في هذه الابيات

يا مليحة الدعج * هل لديك من فرج
ام تراك قاتلتي * بالدلال والغنج
من لحسن وجهك من * سوء فعلك السمج
عاذليّ حسبكما * قد غرقت في لجج
هل عليّ ويحكما * ان عشقت من حرج
فاعلات مفتعلن * فاعلات مفتعلن

ولم يكن له قافية غير المتراكب وقد تقدم تعريفها فيما تقدم
ومن الملحوظات عليه ان (مفعولات) فيه يحسن ان تكون (فاعلات) والطي لازم في (مستفعلن) فلا تكون الا (مفتعلن)

البحر الحادي عشر المجتث

هذا البحر ميزانه ناتج من (مستفع لن) مرة و (فاعلاتن) مرتين في كل شطر الا انه

لا يستعمل الا مجزوا فيكون مركبا من (مستفع لن فاعلاتن) مرة في كل شطر ومثاله هذه الابيات

وشادن ذي دلال * معصب بالجمال
يضن أن يحتويه * مني ظلام الليالي
او يلتقي في منامي * خياله مع خيالي
غصن نما فوق دعص * يختال كل اختيال
البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

ولا تكون قافيته الا من المتواتر وقد تقدم تعريفها ولا يحسن في تفاعيله غير الخبن

في الابحر ذات التفاعيل الخماسية

الابحر ذات التفاعيل الخماسية بحران اولهما المتقارب وثانيهما المتدارك

البحر الاول المتقارب

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار (فعولن) اربع مرات في كل شطر ويدخل عروضه بعض التغيرات المتقدمة فتأتي على صورتين
الصورة الاولى للعروضة أن تكون صحيحة وفي هذه الحال يأتي الضرب على احد ثلاث صور
فاما أن يكون مماثلا لها اي صحيحا والبيت المقابل لهذا الوزن هو

قضى لي بحبي بهاكم وذلي * اله قدير على ما يشاؤه

فالعروضة هي (وذلي) والضرب هو (يشاؤه) بسكون الهاء
واما أن يكون مقصورا اي دخله احد علل النقص وهو القصر الذي به (فعولن) تصير (فعول) بسكون اللام فيكون هو لفظ (يشاء) بسكون الهمزة بعد حذف الهاء
واما ان يكون محذوفا اي دخله احد علل النقص الذي به (فعولن) تصير (فعو) فيكون هو لفظ (يشاء) بعد حذف الهمزة

الصورة الثانية للعروضة أن تكون مجزوءة محذوفة ولها ضرب مماثل لها فيكون كل شطر مركبا من (فعولن) مرتين والثالثة (فعو) وذلك بأن يكون البيت المتقدم هو

قضى لي بجي البها * اله قـدير عليّ



جدول هذا البحر

عدد الصور	صور الشطر الاول وتفاعيله	اسماء الاعاريض	صور الشطر الثاني وتفاعيله	اسماء الاضرب	اسماء القافية	ملحوظات
الاولى	قضى لى • بجي • بهاكم • وذلي فعولن • فعولن • فعولن • فعولن	صحيحة	اله • قدير • على ما • يشاءه فعولن • فعولن • فعولن • فعولن	صحيح	متواتر	لايحسن التغيير في فعولن مطلقا في هذا البحر ما عدا تفعيلة العروض والضرب فقد تؤولان الى ما ترى
الثانية	قضى لى • بجي • بهاكم • وذلى فعولن • فعولن • فعولن • فعولن	صحيحة	اله • قدير • على ما • يشاء فعولن • فعولن • فعولن • فعول	مقصور	مترادف	
الثالثة	قضى لى • بجي • بهاكم • وذلى فعولن • فعولن • فعولن • فعولن	صحيحة	اله • قدير • على ما • يشا فعولن • فعولن • فعولن • فعو	محذوف	متدارك	
الرابعة	قضى لى • بجي ال • بها فعولن • فعولن • فعو	مجزوءة محذوفة	اله • قدير • على فعولن • فعولن • فعو	مجزوء محذوف	متدارك	

جميع قوافي هذا البحر تقدم تعريفها

﴿ العروضة الصحيحة والضرب المماثل لها قافية المتواتر ﴾

ايا صاح هذا مقام المحب * وربع الحبيب نخط الرحالا
سل الربع عن ساكنيه فاني * خرست فما أستطيع السؤالا
ولا تعجلني هـدا المليك * فان لكل مقام مقالا

﴿ العروضة الصحيحة والضرب المقصور قافية المترادف ﴾

فؤادي رميت وعقلي سبيت * ودمعي أسلت ونومي نفيت
عزمت عليك بمجرى الوشاح * وما تحت ذلك مما كنيت
تجدد وصلا عفا رسمه * فمثلك لما بدا لى بنيت
على رسم دار قفار وقفت * ومن ذكر عهد الحبيب بكيت

﴿ العروضة الصحيحة والضرب المحذوف قافية المتدارك ﴾

أيا ويح نفسي وويل امها * لما لقيت من جوي همها
فديت التى قتلت مهجتي * ولم تتق الله في دمها
اغض الجفون اذا ما بدت * وأكنى اذا قيل لى ما اسمها

﴿ العروضة المجزوءة المحذوفة والضرب المماثل لها قافية المتدارك ﴾

أأحرم منك الرضا * وتذكر ماقد مضى
وتعرض عن هائم * ابى عنك ان يعرضا
قضى الله بالحب لى * فصبرا على ما قضى
رميت فؤادي فما * تركت به منهضا
فقوسك ريانه * ونبلك جمر الغضا

﴿ تنبيه ﴾ لكل من العروضتين المذكورتين ضرب آخر غير ماذكر ولعدم استعمالهما لم اذكرها

﴿ البحر الثاني المتدارك ﴾

هذا البحر ميزانه ناتج من تكرار (فاعلن) اربع مرات في كل شطر ولكن على قلة واما على الاكثر فاستعماله بدخول الخبن في (فاعلن) فتصير (فعلن) بتحريك العين او بسكونها اذا دخله القطع وكلا الوجهين حسن فيه

مثال الاول وهو عديم الاستعمال الآن

جاءنا . عامر . سالما . صالحا * بعد ما كان ما كان من عامر
فاعلن . فاعلن . فاعلن . فاعلن * فاعلن . فاعلن . فاعلن . فاعلن

ومثال الثاني

كرة . طرحت . بصوا . لجة * فتلق . قفها . رجل . رجل
فعلن . فعلن . فعلن . فعلن * فعلن . فعلن . فعلن . فعلن

ومثال الثالث

مالى . مال . الا . درهـم * أوبر . زوني . ذاك ال . أدهم
فعلن . فعلن . فعلن . فعلن * فعلن . فعلن . فعلن . فعلن

وهذا البحر مخترع وله عروض واضرب لم تذكر لعدم استعمالها

وليعلم ان جميع الابيات المذكورة عقب كل بحر هي لابن عبدربه صاحب العقد الفريد ما عدا الابيات الاربعة التى اشرت اليها في بحر الرمل (والاستشهاد بقول الغير أولى واحسن)

﴿ باب ﴾

في جملة أمور

كنا اشرنا في احد التنبيهات السابقة الى صرف النظر عن كثير من الجوازات الشعرية واوضحنا السبب لذلك وهنا لابد لنا من ذكر بعض مالا مندوحة عنه فمن الجوازات المذكورة مد المقصور وقصر الممدود وصرف ما يمنع من الصرف ووصل همز القطع وعكسه . والذي يجب على من يعانى نظم الشعر ان لايأتي بضرورة مطلقا مالم يكن ذلك في بعض التواريخ وماشا كلها مما تضطره

اليه الحال ومع هذا فلا يوصل اويقطع او يمنع من الصرف وهلم جرّا الافيما يقبله الذوق فاذا وجد كلمة وافقت الميزان الشعري بعد وصلها او قطعها الخ وصارت ثقيلة لايحسن له ان يثبتها

﴿ فصل ﴾

من الابحر مالو حذف من ميزانه حرف اوحركة قصيرته من بحر آخر فمن ذلك هذا البيت

وان لم تكن لي والزمان مساعد * فلا خير لي عند الشدائد فيكا

وهو من (الطويل) ولكن اذا حذفت الواو والفاء من اول شطريه يصير من (الكامل) بشرط وجود القبض في فعولن الثانية من كل شطر
وهذا البيت

عن لي به والسحر في الحاظه * رشأ يغار البدر من تكوينه

وهو من الكامل الذي دخل غالب تفاعيله الاضمار فصارت (متفاعلن) فيه مستفعلن ماعدا قوله (رشأيغا) فاذا ابدلت بلفظة (ظبي يغا) لم يعرف من (الكامل) هو ام من (الرجز)

وهذا الشطر * عذار لاح في صبح المحيا *

وهو تاريخ لعذار في سنة (١٣٠٠) فاذا اضفت اليه باء باثنين صار لسنة (١٣٠٦)

وصار بعذار لاح في صبح المحيا

فنقل من (الوافر) الى (الرمل) فليتنبه لهذا فان له دخلا في معاناة التاريخ

﴿ فصل ﴾

ومما ينبغي لنا ان لانهمله التكلم على بعض مالم نذكره من متعلقات القوافي فيما تقدم

قد عرفنا القافية فيما تقدم وعرفنا انواعها الخمس ولم يبق من الضروري الا ذكر حروفها وحركاتها

اما حروفها فهي الرويّ والوصل والخروج والردف والتأسيس والدخيل

فالروي هو الحرف الاخير من كل بيت اي الذي تبني عليه القصيدة كالراء من آخر هذا البيت

اذا كانت الاقدار تجري بما تشا * فقل لي ماصنعي وأين أسير

والوصل هو الذي يتصل بالروي من حرف لين كالالف في آخر هذا البيت

الصبوح الصبوح قبل مشيب الـ * ـحظ منا او الغبوق الغبوقا

او ما اتصل بالروي من هاء ضمير كالهاء من آخر هذا البيت

مصاب الهوى سيان حمرة دمعه * علي فقد من يهوى وخمرة كأسه

والخروج هو ما اتصل بهاء الوصل من حرف لين كالالف المتصلة بالهاء من آخر هذا البيت

لاتصطحب شيأ يشينك أمره * واحفل بما فيه المحامد كلها

والردف هو حرف لين سابق على الروي كالالف التي قبل الراء من آخر هذا البيت

لقد شرب الاوائل كاس خمر * غدت منه الاواخر في خمار

والتأسيس هو ألف لينة بينها وبين الروي حرف واحد كالالف التي بعد اللام في لفظ (الخلائق) في هذا البيت

اذا كان في كل الامور توكلي * على الله لا أخشى صنيع الخلائق

ولا بد ان تكون ألف التأسيس من كلمة الروي كما في هذا البيت والافلا تعد تأسيسا كالالف الاخيرة في قوله * ومالي بحول الله لحم ولا دم *

والدخيل هو الحرف الفاصل بين التأسيس والروي كالياء المهموزة في لفظ (الخلائق) في البيت المتقدم

وأما حركاتها فهي المجرى والنفاذ والحذو والرس والاشباع والتوجيه

فالمجرى هو حركة الروي

والنفاذ هو حركة هاء الوصل

والحذو هو حركة ما قبل الردف

والرس هو حركة ما قبل التأسيس

والاشباع هو حركة الدخيل

والتوجيه هو حركة ما قبل الروي الساكن.

﴿ تنبيه ﴾ متى وجد شيء من حروف القوافى وحركاتها لابد من لزومه في كل بيت بقدر الامكان وبهذا تستغنى عن أن أكثر لك في ذكر عيوب القافية ولما كان المعتبر عند علماء هذا الفن هو اللفظ لا الخط اعتبروا حركة الروي بالاشباع حرفا وقد نظم المرحوم الشيخ محمد شهاب الدين المصري صاحب سفينة الملك أسماء حروف القوافى وأسماء حركاتها فأتيت بما نظمه للفائدة

قال في أسماء حروف القوافي

أحرف ستة بدت في القوافي * مثل شمس السماء ذات البروج
وهي تأسيسها دخيل وردف * وروى مع وصله الخروج

وقال في أسماء حركات القوافي

حركات ست أتت في القوافي * هي رس يليه اشباع افهم
ثم حذو توجيه مجرى نفاذ * فارو عني وفز بها وتفهم

﴿ فصل ﴾

مما يعاب فى القافية تكرارها بلفظها ومعناها (ويقال له الايطاء) الابعد سبعة أبيات على الاقل اواثنى عشر بيتا على الاكثر وقد تظرف بعض الادباء فتعمد الايطاء في جميع ابياته قاصدا المفاكهة او تقرير الشكوى في اذن السامع فقال

الى الله اشكو ما ألاقي من الاسى * فكم في فؤادي لوعة من كرى البيت
كرى البيت يعمى كل قلب وناظر * ويطرش اسماع الرجال كرى البيت
كرى البيت مثل الموت يأتى الى الفتى * على غفلة فاحذر اخى من كرى البيت
كرى البيت افنى من تقدم قبلنا * كذلك يفني من سيبقى كرى البيت
اذا قيل هذا آخر الشهر قد اتي * بكيت فيا موتي لدفع كرى البيت

وان حرك الباب الهوا قلت قد اتى * يطالبنى الجابي بمال كرى البيت
وان جاءني يوما صديق يزورني * فليس يرى فى البيت شيأ سوى البيت
هنيئا لكم ياساكنون بلا كرى * فقلبي لفقرى قد كواه كرى البيت
اذا قيل لى زن مت هما ولوعة * وطأطأت رأسى عندوزن كرى البيت
اذا كان لى من حرفة العلم فاقة * فمن اين يأتي ياخليلي كرى البيت
ولو عنتر العبسي طولب بالكرى * لانساه طعن الرمح عد كرى البيت
ولو ان ملك الموت قاساه ساعة * لالهاه عن قبض النفوس كرى البيت
ولو كانت الارواح تقضي لشدة * قضيت لما قد حل بي من كرى البيت
ولو ان بيتا في الجحيم بلا كرى * لطابت به السكنى لاجل كرى البيت
وقائلة ما لى اراك مغيرا * فقلت لها همي وحزني كرى البيت
فلو رأت المصلوب عيناى في الهوا * لقلت يميت المرء خوف كرى البيت
ولو ابصرت عيناي ميتا محاسبا * لقلت لهم هذا نجا من كرى البيت
اقول وعندي من كرى البيت لوعة * وقلبي جريح موجع من كرى البيت
هموم وافلاس وقلب معذب * وجسم نحيل قد براه كرى البيت
كرى البيت اتاني الى كل بلدة * وأيتم اطفال الرجال كرى البيت
وخمس دجاجات وديكان بعتهم * وامهم الصفرا لاجل كرى البيت
قلعت بلاط البيت عمدا وبعته * فلم يبق للجابى سواي مع البيت

ومما يعاب ايضا تعلق القافية بما بعدها في البيت الثانى (ويقال له التضمين) وغير ذلك مما لا يحتاج الى ايضاح لما قلناه من لزوم المحافظة على ماتقدم

﴿ فصل ﴾

ويحسن لنا ان نأتي بما نظمه الشهاب المتقدم الذكر فى الاوزان مقتبسا لها من الآيات القرآنية الشريفة

(الطويل)

اطال عذولي فيك كفرانه الهوى * وآمنت ياذا الظبي فأنس ولا تنفر
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن * فمن شاء فايؤمن ومن شاء فيكفر

(المديد)

يامديد الهجر هل من كتاب * فيه آيات الشفا للسقيم
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن * تلك آيات الكتاب الحكيم

(وفيه ايضا)

لو مددنا بابتهال يدينا * نرتجيكم هل يكون العطاء
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن * ان زعمتم انكم اولياء

(البسيط)

اذا بسطت يدي ادعو على فئة * لاموا عليك عسى تخلو اماكنهم
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن * فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم

(الوافر)

غرامي في الاحبة وفرته * وشاة في الازقة راكزونا
مفاعلتن مفاعلتن فعولن * اذا مروا بهم يتغامزونا

(الكامل)

كملت صفاتك يارشا وأولو الهوى * قد بايعوك وحظهم بك قد نما
متفاعلن متفاعلن متفاعلن * ان الذين يبايعونك انما

(الهزج)

لئن تهزج بعشاق * فهم في عشقهم تاهوا
مفاعيلن مفاعيلن * وقالوا حسبنا الله

(الرجز)

ياراجزا باللوم في موسى الذي * اهوي وعشقي فيه كان المبتغى
مستفعلن مستفعلن مستفعلن * اذهب الى فرعون انه طغى

(الرمل)

ان رملتم نحو ظبي نافر * فاستميلوه بداعي أنسه
فاعلاتن فاعلاتن فاعلن * ولقد راودته عن نفسه

(السريع)

سارع الى غزلان وادي الحمى * وقل أياغيد ارحموا صبكم
مستفعلن مستفعلن فاعلن * ياأيها الناس اتقوا ربكم

(المنسرح)

تنسرح العين في خديدرشا * حيى بكاس وقال خذه بفي
مستفعلن مفعولات مستفعلن * هو الذي انزل السكينة في

(الخفيف)

خف حمل الهوى علينا ولكن * ثقلته عواذل تترنم
فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن * ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

(المضارع)

الى كم تضارعونا * فتى وجهه نضير
مفاعيل فاعلاتن * ألم يأتكم نذير

(المقتضب)

اقتضب من وشاة هوى * من سناك حاولهم
مفعولات مفتعلن * كلما اضاء لهم

(المجتث)

اجتث من عاب ثغرا * فيه الجمان النظيم
مستفع لن فاعلاتن * وهو العلي العظيم

(المتقارب)

تقارب وهات اسقني كاس راح * وباعد وشاتك بعد السماء
فعولن فعولن فعولن فعولن * وان يستغيثوا يغاثوا بماء

(المتدارك)

دارك قلبي بلما ثغر * في مبسمه نظم الجوهر

فعلن فعلن فعلن فعلن * انا اعطيناك الكوثر

(مخلع البسيط)

خلعت قلبي بنار عشق * تصلى بها مهجتي الحراره

مستفعلن فاعلن فعولن * وقودها الناس والحجاره

(ابيات لتمرين المبتدى)

بحر ...

المطلوب وضع كلمات القوافي الناقصة والاتيان باشطر بدل المحذوفة ومعرفة كونه من اي الابحر

اجرني بالتواصل بعد بعدك * لعلى اجتنى ثمرات وعدك

. . . . * ولكن خشيتي من سوء ردك

سقا الرحمن اياما سقينا * بها راحا على وردات . . . .

ونلثم اقحوان الثغر طورا * على جزع ونهصر . . . .

ونقتبل السعود لنا بصرح * بدت بروجها . . . .

نجرر فيه اذيال التصابى * وتنشق . . . .

الا ان النعيم لدون يوم * . . . .

بحر ...

كم ليلة شغل الرقيب عذولها * عن عاشقين تواعدا . . .

عقدا نطاقا طول ليلهما معا * قد الصقا الاحشاء بالاحشاء

حتى اذا طلع الصباح تفرقا * بتنفس . . . .

ما راعنا تحت الدجي شيء سوى * شبه النجوم باعين . . .

بحر ...

يقولون لي والبعد بيني وبينها * نأت عنك هجرا وانطوى . . .

فقلت . . . . * لئن فارقت عيني فقد سكنت قلبي

بحر ...

ريم يتيه بحسن صورته * عبث الفتور ب . . .

وكأنّ عقرب صدغه وقفت * لما دنت من نار وجنته

بحر

ظبى يصول ولا وصول اليه * جرح الفؤاد بصارمى . . .

. . . . * الا تهتكت الستور عليه

يسقي المدامة من سلافة ريقه * . . . .

عيناه نرجسنا وآس عذاره * ريحاننا والورد من . .

ياشعري في بصري ولا في خده * انى اغار . . . .

عجبى لسلطان يعز بعدله * ويجور سلطان الغرام عليه

لولا اخاف الله ثم جحيمه * لعبدته وسجدت بين يديه

بحر الطويل من روي الباء الضرب الصحيح قافية المتواتر

نظرت اليها فاستحلت بنظرة * لقتلى ومنى قدحوى شخصها . . .

وليس عجيبا هدرها مذ علقتها * دمى ودمي غال فأرخصه . .

وغاليت في حبي لها ورات دمى * بتضحية القلب الكئيب له . . .

وصار ممات العاشقين بحبها * رخيصا فمن هذين داخلها . . .

بحر ...

من اي مولى ارتجي * ولاي باب التجي

والله حى رازق * . . . .

رب جواد لم يزل * من كل ضيق مخرجي

ان رحت ارجو غيره * خاب . . . .

ياعيس آمالي اقصدي * باب الكريم . .

وضعي رحالك وارتعي * فالام . . .

وتوسلي بمحمد * وباله كي تنتجي

الهاشمي المصطفى * صبح الهوى المتبلج

﴿ تذييل ﴾

على ما تقدم من علمي العروض والقوافي

ليس مامر من القواعد العلمية في علمي العروض والقافية كافيا لان يحسب به المرء في عداد الشعراء وان نطق بالكلام الموزون . فالشعر من حيث هو كلمات تتركب منها جمل ذات معاني تقابل تفاعيل الميزان الشعري حرفا بحرف وحركة بحركة وسكونا بسكون ولكن متى كان اجتماع تلك الكلمات في مقابلة الميزان الشعري لاينتج معانيا مخترعه ذات اساليب مقبولة فانما يكون كالعجوز الشمطاء من حيث ان بينها وبين الغادة الحسناء جامعة الشبه في الجوارح والاعضاء ولكنها فقيرة مما يستلفت الانظار اليها مما هو لدى الغانية الهيفاء من مجموعة المحاسن الطبيعية والصناعية . وهكذا الشعر اذا لم يكن بعد كونه موزونا حاويا للمعنى المطبوع مع التحسين الصناعى فانه لايكون الادون انكر اصوات العجماوات.

وقد كان العرب الاقدمون يرتجلون الشعر الجيد على البديهة حين كانت اللغة سليمة من التحريف خالية من الدخيل . وقد كانت تأتي المحسنات البديعية والتشبيهات والاستعارات البيانية وغيرها فى شعرهم ونثرهم عفواً ولكن المتأخرين قد افردوا لتلك المحسنات قواعد معلومة وقسموها علوماً فما كان منها خاصا بالمعانى كالتشبيهات والمجازات والاستعارات جعلوه علما وسموه بعلم البيان وما كان خاصـا بالالفاظ كاتحاد كلمتين لفظا واختلافهما معنى او غير ذلك جعلوه علما ايضا وسموه بعلم البديع وكما وضعوا هذين العلمين قد وضعوا غيرهما فكانت علوم الادب الاثنا عشر التى يفتقر كل اديب شاعر الى معرفتها .

وفي كل ادوار الامة العربية من زمن جاهليتها للآن طرأ على الشعر العربى امور ولدها المولدون واحدثها المحدثون لم تكن فيه من قبـل ولتداولها بين

الناطقين باللغة العربية اضحت كقواعد تسع فيها المتأخر المتقدم ولهذا كان من المناسب ان نذكرها في هذا الكتاب للذين يميلون الى الادب حتى لايفوتهم شيء مما يبتغونه من موضوع الكتاب . وهـذه الامور هي . التشطير والتخميس والتسبيع والتطريز والتضمين والتاريخ وبعض صناعيات اخرى

﴿ التشطير ﴾

لقد كان سوق الادب فيما مضى من تلك الأعصر الخالية رائجا ايام كانت ملوك العلماء هم علماء الملوك وحينئذ كان ادباء تلك الازمنة يتبارون في ميادين المحسنات الشعرية حتى بعثهم ذلك الى اختراع طريقة التشطير وغيرها مما لم يكن عند العرب وسببه انه كان يأتي الشاعر الى قصيدة فصيحة المعنى قويمة المبنى بين ابياتها شديد الارتباط في السياق فيظهر اقتداره فيها بأن يولد معانيا اخرى على معانيها او يأتي بما يزيد تلك المعاني حسنا او ان يعكس اوضاعها وذلك بأن يجعل البيت الواحد بيتين فيجعل لكل صدر من صدور الابيات الاصلية عجزا من عنده وكل عجز من اعجاز الاصل صدرا من عنده كذلك بحيث تلوح لقارئها بعد التشطير كانها مقول واحد

والتشطير نوعان فالنوع الاول كما تقدم ومثاله قولى من تشطيري لقصيدة العلامة البوصيري رحمه الله تعالى وهي

(أمن تذكر جيران بذي سلم) * أصبحت للوجد بالآلام في سلم
أم أنت مذ ذقت مر الهجر حين نأوا * (مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)
(أم هبت الريح من تلقاء كاظمة) * اليك تنشر أمر الرعى للذمم
أم وجه ليلاك عنه اسفرت حجب * (واومض البرق في الظلماء من اضم)
(فما لعينيك ان قلت اكففا همتا) * وما لاذنيك اذ لم يسمعا كلمي
وما لنفسك ان قلت السلو عصت * (وما لقلبك ان قلت استفق يهم)

(أيحسب الصب ان الحب منكتم) * والحال تبدي خفاياه بغير فم
وهاك عيناه والقلب الحزين هما * (مابين منسجم منه ومضطرم)
(لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل) * ولم ترق لك حالاً فيه كالعدم
وانت لولاه لم ترع النجوم دجى * (ولا ارقت لذكر البان والعلم)
(فكيف تنكر حبا بعد ماشهدت) * شواهد في الهوى ترميك بالتهم)
وما عدولك عن امر قد اعترفت * (به عليك عدول الدمع والسقم)
واثبت الوجد خطي عبرة وضنى * تضمينا منك شكوى الوجد للفهم
فمن رآك رآها فيك مثبتة * (مثل البهار على خديك والعنم)
(نعم سرى طيف من أهوى فأرقني) * والصب من شغله بالحب لم ينم
ومن يسر في فيافي الحب يلق عني * (والحب يعترض اللذات بالالم)
(يالائمي في الهوى العذري معذرة) * او لا فلم فغرامي قد حكى هممي
تلومني وردود اللوم واضحة * (مني اليك ولو انصفت لم تلم)

والنوع الثاني ان يجعل صدور عجز البيت المراد تشطيره صدرين لعجزين آخرين فيتولد بذلك ايضا بيتان ومثاله قول بعضهم

اذا كنت في حاجة مرسلا * فارسل حكيما ولا توصه

شطره بعض الأدباء فقال

(اذا كنت في حاجة مرسلا) * وانت بها هائم مغرم
(فارسل حكيما ولا توصه) * وذاك الحكيم هو الدرهم

وقد جرى بعض الشعراء على تغيير معنى الابيات المراد تشطيرها بنقلها من معنى لآخر كان ينقلها من الغزل للزهد او العكس ومثال ذلك قول القائل

اذا كنت اعلم علما يقينا * بان جميع حياتي كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها * واجعلها في صلاح وطاعه

فقد شطرتها بقولي

(اذا كنت اعلم علما يقينا) * بان وصالك في الاستطاعه

شكرت الزمان وحققت فيه * (بان جميع حياتي كساعه)
(فلم لا اكون ضنينا بها) * لتمسى مساعى عذولي مضاعه
ادين بدين الوفاء اليك * (واجعلها في صلاح وطاعه)

وقولي

(يامحرقا بالنار وجه محبه) * من غير ذنب في الهوى يجنيه
ما في فؤادي في يديك شبيهه * (مهلا فان مدامعي تطفيه)
(احرق بها جسدي وكل جوارحي) * ان كان يرضيك الذي تبغيه
واصنع بعبدك كل امر شئته * (واحرص على قلبي لانك فيه)

وهناك ابيات يسميها الادباء بالنوع المغلق اي مالا يمكن تشطيره كقول الصاحب بن عباد فيما اظن

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح * وكانما قدح ولا خمر

ومثله قول احد الظرفاء

انا والحب ماخلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
ما خلونا بقدر أن يمكن الدهـ * ـر باني أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ان قلت انت الـ * ـح فوافى فقلت كم الطبيب

اي أنه أراد أن يقول (انت الحبيب) فنطق بها الى الحاء من لفظ الحبيب فوافى العذول فقطع الكلام وأوهم انه يقول انت الحكيم الطبيب . وقد شطرتها بقولي

(انا والحب ما اجتمعنا ولا طر) * في غفا والدموع نهر صبيب
وأراني لم ادن منه ولا طر * (فة عين الا علينا رقيب)
(ماخلونا بقدر أن يمكن الدهـ * ـر سروري وينقضي المرغوب
لا ولا قدر أن يساعدني العصـ * ـر باني اقول انت الحبيب)
(بلو خلونا بقدر ان قلت انت ال) ليس الا وفاتني المطلوب

فأردت الحبيب نطقا وقلت الـ * ـح فوافي فقلت كيم الطيب

﴿التخميس والتسبيع﴾

التخميس نوعان فاما أن يأتي الشاعر بثلاث شطرات قبل شطري كل بيت من ابيات القصيدة بحيث تكون معاني ما يؤتى به من تلك الشطرات مع معنى شطري البيت المراد تخميسه على اجمل مايكون من الارتباط والمناسبة واما ان يؤتى بتلك الشطرات بين شطري كل بيت مثال الاول

قد توحدت في وحيد علاكا * مثلما فقت في بديع حلاكا
فلهذا وذا على من سواكا * (تهدلالا فأنت أهل لذاكا
(وتعطف فالحسن قد اعطاكا)

ومثال الثاني

(وصلنا السرى وهجرنا الديارا) * بشوق بهاك له قد أثارا
وعزم رأي البطء في السيرعارا * كانا خرجنا لنطلب ثارا
(وجئناك نطوي اليك القفارا)

والتسبيع كالتخميس في نوعيه فلا حاجة للكلام عليه

﴿التضمين﴾

وهو أن يأتي الشاعر بشطر فيضمنه في ابيات له باجمل مناسبة واتم ارتباط ومثاله قولي في واقعة حال مع الشاب الاديب لاوي افندي المـ... الاسكندري

عهد الاحبة عندي ليس ذاوهن * وحبهم هو في ...
لا سيما صادق في حبه كأخي * (لاوي) الذي غبر ...
اني اقول له يا من تباعد عن * عيني وقلبي له مـ...
هل الزمان معيد يوم مجتمع * بك امتنانا فيحظى ...
فقد حفظتك في غيب ولم اك من * طول البعاد الى السـ...

ولم اقل قط مهما كنت في تلف * (ياليت معرفتي اياك لم تكن)

وقول الشاعر المشهور محمود سامي (باشا) البارودي نزيل جزيرة سيلان الآن سنة ١٣١٦

اني امرؤ حلب الايام أشطرها * وشد فحل الهوى في اوثق العقل
مازلت ابغي الصبا حتى اذا اجتمعت * (أصالة الرأي صانتني عن الخطل)

﴿التطريز﴾

لم يكن فيما يسمونه بالتطريز كبير عناء غير أن القليل من الادباء يستعملونه في الغزل فيأخذون اسم من يريدون التغزل فيه ويجعلون كل حرف منه أول بيت من ابيات القصيدة على الترتيب الى ان ينتهي الاسم كقولي قديما بناء على طلب بعض الاخوان .

م مهما اقول فلايطيق لساني * نشرا لطي جوانحي وجناني
ح حكم الغرام بشرح متن صبابتي * فلعل من اهوى غدا يهواني
م من نبله عرف اشتغالاتي به * فبضد ما القاه قد يلقاني
د ديني ودين هواه في شرع النهى * انا على سرر الصفا اخوان
ع عاهدت منه كماله وجماله * فعرفت فيه بكثرة الاشجان
ل لو ان كل الناس في اوصافه * ماكان يوجد في الورى ضدان
ي يقظ النهى واللحظ حلو اللفظ والـ * شكل الجميل حوى لطيف معاني

﴿التشجير﴾

هو ان يصنع الشاعر بيتا من الشعر في الموضوع الذي يريده ثم يفرع منه ابياتا اخرى بمعان تناسب الموضوع الذي هو بصدده كقولي فيما مضى مدحا في صاحب السعادة محمود رياض باشا



[illegible]

مدحي لشيم كاسه محمود * فرض عليه لخالقه المحمود

له مهما اقول مقصر * فهو الأمير بطالع مسعود

سعده قد قال أرخ عبد محمود رياض العيد

حسنت جميع خصاله شرفا مع التأييد

* هو في خلود الدهر كالتوريد

اللزوم لسادة وعبيد

بنم سعودي

المشهود

❁ التاريخ ❁

لايعلم تاريخ حقيقي للتاريخ حتى يعلم أول من اخترعه غير انه مذكور فى بعض كتب الادب ان أول من بدأ بعمل التاريخ عبد الغنى النابلسى ذلك العالم الشهير وقد تبعه فيه من أتى بعده الى وقتنا هذا. ويشترط في التاريخ أن يكون في شطر واحد مجموع جمل كلماته يساوى عدد السنة الجاري عمل التاريخ فيها وان يكون فيه كلمة تشير الى المقصود. وطريقة عمله أن يأتي الشاعر بشطر مناسب لما هو فى صدده فيحسب جمله فمتى وجده ناقصا أو زائدا عن عدد السنة الجاري عمل التاريخ فيها فانه يتصرف بحذفه

ومهارته في بعض الكلمات حتى يتوصل الى المطلوب. وقد رأيت ان بعض الادباء لمناسبة كونه وجد شطر التاريخ ناقصا واحدا قال في الشطر الذي قبل التاريخ * وبالواحد الفرد استعنت مؤرخا *

وسماه بالتاريخ المتوج وبهذه العثرات التى يجدها بعض الشعراء في طريقهم أثناء عمل التاريخ تراهم يتفننون فى تنويع التواريخ كحسابهم المهمل دون المعجم أو العكس او مجموع مهمل الشطر الاول مع معجم الشطر الثانى او العكس وهلم جرًا

وقد يفتخر البعض بجعل كل شطر من القصيدة تاريخا او بأن يجعل القصيدة ذات مائة تاريخ او أكثر على ان الاصل فيه هو وضع التاريخ فى ختام القصائد اثباتا لتاريخ الحادثة التي عملت من اجلها القصيدة وبذا لم يكن من اللزوم زيادة التواريخ للدرجة المشار اليه ولا محل لافتخارهم فيه علي ان كلما يتوخاه الشعراء في قصائدهم من التقييدات المماثلة لهذه وكالصناعيات التى سنلم بذكرها مما يجعل شعرهم غير مقبول لان تلك التقييدات تجعل الشاعر يقول مالايريد ويريد ما لا يقول ومثالا على ذكر التاريخ قولى عندالاحتفال بعيد جلوس جلالة الخليفة الاعظم سلطاننا عبد الحميد الافخم سنة ١٨٩٧

الله اكبر ان سعد خليفةا * اسلام مولانا له اقبال

اكرم به وبأمة مصرية * قامت لها بثباته الآمال

فأقامت الافراح تذكر نعمة * نيلت بيوم جلوسه وتنال

فبه سعدنا بل سنبقى دائما * سعداء تشهد سعدنا الاجيال

والدهر يتلو بالجلال مؤرخا * عرش الخلافة عيده الاجلال

سنة ١٨٩٧   ٥٧٠   ١١٤٢   ٨٩   ٩٦

وقولي معتذرا لبعض الاخوان عن مسئلة

لقد وافيت معتذرا * فلا تكتب بتعذيري

وحسبي قول تاريخي * لعذري كان تقصيري

سنة ١٨٩١ ١٠١٠ ٧١ ٨١٠

وقولي مهنئا حضرة السيد الماجد كبير الهمم حميد الشيم جرجس حنين بك وكيل ادارة الاموال المقررة بنظارة الماليه المصرية

بك الرتبة العلياء تسمو على المجد * وانت لها المأمول والموئل المجدي
فلما عليك الكل اصبح ثانيا * بثالثة اهداك مولاك ذو الرقد
وهل لمثان من غني عن مثالث * وصوت المثاني والمثالث في حمد
سرورا بما قد حزت والدهر شاكر * اياديك يا مولى اقام على الجد
ووالله لولا انها من عزيزنا * لما صلحت كفؤا لجوهرك الفردي
واني لم اقدم بقولي مهنئا * لكوني مرؤوسا فما ذاك من قصدي
ولكن خلال جمعت فيك اوجبت * عليّ الثنا مما يجل عن العد
وفضل وآداب بها قد تفردت * سجاياك اذ فاقت على نفحة الند
وظرف ولطف في جميل سماحة * وفكر يميز الامر بالفهم والنقد
فمالي الا ان أقول مؤرخا * بك الرتبة العلياء تسمو على المجد

سنة ١٨٩١ ٢٢ ١٠٣٣ ١٤٢ ٥٠٦ ١١٠ ٧٨

وقولي مهنئا لسعادة محمود رياض باشا بشهر الصوم سنة ١٣٠٨

ان رمت امدح فضل محمود * لم يبلغ المعشار مقصودي
كيف السبيل لمدح حضرته * والوصف فيه غير محدود
وهو الذي سلكت مكارمه * سنن العلا في حسن تأييد
الصوم وافانا على شرف * يعنو له فى ثوب تعييد
حتى لسان السعد آرخه * رمضاننا يهنا بمحمود

سنة ١٣٠٨ ١١٤٢ ٦٦ ١٠٠

وقولي في شكوى حال على لسان بعض الاخوان للخديو الاسبق المرحوم اسماعيل باشا سنة ١٣٠٧

سلوك طريق الجد فرض على الحر * وغير العلا لا يستطاب لذي النصر
وذو العز لا يرضى المذلة موطنا * ولو قطعوه بالاسنة والسمر
وذو المجد لا يلهيه عن حفظ مجده * كثير الملاهي لا ولا جرعة الخمر
ومن يهو اسباب النجاح لنفسه * يرى السعي أولى من ملازمة الصبر
وعار على ذي السعي قصد سوى امرئ * لدى مجلس العلياء يوجد في الصدر
كرب العلا اسماعيل باشا فانه * مليك الملا بالمجد والعز والقدر
همام يخاف الدهر سطوة عزمه * ومن حزمه يستبدل العسر باليسر
على بابه نجح المساعى موفق * ومن رفده ماقد يزيد على البحر
شكوت الى أعتابه الضر والاسى * ويممته أرجو أمانا من الدهر
وانزلت حاجاتى بساحته ولى * يقين باني لا أرد على خسر
ولكن بفوز يرجع الدهر خائبا * فيطلقني من ربقة الذل والاسر
واني امرؤ أضنته في الناس حيرة * تركت بها أهلي ووافيت من مصر
فقد اوثقتني منه كل ملمة * ولم ينجني الا مقامك في العصر
وحين دروا أني لكم جئت قاصدا * اقام يهنيني الجميع على النصر
وقالوا بأني قد وصلت الى الذي * أمنت به الدنيا وغائلة الغدر
فقلت نعم اذ أن سعدي مؤرخ * وبشر علا اسماعيل عوني على الدهر

سنة ١٣٠٧ ٥٠٨ ١٠١ ٢١٢ ١٣٦ ١١٠ ٢٤٠

وقولي مهنئا صاحب العزة والفضل سعادة ادريس راغب بيك عند تعيينه مديرا لمديرية القليوبيه سنة ١٨٩٥

ترقى بنى العلياء الزم واجب * ولا سيما من كان أسبق ناجب
كادريس بيك راغب فهو سيد * باجلاله تسمو كبار المناصب
تهذب آدابا وعلما وحكمة * فجاد نهاه للعلا بالرغائب

وابدى لدى القانون كل غريبة * من العدل اوربتنا بديع الغرائب
مضت وهو قاض بالعدالة مدة * قضاها شريف النفس سامي المطالب
وقد حير المثنى أيثني لقدره * وعرفانه ام فضله والمناقب
والا على ان لايعاب به سوى * سلوك معاليه معالى المذاهب
والا على حسن الصفات وكونه * على صنع فعل الخير خير مواظب
رقى رتبة دون التى يستحقها * فنحن نهنيها بأوحد كاتب
وندعو بان يرقي قريبا لرتبة * تكون له كفؤا لاعظم طالب
فلو يرتقي كل الى ما استحقه * لكان وزيرا للعزيز كـ(راغب)
كراغب باشا الشهم والده الذي * ثوى جنة النعمى لدى خير واهب
وكان ذوو العرفان والمجد مثله * يسودون لامن كان رب معائب
وكنا على هذا نسير الى العلا * ولم ير منا بالعيب بعض الاجانب
ولكن غدت اذنابنا في رؤوسنا * فعدنا على أعقابنا عود نادب
فياليت حظ العلم يأتيه دوره * فيرقي ذوو العرفان اسمي المراتب
فاعلاء ادريس كبشرى لمصرنا * بأن ارتقا الاوغاد امسى بذاهب
واقبل عصر فيه للعلم دولة * ستمحي امانينا بدرء المثالب
فياأهل مصر اهنأوا وافرحوا به * فادريس للعلياء اكرم صاحب
ويا راغبا في فضله قل مؤرخا * مدير علا ادريس بيك لراغب
سنة ١٨٩٥ ٢٥٤ ١٠١ ٢٧٥ ٣٢ ١٣٣٣

وقولى مادحا حضرة العلامة الفاضل علي بيك رفاعه وكيل المعارف المصريه سابقا وقد اهديته بكتابين من مؤلفاتي سنة ١٣١٣

هذان سفران من صنعى وما لهما * سوى معاليك بالمولى السري اللائق
قالا لمن انت تهدينا فقلت الى * فضل عن الشرف السامى له ناطق
فبادراني وقالا نحن نعرفه * ففضله سابق لكن بلا لاحق

وانه كاسمه فيما نؤرخه * علي رفاعة ممدوح العلا الفائق
سنة ١٨٩٥ ١١٠ ٨٥١ ٩٨ ١٣٢ ٣٢٢

وقولى في شكوى حال ومهنئا لبعض الذوات بشهر الصوم

علاكم فوق كل علا يعز * ومن مدحى له بالشعر كنز
نشأتم في بنى الآداب غصنا * يميل به الى الادب المهز
وها أنا ذا اديب غير اني * لسيف الدهر في عنقي محز
فكيف وقد اتيت الى حماكم * يرى لى عن لحاق البر حجز
وذا قلمي له في الخط سبق * ولى علم وما بي قط عجز
فكونوا عون عبدكمو تصيبوا * ويغنيكم عن التصريح رمز
عسى اني اكون قضيت نحسى * ويوفيني بكم في السعد طرز
فقد ضاق الخناق وفاز غيري * بما يرجو ولى كد وعوز
وكم كان المهني لى يهني * بأن لديك لى ظفر وفوز
فيالله هل حظي توفى * واصبح بي زمانى يستفز
وهل انا مشكل مالى محل * لحل ام انا في الناس لغز
سألت الله ان يبقيك فينا * بقاء المجد وهو لك المعز
يقول لكم لسان البشر ارخ * بكم رمضان يهنأ وهو عز

وقولى مؤرخا ظهور جريدتي الهدى والمدرسة سنة ١٣١٠

لله در مهذبين كلاهما * لنهاه بيت في المعارف أسسه
قاما بنشر جريدتين مفيدتين بخدمة هي للبلاد مقدسة
كلتاهما انهار فضل قد بدت * تروي لنا من كل علم انفسه
لو انصف الشعراء قالوا أرخوا * (هدى) اقرأوا و تعلموا (في المدرسه)

وقولي مؤرخا اتمام منزل انشاه حضرة صديقى الاديب محمد بك اباظه نجل صاحب العزة والفضل سليمان بك اباظه السيد سنة ١٣١٠

صرحت بالقصد والمحبوب قد كنى * وتاه عجبا فلم أدر الذي كنا

ولي فؤاد اليه شيق كلف * ودمع عيني جرى حتى حكى عينا
وكنت قبل الهوى لاهم لى بسوى * صعود طود المعالي اطلب الحسني
طورا بسعي وحينا بارتقا قلمي * اجدد الجد ذا خطا وذا طعنا
ومذ تبدى تبدلت الثبات على * جدي بوجدي الذي للجسم قد أضنى
في كل جارحة بيت به زمر * من داعيات التصابى أشغلت ذهنا
لا استفيق زمانا من محبته * ولم ازل ثملا اشكو الهوى وهنا
وكم صبرت فلم يجد التصبر لي * نفعا وقلبي بغير الوصل لا يهنا
وكم مدحت أميرا فاستفدت به * خيرا وأما غرامى قط ما أغنى
وكم رأيت عقود النظم حالية * وفضل نجل سليمان بها يعنى
على اساس متين شاد بيت علا * حتى غدا لعلاه الموئل الاسنى
فقلت تهنئة منى أؤرخها * محمد شاد بيت اليسر للسكنى
سنة ١٣١٠

وقلت مؤرخا ميلاد نجله سليمان سنة ١٣١٤

سألت الدهر ما للثغر باسم * أهذى منك ايام المواسم
فقال افق وفي التاريخ أرخ * سليمان بفضل الله قادم

الصناعيات

والصناعيات كثيرة وهي بحسب ذوقيات واقتدار مخترعيها ولا سبيل لحصرها ليس لكثرتها ولكن لكونها ليست على قاعدة ومثالا عليها قولى مهنئاً ومؤرخا زواج سعادة محمود رياض باشا سنة ١٨٩٢

دنو من اهواه للقلب عيد * فأي متى اقول لى الوصل عيد
دائي غرامى والوصال الدوا * ومن أحب اليوم عني بعيد
دمي (بدولة) الجمال الذي * أهوى مباح حيث اقضي شهيد
درع اصطباري ليس يقوى على * هجر وحسب ا(لنا)س وجدي الشديد

داعي الهوى (اكبر) داع فقل * للائي كف الذي لا يفيد
دارت على بدر السما هالة * لكنما (فخر)ي ببدري الوحيد
دون (ال)تمام (وزرا)ء البها * وهو مليك الكل بل هم عبيد
دعنى أمت في حبه أو أرى * عطفا (على) قلبي منه يزيد
داني قطوف في (رياض) الحلى * وما حلا لي لست عنه أحيد
درس الهوى انى به عالم * من (كل) وجهيه فحظى سعيد
دأبت اقراه كما انى * أدمت مدحى للوزير الرشيد
دعا الى الحق بحزم فكم * منه (العباد) الآن قد تستفيد
دانت له العليا (ومصر) على * يديه قد باهت بمجد مشيد
دلت سجاياه على أنه * مولي (فأضحت) في مديح حميد
دين علينا شكره اذ (به) * فزنا باعزاز وخير مزيد
دولته اوجد من فضله * (روضة) افراح لنجل فريد
دار (تقدمت) الى رحبها * جماعة الاحباب في انس عيد
دعوا فلبو فلقوا كلما * (بين) الملا مجد الألى قد يعيد
دام (ارتقاء) فوق أوج العلا * ممتعا بالعز عمرا مديد
دهر الصفا يخدم اعتابه * وفي (البلاد) نفعه قد يزيد
دوماً يقول السعد تاريخه * هذا بفرح اقتران سعيد
سنة ١٨٩٢ ٧٠٦ ٢٩٠ ٧٥٢ ١٤٤

مقلدا القصائد الارتقيات في التزام حرف القافية في اول كل بيت من ابيات القصيدة زائدا على ذلك كونها ذات تاريخ وان الكلمات المحصورة بين الاقواس يستخرج منها هذان البيتان

بدولة اكبر الوزرا رياض * لنا فخر على كل العباد
ومصر به تقدمت ارتقاء * فأضحت روضة بين البلاد

وفي هذا القدر الذي ذكرنا كفاية

ترجمة العلامة السيد على ابو المواهب الدجاني مفتي يافا

ولنختم هذا الباب بترجمة حضرة العلامة المفضال السيد علي ابى المواهب الدجانى مفتى ثغر يافا من القطر الشامى اعترافا بفضله وهو العالم الفاضل والاديب الكامل السيد علي ابو المواهب بن العارف بالله تعالى السيد حسين الدجاني دفين مكة المكرمة ابن الشيخ سليم الدجانى وينتهي نسبه الى عبد الله الامام الحسين رضى الله عنه وقد ولد هذا المترجم بمدينة يافا سنة ١٢٥٨ هجرية ودخل مدرستها في سن الحادي عشرة تلقى بها جملة من كتب العلم عن ابن عمه السيد علي سليم كما قرأ على والده المرحوم كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي بحاشيته التى وضعها عليه وهي جزءآن ثم هاجر بلده آتيا الى قاهرة مصر سنة ١٢٨٢ وتلقي كثيرا من العلوم التى تقرأ بالجامع الازهر الشريف عن اجلاء علمائها كالمرحوم الشيخ ابراهيم السقا والشيخ عبد الرحمن الشربينى والشيخ حسين المرصفى والشيخ زين الدين المرصفى وكان اكثر تحصيله عليه وفي أواخر سنة ١٢٨٧ عاد الى وطنه وتقلد وظيفة افتا مدينة يافا سنة ٩١ وله من التصانيف رسائل في مواضيع متفرقة وله الشعر الجيد ولم نذكر شيئاً منه هنا لذكر هذه الترجمة مشفوعة بكثير من ادبياته في كتابي (النفثات في أن العلم وسيلة الى الكمالات)

﴿ باب ﴾

﴿ في الفنون السبعة ﴾

قد جرى على ألسنة العوام مما سار في امثالهم قولهم (فلان ماسك في السبعة البطالة) وذلك اذا ارادوا ان يظهروا عدم الفائدة في حديثه او فعله وليسوا بهذا يقصدون الفنون السبعة التي نحن بصددها وهي : الموشح والدوبيت والمواليا والواو والزجل والقوما وكان وكان

الفن الاول

الموشح

ان اصل الموشحات أغان تأتى من بلاد الروم فيأخذونها الشعراء فينظمون على توقيعاتها ما يسمونه بالموشح باعتبار ان الطاع (١) بحركة والديه (٢) بسكون ولهذا فان كثيرا من الموشحات يحصل فيها مد المقصور وقصر الممدود وقطع الموصول ووصل المقطوع لتوافق النغمات والضروب علي الآلات مثل هذا الموشح

زارني اول النهر * اخجل الشمس والقمر
قلت له قل ذا النفر * وارحم الصب واقبله

فان اصله النهار والنفار وانما حذفوا الفيهما لتوافق التوقيعات كما قدمنا ويقال ان اول من قال الموشح اولاد النجار الحجازي وهم متوجهون الى المدينة المنورة يستقبلون الحرم النبوي وبايديهم الدفوف واول ما قالوه

اشرقت انوار احمد * واختفت منه البدور
يا محمد يا ممجد * انت نور فوق نور

ولكن المشهور ان اهل الاندلس هم المخترعون لهذا الفن وجميع الموشحات لا يجوز اللحن فيها الا اذا كان المقصود بها نوعا من الزجل

كقولهم يا وليدات مصر طلوا * وانظروا الما سلسبيل
وانظروا مقلع ومحدر * ما علي محسن سبيل
وكقولهم يا بنيه وان رحلتي * ازرعي في الحي تامر
كل من جا يستظلك * يحسب ان الكون عامر

وقد قال ابن سناء الملك رحمة الله عليه في كتابه المسمى (دار الطراز) ان الموشح

(١) الطاع بتشديد الطاء هو المعروف عند أرباب الغنا بالدم بتشديد الدال وضمها
(٢) الديه بتشديد الدال وكسرها هو المعروف عندهم ايضا بالتك بتشديد التاء وذلك بخلاف الترن والمدار فان الترن هو النقرة على وسط الدف والمدار هو النقرة على دائره

كلام منظوم على وزن مخصوص وهو في الاكثر يتألف من ستة اقفال وخمسة ابيات ويقال له التام وفي الاول من خمسة اقفال وخمسة ابيات ويقال له الاقرع فالتام ما ابتدىء فيه بالاقفال والاقرع ما ابتدىء فيه بالابيات

فمثال التام موشح الاعمى وهو

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان * وحواه صدري

فقد ابتدئ فيه بقفله ومثال الاقرع

سطوة الحبيب * احلى من جني النحل
وعلى الكئيب * ان يخضع للـذل
انا في حروب * مع الحدق النجل

ليس لى يدان ياحورفتان من راي حفونه لقد افسد دينه

فقد ابتدئ فيه بابيات

والاقفال هي اجزاء مؤلفة يلزم ان يكون كل قفل منها متفقا مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد اجزائها والابيات هي اجزاء مؤلفة مفردة او مركبة يلزم في كل بيت منها ان يكون متفقا مع بقية ابيات الموشح في وزنها وعدد اجزائها لا في قوافيها

واقل ما يتركب القفل من جزءين صعدا الى ثمانية اجزاء وقد يوجد في النادر ماقفله تسعة اجزاء وعشرة [illegible] قل ما يتركب البيت من ثلاثة اجزاء وقد يكون في النادر من جزئين و[illegible] ثلاثة اجزاء ونصف وهذا لايكون الا فيما اجزاؤه مركبة واكثر [illegible] خمسة اجزاء والجزء من القفل لا يكون الا مفردا والجزء [illegible] يكون مفردا وقد يكون مركبا والمركب لايتركب الا من فقرتين [illegible] قد يتركب في النادر من اربع فقر

[illegible]

مثال القفل المركب من جزئين

شمس قارنت بدرا * كأس ونديم

ومثال القفل المركب من ثلاثة اجزاء وهو

حلت يد الامطار ازرة النوار فيأخذني

ومثال القفل المركب من اربعة اجزاء

ادر لنا اكواب ينسى بها الوجد واستحضر الجلاس كما اقتضى لود

ومثال القفل المركب من خمسة اجزاء

بى ثغراشنب برببب ربرب ريقه لي مشرب كالحبائل اعذب واعجب

ومثال القفل المركب من ستة اجزاء

ميتات الدمن احيين كربي وهل يتمكن عزاء لقلبي مت ياعزاه شاه

وحيث لايجوز اللحن في شيء من الموشح كما قدمنا فلم نورد مثالا مما هو مركب من سبعة اجزاء لانه ملحون ومثال القفل المركب من ثمانية اجزاء

على عيون العين رعي الدراري من شغف بالحب
واستعذب العذاب والتذ حاليه من اسف وكرب

وقد يندر في بعض موشحات شاذة ان تكون اقفالها مختلفة في اعداد الاجزاء

﴿ أمثلة الابيات ﴾

امثلة مااجزاؤه مفردة

مثال ماهو على ثلاثة اجزاء

أرى لك مهند أحاط به الاثمد فجردما جرد فياساحر الجفن حسامك قطاع

ومثال ما هو على أربعة أجزاء

قد باح دمعى بما أكتمه * وحن قلبي لمن يظلمه
رشا تمرن في لافه * كم بالمني أبدا ألثمه
يفتر عن لوءلوء متسق * من الاقاحي بنسيمه العبق

أمثلة ما أجزاؤه مركبة

مثال ماتركب من فقرتين وثلاثة أجزاء

أقم عـذري فقد آن ان اعكف على خمري

يطوف بها اوطف كما ترى هضيم الحشا مخطف

اذا ماماد في مخضرة الابراد رأيت الآس باوراقه قدماس

ومثال ما تركب من فقرتين وثلاثة اجزاء ونصف

من اودع الاجفان صوارم الهند

وانبت الريحان في صفحة الخد

قضى على الهيمان بالدمع والسهد

اني وللكتمان

للهائم المغرم بدمع ثم اذ يسجم بما يكتم

من السر في عاطل حالي عزيز ساطي على بالدعج

ومثال ماتركب من فقرتين واربعة اجزاء

ماحوى محاسن الدهر الا غزال

معرق الجدين من فهر عم وخال

نسبته للنائل الغمر وللنزال

فأنا اهواه للفخر وللجمال

وجهه وجه طليق للضيوف مشرق ويد تسطو على الاسد فتفرق

ومثال ماتركب من فقرتين وخمسة اجزاء

هن الظباء الشمس قنيصهن الضيغم

مالها من كنس الا القلوب الهيم

القرب عنها عرس والبعد عنها مأتم

تلك الشفاه اللعس يحيا بهن المغرم

لها لحاظ نعس ترنو الى من يسقم

باعين الغزلان وتبسم عن جوهر الاسماط قضي بها الغيران

ان تكتم في مضمر الانياط

وقد يندر في بعض الموشحات مايكون بيته جزئين مركبين من فقرتين وهو شاذ جدا ومثاله باكرا لى الخمر * واستنشقا الزهرا

فالعمر في خسر * مالم يكن سكرا

فقلما اسلو عن مرشف الاكواس وساحر الطرف مساعد الجلاس

فاسقيني بنت الزراجيني

ومثال ماتركب من ثلاث فقر وثلاثة اجزاء

من لى به يرنو بمقلتي ساحر الى العباد

ينأى به الحسن فينثني نافر صعب القياد

وتارة يدنو كما احتسى الطائر ماء الثماد

لجيده أغيد والخد بالخال منمق

تكتمه الحجب ولى الى الكل تشوق

ومثال ماتركب من أربع فقر وثلاثة اجزاء

بأبي ظبي حما تكنفه أسد غيل

مذهبي رشف لما قرقفه سلسبيل

يستبي لبي بما يعطفه اذ يميل

ذو اعتدال يعزي الى ذي نعمة ثابت

في ظلال تحت حلى قطر الندى بايت

والخرجة هى عبارة عن القفل الاخير من الموشح ويشترط فيها أن تكون حجاجية من قبيل السخف قزمانية من قبيل اللحن من ألفاظ العوام باللغة الدارجه وان خالفت هذه الشروط خرج الموشح عن أن يكون موشحا ولا تكون الخرجة معربة الالفاظ بوجه الاستثناء والاستحسان الا اذا ذكر فيها اسم الممدوح كقول ابن بقي في خرجة موشحه

انما يحيا سليل الكرام * واحد الدنيا ومعنى الأنام

او اذا كانت غزلة جدا هزازة خلابة بينها وبين الصبابة قرابة كقول ابن بقي ايضا

ليل طويل   ولا معين   ياقلب بعض الناس   أما تلين

ويلزم ان يكون الخروج الى الخرجة وثباً واستطرادا او قولا مستعارا على بعض الالسنة الناطقة او الصامتة او على الاغراض المختلفة وكثيرا ما تجعل على ألسنة النساء والصبيان والسكري والسكران ولا بد من ذكر قال اوقلت او قالت او غنى او غنيت او غنت فمما جعل على ألسنة الحمام قول عباده

ان الحمام   في قضبها تشدو
قل هل علم   اوهل عهد   اوكان
كالمعتصم   والمعتضد   ملكان

ومما جعل على ألسنة الغرام قول ابن بقي

ومذ رحلنا   غنى الجوى في صدري
سافر حبيبي   سحر وماودعتو   ما أوحش قلبي   في الليل اذا افتكرتو

ومما استعير على لسان الهيجا قول عباده

فالهيجا تغني   والسيف قد طرب
ما أملح العساكر   وترتيب الصفوف   والابطال تصح الوائق ملح

ولما كانت الخرجة هي ختام الموشح وهي العاقبة فيلزم ان تكون حميدة وعلى ناظم الموشحات ان ينظمها اولا حتى تأتي كالمطلوب ثم يعمل الموشح على وزنها حيث بهذه الصفة يكون وجد الاساس الذي يبنى عليه والموشحات تنقسم الى قسمين الاول ماوافق وزنه احدابحر الشعر الواردة عن العرب والثاني مالا يوافق وزنه وزنها والخائضون في نظم الموشحات على مايوافقها انما فعلوا ذلك لعدم اقتدارهم كقول بعضهم

ياشقيق الروح من جسدي   أهوى بي منك ام لمم

فهو من المديد وكقول الآخر

ايها الساقي اليك المشتكى   قد دعوناك وان لم تسمع

فهو من الرمل وقد نسب هذا الاخير الى ابن المعتز صاحب التاريخ الاسحاقي وليس له ومن الناس من احسن كل الحسن فأخذ بيتا مشهورا وبنى موشحه عليه كابن بقي حيث بنى موشحه على بيت ابن المعتز

علموني   كيف اسلو والا   فاحجبوا   عن مقلتي الملاحا

وعلى بيتي كشاجم وهما

يقولون تب والكاس في كف أغيد   وصوت المثاني والمثالث عالى
فقلت لهم لو كنت اضمرت توبة   وعاينت هذا كله لبدالى

فقال   قالوا ولم يقولوا الصوابا   افنيت في المجون الشبابا   فقلت لو نويت متابا
والكاس في يمين غزال   والصوت في المثالث عالى   لبدالى

ومن الناس من احسن ايضا فأخذ بيت شعر وجعله خرجة بنى موشحه عليها بعد ان ادخل في ذلك البيت كلمة اوحركة اخرجته عن الميزان الشعري المحض كقول ابن بقي السابق

صبرت والصبر شيمة العاني   ولم اقل للمطيل هجراني   معذبي كفاني

فهو من المنسرح واخرجه منه قوله (معذبي)

وقوله ايضا   ياويح صب الى البرق   له نظر   وفي البكا مع الورق   له وطر

فهو من البسيط واخرجه عنه التزام كسر القاف في لفظتى البرق والورق والموشح ينظم منه في جميع المواضيع التى ينظم فيها الشعر كالغزل والمدح والهجا والرثا والمجون والزهد وهذا الفن اخذ الدور الاعلى في بلاد الاندلس لانعكاف ملوكها وامرائها على اللهو والاغاني حتى غدت كأن لم تغن بالامس من حيث السكان لا من حيث المكان ولله في عباده مايشاء وهو ذو الحول والقوة أما اوزان هذا الفن فهي لاتخفى على الاديب ان استخدم ثاقب فكره فيها

﴿الفن الثانى الدوبيت﴾

ان وزن هذا الفن نقل من الفارسية الى اللغة العربية ولفظ دوبيت مركبة

من كلمتين معنى الاولى منهما اثنان وثانيتهما هي هي بمعناها العربي فلا يقال منه الا بيتان بيتان في اي معنى يريده الناظم ولا يجوز فيه اللحن مطلقا وله خمسة انواع * اولها الرباعي المعرج ومثاله

يامن هجر المحب عمدا وسلا ... ورماه على اللظى قتيلا وسلا
ماالقول اذا سئلت عن قتلته ... يا قاتله بأي ذنب قتلا

على وزن (فعلن بسكون العين متفاعلن بتحريك التاء فعولن فعلن بتحريك العين) ويشترط فيه ان يكون النصف الاول من البيت الثاني مخالف للاشطر الباقية في القافية والثلاثة الاخر على قافية واحدة * وثانيها الرباعي الخاص ومثاله

أهوى رشأ بلحظه كلمنا ... رمزا و بسيف لحظه كلمنا
لوكان من الغرام قد سلمنا ... ماكان له بيده سلمنا

ويشترط فيه ان يكون شطرا كل بيت مختومين بكلمتين بينهما الجناس * ثالثها الرباعي الممنطق ومثاله

قد قدّ مهجتى غرامي ونشر ... والقلب ملك
من كان يراك قال ماانت بشر ... بل انت ملك

ويشترط فيه ان يكون الشطر الاول من كل بيت كامل الوزن والثاني مركب من فعلن بسكون العين والنون وفعلن بتحريك العين وسكون النون وان يكون بين كل شطر وماتحته الجناس التام اوغيره * رابعها الرباعي المرفل ومثاله

بدر واذا رأته شمس الافق ... كسفت ورقى في يوم احد
عوذت جماله برب الفلق ... وبما خلقا من كل احد

ويشترط فيه كشرط الرباعي الممنطق السابق مع عدم اشتراط الجناس وان يكون له جزء فيكون البيت مركبا من ثلاث فقر * خامسها الرباعي المردوف ومثاله

يامن سلا للا نام جاها وحمى ... ها انت لنا عزا وهدى في اي مدد
يا افضل من مشى بأرض وسما ... ياشافعنا في الحشر غدا غوثا ومدد

ويشترط فيه مايشترط في سابقه ويستحسن فيه التزام الجناسات مع زيادة جزء

رابع فيكون كل بيت مركبا من اربع فقر ومنه ايضا

لو يرضى بي لاكون له عين بادال ... عبدا ورقيق في الرق خديم ليلا ونهارا
لو اسعدني لكان لي سين يادال ... مولى وشفيق بالوصل كريم سرا وجهارا

وقد رايت في مجموعة لبعض المعاصرين في القطر الشامي قصيدة مطولة من النوع الاول وهو الرباعي المعرج خلافا لشرطه من انه لا ينظم الا مثنى مثنى

الفن الثالث المواليا

لما اوقع الخليفة هرون الرشيد احد الخلفاء العباسيين الفتك بالبرامكة كما هو مذكور في كتب التاريخ لم يجسر احد من شعراء ذلك العصر على أن يرثيهم بكلمة ما شعرا فسمعوا ذات يوم جاريه تبكي اطلالهم وتقول يامواليا يامواليا وتنشد

ديارهم بعدهم صارت خوالى درس ... لا للقرى مثلما كانت ولا للعرس
أنظر بعينك ترى بعد احتكام الفرس ... تخربت والفصاح اللسن عنها خرس

فاستعمله المولدون واطلقوا عليه هذا الاسم وهو موافق لوزن البسيط ويتنوع الى ثلاثة انواع المواليا المعتاد والمواليا الاحمر والمواليا الاخضر فالمواليا المعتاد اما ان يكون على قاعدة المواليا السابق اي مركبا من اربع تعاريج (شطرات) على قافية واحدة واما ان يكون مركبا من خمس شطرات على قافية واحدة الا الرابعة منها كقول المرحوم ابراهيم بك مرزوق

علىخدلك خال زان سحر العيون لكحال ... والبدر لك خال حين شاهد جمالك حال
هو الظبي لك خال أم تيه الدلال لك حال ... لو خيلك خال اصبح فى هواك مفتون
كمن لك خال به قتل الشجي لك حال

وكقول بعضهم يريد الهزل

انمت دي العام ياللي لك كفل يتهز ... خدخوص وريحان وكمترى ومشمش هز
واقعد على تربتى وابكي قوي واتهز ... وقول اهىء اه اهىء اه اه اهي ءايىء
ان قمت لاصح لك ركبه ولا تهز

واما ان يكون مركبا من سبع شطرات ويقال له المواليا النعماني كقول المرحوم ابراهيم بك مرزوق السابق الذكر طيب الله ثراه

ياربع حي من العذال افضالي   ياما غمرتك بمعروفي وافضالي
وقلت لما سمح يابدر املالي   والدهر ساهر وطرف العاذلين شاهر
والحسن في الحب باهي للعقول باهر   بوجه كالبدر زاهي وسط روض زاهر
والفجر قلبو امتلا من غيظ املالي

فالثلاث تعاريج الاولى على قافية واحدة والثلاثة الاخرى على قافية مخالفة لها والرابعة تابعة للاولى وهذه الانواع احسن استعمالاتهم فيه ويستحسن فيه الجناس

أما المواليا الاحمر فهو المستعمل عند العوام وبعض الخواص في مصرنا (أعزها الله) وعلى الخصوص فى مديرية جرجا وقنا والشرقية والكثير منهم يقوله ارتجالاً وهو عامي أمي ويشترط فيه ان يكون باللغة الدارجة مشفوعا بالجناسات اللفظية بالمعاني الدائرة بينهم وسمي بالاحمر لانه لايقال الا في مواضيع الحماسة او الحروب او الحكمة كقول المرحوم السيد على أبي النصر افاض عليه مولاه غيوث رحمته

ليام جارت تجول هي رعد فى لبريج   والدهر رجص دبب من بعد فيل ابريج
أخدوا الرهاين عيال ما بجيش فيلبريج   والدهر غادر وصار الاجتدار نادر
ماحد جادر يجول البغل في لبريج

اما المواليا الاخضر فيشترط فيه ما يشترط في المواليا الاحمر الا انه لا يقال منه الا في مواضيع الغزل والتشبيب وامثالهما

الفن الرابع الواو

هذا الفن دائر بين سكان صعيد مصر الاعلى ويشترط فيه ما يشترط فى المواليا الاحمر والاخضر الا انه يوافق وزن المجتث وينظم فيه من أي

معنى اريد كقول بعضهم

مالك علينا مصدي   يابو سيوف مع كرالك
لو كان جواهر تصدي   تيجى الجادم كذلك

ومثل قولي في رسالة لاحد الاخوان في مصر حالما كنت بالوجه القبلي

ياولد عاود لعجلك   وابجي ودادك على اصله
دا الجلب في سجم لاجلك   باجي على العهد يصله
دانتا (نجيب) ولد ناجب   والجصد (طلعت) تراسلو
لبوك (جناوي) مناجب   والمجد جته وراس لو

ومن رسالة بعث بها حضرة السيد محمد القوصى السيوطى عن لسان بعضهم

حوى كتابك بدايع   من بحر واو المعاني
دا الفضل شايع وزايع   وفين يروح ابن هاني

الفن الخامس الزجل

هذا الفن وما بعده يقتدر الناظم على ان ياتي منه بالمطولات وهي تتركب من ادوار يتقدمها مطلع او لايتقدمها وقبل ان نتكلم علي وزن هذا الفن يلزمنا ان نتكلم على التسذيج وهو المعبر عنه بالاوزان فيما ذكرناه سابقا فنقول انه لما كانت التفاعيل في فن الشعر تتركب من سبب خفيف وسبب ثقيل ووتد مجموع ووتد مفروق وفاصلة صغرى وفاصلة كبرى اصطلح اصحاب هذا الفن على ان ياخذوا كلمة (نعشق) بسكون العين والقاف ويتصرفوا فيها ما بين اجراء الحركة على الحرف تارة والسكون طورا والحذف والتخفيف والتشديد فقالوا في مقابلة السبب الخفيف (هن) وهي نصف لفظ (نعشق) وزنا وتركوا السبب الثقيل لاشتمال الفاصلتين عليه وجعلوا مقابلة الوتد المجموع لفظ (قمر) بسكون الراء فلو ارادوا ان يقولوا (مستفعلن) قالوا (نعشق قمر) وتركوا الوتد المفروق لانه يقارب وزن (نعشق) وجعلوا بدلا من الفاصلة الصغرى لفظ (قمري)

بتحريك الميم وتركوا الفاصلة الكبرى فلم يستعمل في اوزانهم الاهذه الكلمات الثلاث وهي (هل نعشق قمر) من خمس وعشرين كلمة تعرف عندهم بالسنج (جمع سنجة) (١) كلها متصرفة من لفظ (نعشق) كما قدمنا

اما وزن هذا الفن فينقسم الى اربعة اقسام الرباعى والمجزوء والزيادي والنصف وزن فالرباعي عضوان كل عضو منه تعريجتان اي (شطرتان) وكل شطرة يقال لها قسمة ايضا ونصف كل تعريجة يسمونه عتبا وكل رباعي له مجزوء وله زريابي وله نصف وزن فالمجزوء هو ماحذف منه نصف جزء مقدار (هل) او جزء كامل مقدار (نعشق) او جزئين ونصف او ثلاثة أجزاء وذلك لا يكون الا في الثانية والرابعة ولايدخل الجزء في الاولى ولا الثالثة واما الزريابي فيكون من غير مطلع وكل ادواره مساو بعضها البعض الآخر والدور منه ثلاثة اغصان متوالية بقافية واحدة كل غصن تعريجتان وبعدها ثلاث تعريجات متماثلة في القدر بقافية غير قافية الاغصان تسمى سلسلة ويشترط فيها ان تكون امامن جزئ واما من جزئين ونصف واما من ثلاثة اجزاء على قدر اجتهاد الناظم واحتمال الوزن وبعد السلسلة تعريجتان قدر بعضهما في الوزن بقافية غير قافية السلسلة وهي لازمة في كل دور وتسمى قافية العمل اما قوافي الاغصان والسلاسل فتتغير في كل دور والنصف وزن يكون الدور منه ثلاث تعاريج كل تعريجة قدر نصف غصن من الرباعى والثلاثة بقافية واحدة وبعدها تعريجة بقافية غير القافية التي قبلها والاخيرة لازمة وهي قافية العمل وله مطلع تعريجتان مقدار ما بعدهما من تعاريج الدور ويسمى المذهب ايضا فاذا اردت المثال على ما ذكرناه من الرباعى والمجزوء والزريابي والنصف وزن فتأمل الى هذا الوزن

في باب الهوي صادفني   من هو بالمحاسن مفرد
عاهدته وهو عاهدني   وادي احنا على ما نعهد

(١) وهي في العرف قطع من الحديد قدر الاوقية والرطل الخ مما يوزن به ولاتخفى مناسبة التسمية

فاذا ذهب منه جزء كامل يصير   دولاب الهوى ياعشاق للعشاق يدور
تنى في الجمال مفتون أعشق للبدور

فالثانية والرابعة حذف منهما جزء كامل وصار وزنهما مقدار (هل نعشق قمر هل) وهذا هو مطلع المجزؤ ومثال ما يحذف منه جزء ونصف هو

عـدرا لامها قالت   في قصدي شيب
والشيخ الكبير ما اهواه   لو جاب راس كليب

وله من الزريابى وزن مشهور   يارايح لوادي الموصل   من شوقى اليه
ان جيت لابن راشد احمد   سلم لي عليه
وان كان يسألك عن حالي   قبل لي يديه
وان كان هو خلى   قول له ياعلى   ان الموصلى
جا يلعب معي في فنه   اناخد مقامه منه

ومثال النصف وزن   سبع الاندلس كان سلطان   ورميكة وابن الوزان

ومثال الوزن الرباعي المشهور

اذا انفتح سوق المشماش بيع القماش   ولا تقصر يا سيدي فى اللي تراه
واسمع كلام ابن النقـاش ماهوش بلاش   ان فاتك السوق اتمرغ من فوق راه

وله وزن مجزؤ وهو   بالذل في اول ادار خلع العذار   لو كانت النقطة جره
سربى لحانات الخمار تجلي الخمار   من لادري خليه يدره

والزريابي   على جبل وادي قبيس وارض سيس   رأيت العجب
دير ابن سمعان القسيس   فيـه الف كيس   مـن الذهب
كانوا ذخيره من بلقيس   لمضـــفليس   لما غلـب
جامؤنسـة عـده لما كمل سعده   حين وفاه وعده
فيها طلـب لوكان بلغ حده ضده   ما كان هرب

وله نصف وزن   البنت قالت في الجره   يامسلمين
لا أمي ولا أختى حره   اطلع لمين

ولـه وزن آخر مشهور برتبـة زعزوعـه وهـو الذي غلب به الشيخ خلف الغباري

نهودي من قواطوقي   وردوا في الحشا
وزاد يامّيتى شوقى   لتضييق الرشا
أقول لك ان معشوقي   غزال يا امى انتشى
كويس صنعة جزار   قتلنى لحظه السحار
اكم مثلى بنات أبكار   يهتـك ان مشا

انا وانتى أعشقه واحبه قوي واحرقه وبالبوس لا ازقه
وأقول ياالف سيد ليش ما تجبرني لمه ضاني صار في سناتى حلاني
وان طمع كنت اطعمه   واشبع اسقيه من فمي
ومن اوزانه يا ملاح اليمن   يا اصال الجدود
وصلكم مؤتمن   يا ملاح الخدود من وزن (هل قمر هل قمر)
وعكس هذا الوزن قول بعضهم حبيبي حبيبي ولو كان وحقك
يلوموا العواذل احبك احبك
ومن اوزانه يا عصافير الجنينه جل ربي اللي نشاكم
الجمل طوله وعرضه لم قدر يطلع حداكم وزن (هل قمر هل قمر هل)
ومن اوزانه
لسبع الاندلس ميزان   واصله لابن قزمان قام
ونا خالفت ما قالوا   وجبت اللي ورا قدام على وزن (قمر نعشق)
ومن اوزانه يا مضفليس نظمك قشاش
ما فيه معاني الا الولاش على وزن (نعشق قمر نعشق قمر)
ومن اوزانه يا ابن عزله هجيت رسيلك
من غير معاني وفين دليلك   على وزن (نعشق قمر هل)
ومن اوزانه يابن الجده شيل داعن ده

اياك ان ير   تاح دا من ده   على وزن (نعشق نعشق)
ومن اوزانه يامن زاد عجبه   بالناس اترفق
اوعا تقعد فيه   احسن تتمزق   على وزن (هل نعشق نعشق)
ومن اوزانه البحر اصبح لجه   لجه البحر اصبح
في النهر اذبح نعجه   نعجه في النهر اذبح   على وزن (نعشق نعشق نعشق)
ومن اوزانه
ياقادوس اطلع وانزل   واكتال الما ياقادوسى
خلي امى تنزل تغسل   وتنضف كل الملبوسي   على وزن (هل نعشق نعشق نعشق)
ومن اوزانه   يامراة احمد قولى لاحمد يحجز كلبه لا ياكلنى
ان كان تجهد مهما يجهد   في مطلوبه لم يلحقني   وزن (نعشق) اربع مرات
ومن اوزانه
الرزق عند الله كثير   والفرخ في البيضه درج
واللى فتح باب الفتوح   يفتح لناباب الفرج   على وزن (نعشق قمر نعشق قمر)
ومن اوزانه في الهند مكتوب فوق صم الاحجار   لا تفعل الخير الا مع اهله
وان ردت جوهر في شخص مكنون   فجوهر الشخص حسن فعله
على وزن (نعشق قمر هل نعشق قمر هل)
ومن اوزانه   لو كنت في بغداد   عهدي بكم واثق
ومصر ما تبعد   على عاشق   على وزن (نعشق قمر نعشق قمر)
ومن اوزانه   ياعشاق فراق يوسف   يحزنى بكا يعقوب
ما حدش قدر يصبر   للبلوى كما أيوب
على وزن (هل نعشق قمر نعشق)
ومن اوزانه لعب مضفليس   و قزمان درا
وفي ارض سيس   جرى ماجري   على وزن (قمر هل قمر)
واوزان هذا الفن كثيرة لا تدخل تحت حصر حتى قالوا ان صاحب الف وزن

قشلان ومن هذا تعلم ان من اشتهروا الآن بنظم الزجل ليسوا منه في شيء الا القليل وقد نظم الزجالون من ابحر الشعر فقالوا من الطويل

عيدي شرات مالي ظهر شيبه   وقصدي اروح بوالخان ابيعو على عيبه

ومن المديد   مضفليس لما لعب مع رمكيه   ضاع مقامه في بحار التهاوي

وابن راشد في نهار الاباحة   جا يقاوى مالقاله تقاوى

ومن البسيط

لو ان مالي ذهب ولي مراكب درر   ماكان لشمسي كسوف ولا جفاني قمر

ومن الوافر   طلع نظره على جبل المعره   راى تمرة على شجرة جايله

رمى ظلطه على الشجره لوعده   عدم نظره على تمرة قليله

ومن الكامل   نصب الهوى شرك العنا لصبابتي   وانا الذي عرف الورى بصبابتي

فاذا بدا قمري على قمر السما   شكت الهوى بصبابتي لصبابتي

ومن الهزج   دخلنا في هنا زايد على بولاق   نهار جمعه اذان العصر ياخلي

تمشينا سمعنا نغمة العشاق   على الالات وكنا جانب الحلي

ومنه   دواخل مصر في قاعه   حداهم بنت جنكيه

وزعزوعه ترقصهم   على شامي وشاميه

ومن الرجز   أعطيت جماعة مقطفي فيه يجمعوا   حبة عنب من النفيس المنتسب

غابوا عليا قلت فضونا بقت   هاتوا لنا المقطف ولا نحتاج عنب

ومن الرمل   جزت يوم التي صغيرين يكتبوا   في ورق ابيض يحاكي الياسمين

رحت اسأل من فقي كتابهم   التقي دول الكرام الكاتبين

ومن السريع

يامن على فوق العلا من غير مطلع   انتا عرب ولا عجم ولا كردي

كيف العمل في دي الجبل قصدي اطلع   عندك ولك حتى معك آخد ودي

ومنه   ان كنت ياسالوس نسيت ماجرى   وانتا على اسيادك بسرك تديح

دار ابن لقمان آهله عامره   والقيد باقي والطواشي صبيح

ومن المنسرح   يامغربي ياجفوني مين مثلك   في ملبسك البرانس وحجوبك

يايوسف المحاسن وحياتك   انا الذي في المحبه يعتوبك

ومن الخفيف   في المحله ان جزت طوح ركابك   واحذر احذر من ظبي ريم افتنني

سمهري القوام بديع المحاسن   حين عليا غزا بلحظه اسرني

ومن المضارع   اذا صدك من تحبه   ولا جابك في وجوده

فلا تحسد من يوده   ولا تحزن من صدوده

ومن المقتضب   عائدي بمصطحبي   ها انا بمصطحبه

لو يرد بمنتحبي   لم ارد بمنتحبه

ومن المجتث   ياناظرين البراقع والمقانع   لاتتبعوا للبدايع يبلشوكم

داتحت البراقع سم ناقع   لاتدخلوا للمطارح يقتلوكم

ومنه   تحملوا في الهوادج   احبتي كيف صاروا

لله حادي المطايا   رد الغريب لاديارو

ومن المتقارب   حبيبي حبيبي ولو كان وحقك   يلوموا العواذل احبك احبك

فكون اعلم اني عبيدك ورقك   اسب العواذل ولا اقدر اسبك

ومنه   حبيبي حبيبي اشترى له جمل   صغير صغير رضيع اللبن

ركبته ركبته هجل بي هجل   وتني ركبيه طلع بي اليمن

ومنه قول الاطفال (خبطني خبطني كسر ركبتي) ومن الاوزان قولهم (دوح يادبوح كاب العرب مدبوح) ومنها قولهم ايضا (عمك شنطح بجالك ينطح تعطيه ايه)

الفن السادس كان وكان

هذا الفن اوزانه من اوزان الزجل وكل دور من ادواره يكون من اربعة اغصان كل غصن من وزن مخالف الوزن الآخر ولا يجب على الناظم ان يلتزم منه في القافية الاقافية الغصن الاخير ومثاله

ياأهل اليمن يابدور ياالابسين الكوافى ارثوا لحال العاشق وارحموا الغلبان
فالغصن الاول من وزن (ياساكنين القصور) والثانى من وزن (تحملوا فى الهوادج) والثالث من وزن (عمى شيخ رائح) والرابع من وزن (لو كنت في بغداد) ومنه قول بعضهم ياطاله من الطاقة الكلب ياكل عجينك
ياكلب كل واتهنا ما للعجين اصحاب

الفن السابع القوما

اوزان هذا الفن تسمى الضروب وكل دور من ادواره اربعة اغصان انما يخالف (كان وكان) من حيث ان الغصنين الاولين منه يكونان متحدين وزنا وقافية والثالث يخالفهما فى الوزن والقافية والرابع تابع لهما فى القافية مخالف لهما في الوزن وقافية الغصنين الاولين لازمة في كل ادوار القوما ومثاله

يابنت قولى لبوكي يسلك بطرقه سلوكي
ويقيم فرحكم دي السنه ويجوز اخوكي

فالغصن الاول والثاني من وزن (تحملوا في الهوادج) والثالث من وزن (الرزق عند الله كثير) والرابع من وزن (لو كنت في بغداد)

(تنبيه) المواليا والزجل والواو وكان وكان والقوما لا تنظم الا من الفاظ العوام باللغة الدارجة الملحونة

تم الكتاب





فهرست غاية الارب في صناعة شعر العرب



﴿ تمت الفهرست ﴾

﴿ مؤلفات المفتقر الى الله تعالى مؤلف هذا الكتاب ﴾

غاية الارب في صناعات شعر العرب طبع المره الاولى في سنة ١٣٠٨ والثانية في سنة ١٣١٦

البراهين البينات على وجوب تعليم البنات طبع في سنة ١٣٠٩

مختصر كتاب الف با في اللغة (لم يطبع الآن)

رواية ادبية تطبيقية على كتاب تعليم البنات المتقدم اسمها المبتدا والخبر في خاف ظهر (لم تطبع للان)

الصلات والعوايد في الاخلاق والعوايد (لم تطبع للان)

النفثات في أن العلم وسيلة الى الكمالات او الكلام على قولهم (ذكاء المرء محسوب عليه من رزقه) وهو جاري طبعه الآن في مطبعة هندية بمصر

تشطير قصيدة أبي فراس ومقالة ادبية عليها طبع في سنة ١٣١٦

رسالة في حادثة بين كريم ولئيم (لم تطبع للان)